الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون– تيارت–

كلية الآداب واللغات

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر

أطروحة دكتوراه طور ثالث (ل م د) شعبة: دراسات لغوية، تخصص: لسانيات عربية موسومة ب:

دلالة الأمر والنهي في القرآن الكريم. دراسة تداولية

–القصص القرآني أنموذجاً–

إعداد الطالبة: **حمياني فاطمة الزهراء** إشراف الأستاذة الدكتورة: **بوغاري فاطمة**

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
بولخراص محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة ابن خلدون
بوغاري فاطمة	أستاذ تعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة أحمد بن يحي الونشريسي–تيسمسيلت
بوهنوش فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مشرف مساعد	جامعة ابن خلدون–تيارت
بلقاسم عيسى	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة ابن خلدون–تيارت
فارز فاطمة	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة ابن خلدون–تيارت
رزايقية محمود	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة أحمد بن يحي الونشريسي–تيسمسيلت

السنة الدراسية: 2024– 2025 الموافق ل 1445–1446هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون– تيارت–

كلية الآداب واللغات

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر

أطروحة دكتوراه طور ثالث (ل م د) شعبة: دراسات لغوية، تخصص: لسانيات عربية موسومة ب:

دلالة الأمر والنهي في القرآن الكريم. دراسة تداولية

–القصص القرآني أنموذجاً–

إعداد الطالبة: **حمياني فاطمة الزهراء** إشراف الأستاذة الدكتورة: **بوغاري فاطمة**

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
بولخراص محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة ابن خلدون
بوغاري فاطمة	أستاذ تعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة أحمد بن يحي الونشريسي–تيسمسيلت
بوهنوش فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مشرف مساعد	جامعة ابن خلدون–تيارت
بلقاسم عيسى	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة ابن خلدون–تيارت
فارز فاطمة	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة ابن خلدون–تيارت
رزايقية محمود	أستاذ التعليم العالي	ممتحناً	جامعة أحمد بن يحي الونشريسي–تيسمسيلت

السنة الدراسية: 2024– 2025 الموافق ل 1445–1446هـ

بـــــسم الله الرحمن الرحـــــيم

قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء-الآية 88

الإهـــداء

إلى محبي لغة الضـاد

إلى كل من ساهم في النهوض بالبحث العلمي وارتقائه.

إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ابن خلدون- تيارت.

إلى مخبر الدراسات اللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر.

أهديهم جميعاً ثمرة هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: « من لا يشكر الناس، لا يشكر الله عزّ وجل»، فإنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير، أولاً إلى مخبر الدراسات اللغوية والنحوية بين التراث والحداثة في الجزائر .

ثانياً، إلى أستاذتيّ المشرفتين، بوغاري فاطمة وبوهنوش فاطمة، اللتين أنارتاني بعلمهما فنهلت منهما العلم والأخلاق، ولم تبخلا عليّ لا بالوقت ولا بالمعلومة، واحتضنتا الرسالة بكل صدرٍ رحب. أسأل المولى عزَّ وجل أن يجعل عملهما هذا في ميزان حسناتهما، وأن يكفَّ عنهما وعن ذُريتهما البلاء، إنه سميعٌ مجيبٌ.

أيضاً، الشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين كان لهم الأثرّ الواضحٌ في إثراء هذا البحث.

وأخيراً، أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في إنهاء هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يوفق الجميع إلى ما فيه مرضاته.

مقدّمـــــة:

إنّ الحمد لله نحمدُّه ونستعينُه، ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هاد له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، وأصلي وأسلم على من نُشرت بدعوته آيات الهداية، وتمت بنعمته مكارم الأخلاق، فاللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيرا، أما بعد:

فقد شهدت اللسانيات العربية انفتاحاً واسعاً وشاملاً على مختلف النظريات والتطبيقات التي وصل إليها العالم الغربي. هذا الارتباط الحضاري يفرض على الباحث الغوص في النتاج الفكري العربي والتنقيب عما توصل إليه الغربيون لإقامة حلقة وصل بين الماضي والحاضر. ومن بين هذه الدراسات اللسانيات التداولية ونظرياتها كالأفعال الكلامية، والحجاج...إلخ.

فالحديث عن مجال البحث التداولي هو بحث في كيفية التواصل الإنساني وأقطابه وفحواه ودلالاته، وهذا من منطلق تعريفها على أنها علم جديد للتواصل الإنساني، فالتداولية ليست علماً لغوياً محضاً يكتفي برصد البنى اللغوية وتحديد حدودها وأشكالها الظاهرة فقط وتفسيرها، وإنما تتعدى حدود أسوار الشكل إلى دراسة الخطابات في سياقات استعمالها، وتلعب الأفعال الكلامية دوراً بالغاً في تحليل الخطاب إذ تتحول فيه عملية البحث اللغوي من فحص الملفوظات وتحديد العلاقة بينها إلى فحص إنتاجها وأثرها معتمدةً في ذلك على معطيات السياق وقواعد الاستعمال.

إنَّ أهمية طرح هذا الموضوع متعددة الجوانب، فهو يساعد على تطوير المناهج البحثية من خلال إتاحة أدوات تحليلية تعين على فهم النصوص. كما يفتح هذا الموضوع مجالاً للتفاعل بين الدراسات الدينية واللغوية والاجتماعية. وبذلك، يكون موضوع هذه الدراسة نافذة علمية يمكن من خلالها الاطلاع على كيفية تطبيق مناهج تحليل الدّرس اللساني الحديث – المقاربة التداولية- على النصوص عامة والنص القرآني خاصة. كذلك، ينبغي أن يهتم الدارس اللغوي بمثل هذه الدراسة إذا ما أراد إثراء المكتبة العربية والنهوض بلغته، فتكون بذلك هذه الدراسة إضافة مهمة للأبحاث اللغوية.

ومناط الدّراسة في هذا البحث هو محاولة استثمار مفاهيم الأفعال الكلامية في تحليل القصة القرآنية، واستجلاء قواها المستلزمة وبيان أثرها التداولي، وتوضيح مدى نجاعة المقاربة التداولية في تحليل أسلوب النص القرآني؟ وفي هذا الإطار يندرج موضوع رسالتنا الموسوم ب: **دلالة الأمر والنهي في القرآن الكريم. دراسة تداولية– القصص القرآني أنموذجاً، حيث تندمج** فيه علوم الأصول والتفسير مع علم البلاغة، وبهذا الاندماج تتضح الدلالة.

ولكلِّ بحث دوافع وأساب وراء اختياره. فكانت من أهم مسوغات اختيارنا لهذا الموضوع سبر أغواره والغوص في مضامينه، إضافة إلى ارتباط الموضوع بالقرآن الكريم وعلم التفسير، والبلاغة العربية، كذلك، تأتي الرغبة في إثراء المكتبة العربية والنهوض باللغة العربية نظراً لقلة الدراسات التداولية العربية على الخطاب القرآني، ومحاولة رفع الستار على تطبيقات المقاربة التداولية وتوضيحها بشكل ميسر ؛ حتى يسهل على الباحث إسقاط مقولات التداولية في تحليل الخطابات القرآنية وفق هذه المقاربة.

ينطلق بحثنا هذا من إشكالية محورية مفادها التساؤل حول **مدى إمكانية تطبيق المقاربة التداولية على القرآن الكريم، ورصد دورها في الكشف عن أسلوبي الأمر والنهي في الخطاب القرآني؟** وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي بموجبها تم معالجة هذا البحث وهي:

-إلى أي مدى يمكن استثمار مفهوم القوى الإنجازية الحرفية والمستلزمة في استنباط دلالة أسلوبي الأمر والنهي في القرآن الكريم؟.

-وما هي أبرز تمظهرات الوظائف التداولية لأسلوبي الأمر والنهي في القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية ؟

وبعد اطلاعنا على الدراسات التي تناولت النص القرآني بالدراسة من الناحية التداولية نجدها كثيرة ومتنوعة نذكر منها:

-الخطاب التوجيهي في القصص القرآني قصة موسى عليه السلام أنموذجاً للباحثة سامية سية اعتمدت الباحثة في دراستها على المقاربة التداولية من خلال تحديد أطراف الخطاب ومواقعهم في سلم العلاقة التراتبية، ثم النظر في الخطاب التوجيهي الناشئ في ظل العلاقة السلطوية القائمة بين المرسل والمرسل إليه، ثم تناولت الخطاب التوجيهي وآلياته: الأمر، النهي، والنداء ...ثم عرضت إلى قصة موسى عليه السلام، غير أنها لم تتناول التوجيهات في القصة من الناحية التداولية بل عرضت عليها من ناحية القص فقط.

-القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية – قصتا إبراهيم ويوسف عليهما السلام أنموذجاً للباحثة إيمان جربوعة، التي اختارت قصة ابراهيم ويوسف عليهما السلام كنموذجين للتطبيق، فعمدت إلى إحصاء الأفعال الكلامية الواردة في القصتين عبر جداول وتبّين نوعها وأغراضها وقوتها الإنجازية، كما عُنيت بالبحث في الآليات الحجاجية في السورتين مع التركيز على الآليات الحجاجية اللغوية كالروابط والعوامل الحجاجية ووظيفتها الحجاجية في المدونة، إضافةً إلى آليات الحجاج المنطقية كالقياس ودوره في تحقيق الاذعان. غير أننا سجلنا بعض النقاط على هذا البحث، فقد أسقطت الباحثة بعض النماذج المتضمنة لصيغة الأمر والنهي في قصة إبراهيم عليه السلام وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع الذي شمل التداولية في عمومها دون تخصيص، ومن هنا نجد للموضوع مبرراً له إذ جاء لتدارك ما أسقط في الدراسات السابقة فجمع بين صيغ الأمر والنهي في القصص القرآني في رسالة واحدة.

وعلى الرغم مما سبق ذكره حول الدراسات السابقة، فإن هذه الرسالة تخالفها في طريقة المعالجة والطرح، حيث أنه يتخذ من جملة الأمر والنهي- شكلاً ومعنا- موضوعاً للدراسة، أي من حيث صيغة الفعل وعلاقته بالسياق، والأثر التداولي المترتب عنه.

وقد أتت هذه الدراسة مبنيةً على المنهج الوصفي هذا ما فرضته طبيعة الموضوع المتناول، وقد تمت الدراسة التطبيقية وفق الخطوات الآتية: أولاً اختيار الآيات القرآنية كنماذج للتحليل، ثانياً العمل

على رصد أسباب نزول هذه الآيات، ثالثاً استخراج الأفعال الكلامية التوجيهية وتحديدها، رابعاً تطبيق مفاهيم المنهج التداولي على نص الآيات، ثم خامساً استنباط الدلالات الحرفية والمستلزمة منها.

اقتضى موضوع الرسالة توزيع خطة البحث إلى: مدخل بعنوان **الامتداد المعرفي للدرس التداولي في التراث البلاغي**، الذي اشتمل على ثلاثة مباحث: الأول تداولية المتكلم والثاني تداولية المخاطَب، والثالث عنوناه ب تداولية المقام وذلك أن التداولية تتقاطع مع البلاغة العربية في هذه الأقطاب الثلاث.

وجاء الفصل الأول موسوماً ب: **نظرية الأفعال الكلامية بين التأصيل العربي والدرس الغربي**، الذي اشتمل على ثلاثة مباحث وهي كالآتي: المبحث الأول: **نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي المعاصر** تناولنا فيه تعريف نظرية الأفعال الكلامية وخصائص الفعل الكلامي وأصنافه، مع بيان جهود كل من أوستين وسيرل وإسهاماتهما في إرساء وتأسيس لنظرية الأفعال الكلامية، أما المبحث الثاني فقد عنوناه ب: **نظرية الخبر والانشاء في التراث البلاغي العربي** حددنا فيه معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند البلاغيين ، أما المبحث الأخير فوقفنا فيه على **نظرية الخبر والإنشاء عند الأصوليين** مبرزة كُلاً من معايير التمييز بين أسلوبي الخبر والإنشاء عند الأصوليين وتحديد شروط إنجازية فعل الإنشاء عندهم، ثم بعد ذلك عرضنا إلى تصنيف الأفعال الكلامية عندهم المنبثقة عن كل من الخبر والإنشاء.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: **الفعل الكلامي الأمر في القصص القرآني وأثره التداولي**، ضم هذا الفصل ستة مباحث تم تصنيفها حسب كل قصة، وقد عالجنا فيه نماذج لصيغة الأمر في القصص القرآني وتصنيفها حسب قواها الإنجازية التي تضمنتها، وتم تصنيف هذا المباحث حسب كل قصة

وفي نهاية الفصل قمنا بتحليل وشرح ومناقشة لمفاهيم التداولية الواردة فيها مع تقديم خلاصة لأهم النتائج الواردة في الفصل.

وأمّا الفصل الثالث فحمل عنوان: **الفعل الكلامي النهي في القصص القرآني وأثره التداولي،** عالجنا فيه هو الآخر نماذج لصيغة النهي في القصص القرآني وتصنيفها حسب قواها الإنجازية التي تضمنتها، وقد تضمن هذا الفصل ثمانية مباحث وُزعت حسب كل قصة وفي نهاية الفصل قمنا بتحليل وشرح ومناقشة المفاهيم التداولية الواردة فيها مع تقديم خلاصة لأهم النتائج الواردة في الفصل.

ولقد جابهتنا بعض الصعوبات في مسيرة إنجاز هذه الرسالة أولها طبيعة الموضوع المدروس وصعوبة رصد تخريجات للمقولات التداولية في النص القرآني ، أيضاً قد استفذ هذا البحث جهداً كبيراً في الدراسة التطبيقية التي جاءت على فصلين تم التعامل فيهما مع النص القرآني من وجهة نظر تداولية، الأمر الذي جعل الباحثة تستغرق وقتاً طويلاً في تحديد مخرجات نص الآية من دلالات حرفية وأخرى مستلزمة آخذةً بعين الاعتبار قدسية النص القرآني وإن أسقطنا هذا المنهج الغربي عليه، يبقى هذا الأخير يهتم بلغة التواصل اليومي والقرآن الكريم أسمى الخطابات. أيضاً قلة تطبيقات التداولية على النص القرآني رغم تعدد الدراسات السابقة فقد وجدنا في هذه الأخيرة إشارات فقط دون الغوص في مضمون المقولات التداولية. أيضاً صعوبة تأمين بعض الكتب ككتاب مصطفى شعبان المصري (أساليب الخبر والإنشاء في التراث العربي دراسة تداولية في ضوء نظرية أفعال الكلام).

تعددت روافد ومناهل هذا البحث وتنوعت بين تراثية وحديثة حسب ما يتطلبه هذا البحث، نذكر منها: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام مسدي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري...إلخ بالإضافة إلى مجموعة من كتب التفسير نذكر منها: مفاتيح الغيب للرازي، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، أيسر التفاسير لأبو بكر الجزائري، بالإضافة إلى كتاب الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه

لمحمود صافي إلى غيره من الكتب القيمة التي كانت منهلاً معيناً في هذا البحث، واستأنسنا في بحثنا هذا بكتاب لغة القرآن الكريم " دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة" الذي أنار طريقنا في كيفية تطبيق المقاربة التداولية لبنية الجملة.

وفي الختام أقدّم خالص الشكر والتقدير أولاً لله عز وجل على توفيقه فله الحمد والشكر شكراً كثيرا حتى يبلغ الشكر منتهاه ،وإلى من وقفتا معي في مسيرتي وأخص بالذكر الأستاذتين المشرفتين بوغاري فاطمة وبوهنوش فاطمة اللتين لم تبخلا عليَّ لا بالوقت ولا بالمعلومة فجزاهما الله كل خير، أيضاً الشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة التي احتضنت هذه الرسالة وأشرفت على إخراجها في حلتها الأخيرة.

حمياني فاطمة الزهراء

تيارت في 2024/03/18

الموافق ل 08رمضان1445هـ

المدخل:

الامتداد المعرفي للدّرس التّداولي في التراث البلاغي

أولاً: المتكلم (the Speaker)

ثانياً: المُخَـــاطَب :(Alloctive)

ثالثا: المقـام : (Context)

إن الحديث عن الامتداد المعرفي للدرس التداولي في التراث البلاغي العربي يقودنا إلى الحديث عن نشأة الدراسات اللغوية، لاسيما البلاغية منها، والتي انبثقت من النص القرآني وارتبطت به شرحاً وتفسيراً وتأويلاً، مما أدى إلى تداخل العلوم اللغوية (البلاغة، والنحو، والأصول والتفسير) في دراسته، فكان أرضيةً خصبةً للدراسة والتحليل، خاصة أن الوصف اللغوي اعتبر النص القرآني خطاباً متكاملاً، متماسكاً، مقدساً، فلم يجرده من مقامات إنجازه وسياقاته وحيثياته الخارجية المعروفة بأسباب النزول « فالجهاز الواصف المتصدي لتفسير نص القرآن الكريم يتألف من علوم ذات مجالات مختلفة ومتكاملة كالنحو والبلاغة والأصول وغيرها، وأن العلمين المضطلعَيْن برصد الترابط القائم بين الخصائص التداولية والخصائص الصورية (التركيبية والصرفية والصوتية) هما البلاغة والأصول. »[1] هذا ما جعل البلاغة العربية مصدراً من مصادر التفكير التداولي والوظيفي العربي تضاهي المنهج الحداثي- التداولي — من ناحية الطرح وإن اختلفت التسميات.

ولما ارتبطت البلاغة بدراسة كتاب الذكر الحكيم دراسةً وشرحاً وتفسيراً، فقد أخذ علماء العربية -بعد مجيء الإسلام- يهتمون غاية الاهتمام بهذا العلم، ففي المقام الأول عَنَوْا بمعرفة أسرار الإعجاز في القرآن الكريم كتاب الله.[2] وفي هذا الصدد قال أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395هـ) في مقدمة كتابه لبعض إخوانه « أنَّ أحقَّ العلومِ بالتعلُّم، وأوْلاَهَا بالتحفّظ -بعد المعرفة بالله جلِّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة، الذي به يُعْرَفُ إعجازُ كِتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرُّشد، المدلول به على صِدقِ الرّسالة وصحَّة النُبوّة، التي رفعَتْ أعلام الحقّ وأقَامَتْ

[1]- أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط2، 2010، ص40.

[2] - ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص9.

منَارَ الدِّينِ، وأزالت شُبُه الكُفْرِ بِبراهينها، وهتكت حُجُبَ الشّكِ بيقينها.»[1] وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قيمتها ومكانتها التي تتبوّأها في الترتيب العلمي ولتاريخها الطويل.

فإذا كان المنهج التّداولي لم يبرز إلى الوجود كمنهج يعتدّ به في الدّرس اللّغوي إلاّ في العقد السّابع من القرن العشرين من طرف ثلّة من فلاسفة اللّغة وهم: أوستين، وسيرل، وغرايس، فهو في تراثنا العربي البلاغي مرتبط بالدّراسات القرآنية ومتجلٍّ بوضوح في المدوّنات البلاغية كالبيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ)، الصّناعتين لأبي الهلال العسكري (ت 395هـ)، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني (ت 471هـ)، ومفتاح العلوم للسكاكي (ت626هـ). ولذلك فمن الإنصاف القول إن إشارات التّداولية المبثوثة في تراثنا العربي ليست حكراً على البلاغة فحسب، وإنما تشمل علوماً أخرى كالنّحو، والنّقد، والخطابة، والتفسير، والأصول؛ فيكون بذلك علماؤنا العرب النّحاة والأصوليون والمفسّرون والبلاغيّون قد مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفةً وعلماً ورؤيةً واتّجاهاً أمريكياً وأوربياً.

فالحديث عن أسبقية هذا المنهج الحداثي- التّداولي- هو في حقيقة الأمر دراسة تاريخية وصفية، ولكن ما يجدر الإشارة إليه هو أن « البعد التداولي في الدرس اللغوي العربي القديم لا يعني إيجاد مفهوم التّداولية ومحاورها بشكل مطابق تماماً للرّؤية المعاصرة لكنّها نقاط التقاء فكر إنساني إن لم تكن تفاعلاً أي تأثير وتأثّر»[2]. والحديث عن قضية التأثير والتأثّر موضوع يطول المداد فيه، ولكن لا حرج إذا عرّجنا على الحديث عنها ولو قليلا ليتّضح لنا مسار دراستنا فقد صرح علي إبراهيم نملة

[1]- أبو الهلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي، ط1، دت، ص2.

[2]- فتيحة مولاي ومسعودة بالنوى، البُعد التداولي في البحث البلاغي العربي القديم، الإشعاع، ع2، ديسمبر2014، ص 229.

في خاتمة كتابه مناحي التأثّر والتّأثير بين الثقافات: المثاقفة بين الشرق والغرب بأن« مسألة التأثّر والتّأثير بين الثّقافات، بل الحضارات، مسألة حتمية، تفرضها العلاقات بين الأمم والشّعوب، والأصل أنَّ كلاً منها يُقدِّم للآخرين أفضل ما يملك، ويأخذ منهم أفضل ما يملكون...باستثناء الثّقافة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسّنة النّبويّة الشّريفة وإسهامات السلف الصالح، تلك التي لم تتأت لأمة بعينها، ولم يختص بها شعب دون غيره»[1] هذا ما يؤكد أصالة الدراسات اللّغوية العربيّة.

وفي ذات الطّرح، يصرّح محمد حسين آل ياسين بأنه «يجب ألا يعزب عنا حين نجد تشابهاً في الدّرس بين أمّة وأخرى، إن ذلك لا يعني بالضرورة وجود تأثّر معيّن بين هاتين الأمّتين كان للسّابقة منهما أثر في اللاّحقة؛ لأنه قد تتوفّر لدى أكثر الأمم الظروف التي تستدعي قيام دراسة من الدّراسات، أو وضع تأليف من التآليف، كما أن الإبداع والابتكار ليس وقفاً على عقل دون آخر أو شعبٍ دون شعبٍ؛ فقد تنشأ في أكثر من بقعة من بقاع الأرض دراسات يُهيأ لها أن تنمو وتنضج بعيدة عن التأثّر بمثيلاتها في البقاع الأخرى.»[2] مثل النّحو والبلاغة والفونولوجيا وغيرها.

والحديث عن ذلك الاتّصال والربط بين هذين العلميين(البلاغة والتداولية) أحدهما حداثي غربي والآخر عربي قديم، لن يتّضح إلا إذا عرّجنا إلى ماهية كل واحد منهما. فالبلاغة العربيّة تدرس كل ما يرتبط باستعمال اللّغة وممارستها أثناء عملية التّواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى (الحال) بمعنى "لكل مقام مقال". وكذلك، التّداولية اهتمّت بدراسة اللّغة بوصفها أداة للتّبليغ

[1]-علي إبراهيم النملة، مناحي التأثر والتأثير بين الثقافات المثاقفة بين الشرق والغرب، بيسان للنشر والتوزيع، ط2، أوت،2014، ص120.

[2]- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص84،85.

والتّواصل. ويدعم هذا الرأي صلاح فضل بقوله «إن البلاغة تداوليّة في صميمها، إذ إنّها ممارسة الاتّصال بين المتكلّم والسّامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محدّدة للتّأثير على بعضهما، ولذلك فإنَّ البلاغة والتّداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي على أساس أن النص اللّغوي في جملته إنما هو نص في موقف.»[1]. **إذن، هل يمكننا اعتبار التّداولية هي مصطلح آخر للبلاغة بلسان عربي قديم؟**.

ننطلق في إجابتنا عن هذا التساؤل من رؤية مفادها أنَّ كلاّ من علمي البلاغة والتّداولية عُنِيا بدراسة اللّغة أثناء التّخاطب والتّواصل، على الرّغم من وجود اختلاف بينهما الكامن في مستوى اللّغة: فالبلاغة ركزت على الخطابات الرّاقية القرآن الكريم أولاً، والخطابات الشعرية ثانياً، أما التّداولية فقد ارتبطت منذ ظهورها بدراسة لغة التخاطب اليومي ودائرة التواصل، التي تقتضي بدورها توفر أربعة أقطاب رئيسية وهي:

–الباث: وهو الشخص المتلفظ بالرسالة.

–المتلقي: وهو المخَاطب متلقي الرسالة وفاك شفراتها.

–الرسالة: وهي المحتوي الذي يريد المتكلم إيصاله للمتلقي سواءً أكانت لغوية أم اشارية، صريحة أمو مضمرة.

–المقام.

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1979باشراف مشاري العدواني1923–1990، ص89.

ووفق هذه الرؤية، سنحاول الكشف عن أهم تجليات التداولية في البلاغة العربية، لاسيما في علم المعاني.

أولاً المتكلم (the Speaker)[1]:

إن العودة إلى المعاجم اللّغوية والاطلاع على تعريفات البلاغة يكشف لنا ذلك الارتباط بين البلاغة العربية والفكر التداولي. فقد عرَّف معجم الصحاح **للجوهري** (**ت393هـ**) البلاغة على أنها: «مشتقة من مادة "بلغ" نقول بَلَغَ الشَيء يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً أيوصل وانتهى، وبلغت المكان بلوغاً إذ وصلت إليه وشارفت عليه والإبلاغ الإيصال.»[2]. وعرّفها **ابن فارس** (ت 395هـ) في معجمه مقاييس اللغة على أنها « مشتقة من "بلغ" والباء ولام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه»[3]. والملاحظ أن المعاجم العربية قد أجمعت أن البلاغة هي الوصول إلى الشيء والانتهاء.

ويربط **أبو الهلال العسكري** (ت 395هـ) بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي بقوله «البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذ انتهيت إليها وبلَّغتها غيري، ومبلغُ الشيء: مُنْتَهَاه. والمبالغةُ في

[1]-ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنكليزي عربي، دار الكفر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 172.

[2] -أبو نصر سماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2009، ص401.

[3] - أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979، ج1، ص 301-302.

الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميّت البلاغة بلاغةً لأنها تُنهي إلى قلب السامع فيفهمه»[1]؛ ففي هذا التعريف يُبَيِّن أبو الهلال العسكري أن وظيفة البلاغة تكمن في الاتصال والإبلاغ ومدى نجاح المتكلم في إيصال المعنى المراد إلى قلب السامع. كما نستنبط أيضًا إشارته إلى طرفي العملية التواصلية وهما: المتكلم والسامع، إلا أنّه يركز على المتكلم باعتباره منتج الخطاب، وأشار إلى ضرورة امتلاكه القدرة على التأثير في المتلقي وذلك في قوله « البلاغة كلُّ ما تُبلغُ به المعنى إلى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكُّنِه في نفسك مع صُورة مقبولة ومعرض حسن.»[2]. وتتجلى هذه القدرة في امتلاكه للأساليب التعبيرية والبلاغية، وبذلك تصبح البلاغة عبارة عن عملية تواصلية بين المتكلم والسامع يسعى من خلالها الأول إلى إبلاغ رسالة معينة في مقام معين عبر قناة اتصال معينة بأكثر الأساليب إقناعاً وتأثيراً.

أما التداولية فهي مشتقة من الفعل " دول". وجاء في لسان العرب «الدَّوْلَةُ والدُّولة: العُقْبَةُ في المال والحرب سواء، وقيل: الدُّولة بالضم في المال، والدَّولة بالفتح في الحرب...والدّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال... ودالت الأيام: أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أي أخذته هذه مرةً وهذه مرةً.»[3]. وفي معجم مقاييس اللغة الدال واللام والواو أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاءٍ... وتداول القوم الشيء بينهم: إذ

[1]-أبو الهلال الحسن بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، ط1، 1371-1952، ص6.

[2]- المصدر نفسه، ص10.

[3] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري ، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ص1455.

صار من بعضهم إلى بعض[1]. إذن، فمفهوم التداول في المعاجم العربية تمحور حور الانتقال والتحول من حال إلى حال والدوران ،وهو لب التفاعل بين طرفين أو أكثر، وبالتالي التواصل.

أما من الناحية الاصطلاحية، فعُرفت على أنها «دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في السمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي.»[2] وقيل إنها « الدراسة والتخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل.»[3] وقد استخدم **طه عبد الرحمن** مصطلح " المجال التداولي" للدلالة على التداولية، ويقصد به« كل المقتضيات العقديّة واللغويّة، القريبة منها والبعيدة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، والتي تُقوّم استعمال المتكلم للقول بوجه من الوجوه.»[4] كما عرفها بأنها« وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم.»[5]. من هذه التعاريف التي قدمها طه عبد الرحمن، نلاحظ أنها تركز على مفهومي التواصل والتفاعل اللذين يشكلان أساس العملية التخاطبية. فالتفاعل يُعد شرطاً أساسياً لتحقيق التواصل، ولا يتحقق الثاني إلا بوجود الأول.

ويتجلى البعد التداولي في البلاغة العربية أيضا في "الإقناع" الذي يُعد الوظيفة الأساسية للبلاغة ؛ فلا يكون المعنى مِؤثراً مُقنعا إلا إذا فُهِمَ من طرف السامع واستساغه. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح

[1] – ينظر: أبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط2، 1991، ج2، ص .314

[2] – فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفلمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007، ص18-19.

[3] –المرجع نفسه، ص19.

[4] –طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص28.

[5] –المرجع نفسه، ص243.

في تعريف أبي الهلال العسكري للبلاغة، حيث يقول عنها إنها «قَوْلُ مُفْقِه في لُطْفٍ، فَالمفْقِه: المفْهِم، واللَّطيف من الكلام، ما تَعْطِف به القلوب النافرةَ، ويُؤْنِسُ القلوبَ المسْتوحشة، وتَلين به العَريكَة الأبيّة المستَعصية، ويُبْلَغ به الحاجة، وتُقام به الحجّة.»[1]. فالمتكلم إذن يهدف إلى استمالة السامع والتأثير فيه وإقناعه بكلامه.

كما عرض **ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ)** إلى البلاغة في سياق حديثه عن الإستدراج قائلاً: «ولأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها.»[2]. فمدار البلاغة عند ضياء الدين ابن الأثير تكمن في استدراج الخصم إلى التسليم والإذعان. وهذه العبارة لابن الأثير تتوافق مع ما جاء به **بيرمان** في نظريته الحجاجية الحديثة إذ يرى أن غاية الحجاج « أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع حجاج ما وُفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو ما وُفق على الأقل في جعل السّامعين مُهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة »[3]. فيكون محور موضوع نظرية الحجاج دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي إلى الإذعان والتسليم.

استناداً إلى التعريفات السابقة للبلاغة يتضح لنا أن البلاغة قد احتوت على جانبين وهما: الجانب الإقناعي والجانب الحجاجي التداولي.

---

[1] – أبو الهلال الحسن بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص51.

[2] – أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، د2، دت، ج2، ص250.

[3] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع،ط1، 2011، ص13.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، سعت البلاغة إلى وضع شروط ومواصفات خاصة بالكلام سُميت بشروط الفصاحة منها ما يرتبط بالكلمة ومنها ما يرتبط بالكلام والمتكلم.

أولا–بالنسبة للكلمة يجب أن تسلم من أربعة عيوب[1]:

- تنافر الحروف
- غرابة اللفظ
- مخالفة القياس
- الكراهة في السمع.

فبالنسبة للعيب الأول، نجده يتعلق بمخارج الأصوات، لذلك نجد أن الذوق العربي حاول الابتعاد عنه، وخير مثال يُساق لهذه الظاهرة هو كلمة" مستشزرات" في قول امرئ القيس[2]:

وفَرْعٍ يُغَشِّي المتْنَ أَسود فاَحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلاَ تَضِلُّ المِدارَى فِي مُثَنَّى ومُرْسَلِ

[1] – ينظر: جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مصر، ط1،2012، ص 96.

[2]–امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،مج1، ط4،1984،ص16-17.الفرع: الشعر الطويل. والفاحم: شديد السواد كالفحم. الأثيث: الكثير النبات. القِنو:ا لعِذْق، هو كباسة النخلة. والُتعثكل: المتداخل لكثرته. الغدائر: ذوائب الشعر. وقوله «مستشزرات إلى العلا»، أي مفتولات إلى فوق، والشزْز من الفتل: ما أدبرت به عن صدرك.

خرجت كلمة "مستشزرات "عن معيار الفصاحة، وذلك لثقلها على اللسان وعُسر التلفظ بها، وبذلك لم يتحقق بها وصف "فصاحة الكلمة المفردة". فكلمة مستشزرات «غير فصيحة لثقلها على اللسان، وهذا الثقل إنما جاء من تقارب مخارج حروف هذه الكلمة»[1].كما نجد أن الذوق العربي يتناول هذه الظاهرة بالفطرة فلا ضابطَ «لمعرفة الثِّقل والصّعوبة سوى الذّوق السّليم والحِس الصّادق النَّاجمينِ عن النّظر في كلام البُلغاء ومُمارسة أساليبهم. »[2].

أما الشرط الثاني، فيتعلق بالمعجم المستعمل من طرف المتكلم، يقول **الباقلاني(ت 403هـ)** في ذلك: «يجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضحَ في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مُسْتَكْرَهَ المطَلَعْ على الأذُن، و[لا] مستنكر المؤْرِدِ على النفس، حتى يتأتَى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويص معناه عن الإبانة. ويجب أن يتنكَّب ما كان عاميّ اللفظ، مبتذل العبارة».[3] فاللفظ الغريب يؤدي إلى إبهام المعنى وبالتالي يحدث نوعاً من الانفصال في العملية التواصلية بين المتكلم والسامع.

أما فيما يخص شرط مخالفة القياس، فهو «كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب، بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها الواضع»[4]. ومن الأمثلة المسوقة لهذه الظاهرة لفظة (الأجْلَلِ) في قول أبي النجم العجلي[5]:

---

[1]–فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، إربد، الأردن،ط،1997،ص24.

[2]–السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص 7.

[3]–أبو بكر محمّد بن الطيّب البَاقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،دط،دت،ص117.

[4]–جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مصر، ط1،2012،ص97.

[5] – أبو النجم العجلي الفضل بن قدامة، ديوان أبي النجم العجلي، تح: محمد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، دط، 2002، ص337،338

الحمد لله العلي الأجْلَلِ الوَاهِبِ الفَضْلِ الوُهُوبِ المِجْزَلِ

يقول صاحب كتاب البلاغة الميسرة في تفسير ذلك أن القياس في كلمة "الأجْلَلِ" "الأجَلِّ بالإدغام" ولا مصوغ لفكّه[1].

أما الشرط الرابع المتعلق بالكراهة في السمع، فيكون عندما تكون «الكلمة وحشيةُ تأنفها الطباع و تمجُّها الأسماع، وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة» كما هو الحال لكلمة"جِرِشَّى" بمعنى "النفس" المتجلية في قول المتنبي يمدح سيف الدولة[2]:

مبارك الاسم أغرُّ اللقب كريم الجرشى شريف النسب

فيجب أن تكون الكلمة فصيحة سليمة حتى لا يُبْهَم المعنى ويحول دون تحقيقه. كما وجب «أن تكون كلُّ كلمة فيه جاريةُ على القياس الصَّرفي، بينةُ في معناها، مفهومةً عذبةً سلِسةً»[3]. وتكون الكلمة مكروهة السمع أيضاً إذ لم تكن مألوفة الاستعمال بين الكتاب والشعراء، إذ إن الفيصل في الحكم على الألفاظ هو الذوق السليم، لأن اللفظ هو عبارة عن صوت، والصوت إما أن تُطْرب له الأُذن أوَ تنْفر منه.

ثانيا–بالنسبة للكلام: ويُشترط فصاحته بخلوه من العيوب التالية[4]:

[1]–ينظر: جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، البلاغة الميسرة، ص98.

[2] – المرجع نفسه، ص98.

[3]–المرجع نفسه، ص98.

[4]– المرجع السابق، ص 25،65.

- تنافر الكلمات
- ضعف التأليف
- التعقيد اللفظي
- التعقيد المعنوي

يتصل الشرط الأول بالجانب الإيقاعي للتركيب (وهو نفس الشرط الذي تمت الإشارة إليه في شروط فصاحة الكلمة). فحروف الكلمة عندما تكون متقاربة المخارج تسبب نوعا من الثقل على اللسان، وينطبق الأمر نفسه مع التركيب؛ فعندما تنتظم الكلمات المتقاربة داخل التركيب، تؤدي إلى عسر اللسان في الانتقال من اللفظة إلى أخرى أولاً، وإلى نوع من العسر في توليد الدلالة وفهم قصد المتكلم.

ومن شواهد هذا الشرط قول الشاعر[1]:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفِر وليس قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ

[1]-.قائل هذا البيت مجهول قيل أنه من نظم الجن فقد ذكر الرضي الإستربادي في شرح شافية ابن حاجب ذلك قائلا:« يزعمون أن علقة بن صفوان وحرب بن أمية من قتلى الجن فقالت الجن: وقبر حرب بمكان قبر إلخ وقالو: ومن الدليل على أن هذا البيت من شعر الجن أن أحداً لا يقدر أن ينشد ثلاث مرات متصلة من غير تتعتع ويقدر على تكرار أشق بيت من أبيات الانس عشر مرات متصلة من غير تتعتع». محمد بن الحسن الرضي الدبن الإستربادي نجم الدين، شرح شافية ابن حاجب، تح: محمد نور حسن ومحمد زفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1975، ج4، ص487.
وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين« ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرَّاتٍ في نسق واحدٍ فلا يتتعتعُ ولا يتلجلج، وقيل إن ذلك إنما اعتراه ذلك من أشعار الجن صدقوا بذلك. » أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ط7، 1998، ج2، ص207

فهذا البيتَ لا يَتَهَيَّأُ لأحدٍ أن يُنْشدَهُ ثلاثَ مرات متواليات دونَ أن يَتَتَعْتَعَ، لأنَ اجتماعَ كلماته وقُربَ مخارجِ حروفها يحدِثانِ ثِقلاً على اللسان، مع العلم أنَّ كلَّ كلمةٍ منه لو أُخذتْ وحدها كانت غير مُستكْرهةٍ ولا ثقيلةٍ.

أما الشرط الثاني، فهو خلو التركيب من **ضعف التأليف**، وهو خروج الكلام عن قوانين النحو ومثال ذلك قول حسان بن ثابت الذي مدح فيه مُطْعِم بن عُديُ بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ القرشي النوفلي وهو بيت من البحر الطويل[1]:

وَلَوْ أَنَّ مَجْداً أَخْلَدَ الدَّهْرِ وَاحِداً مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمَا

حيث سجل البلاغيون خروج هذا البيت عن معيار الفصاحة وسبب ذلك «أن الضمير في «مَجْدُهُ» يعود إلى« مُطْعِمَا» وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت، وفي الرتبة لأنه مفعول به، ورتبة المفعول متأخرة على رتبة الفاعل»[2].وهذا ما يقصد به **عبد القاهر الجرجاني** " بالنظم"، والنظم « ليس إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأُصوله، وتعرف منَاهجه التي نُهِجَت فلا تَزيغ عنها».[3] فالنظم عند عبد القاهر الجرجاني هو توخي معاني النحو، أي أن دلالة اللفظة المفردة تتعدى حدود أسوار بنية الكلمة إلى التركيب، ومنه تتحدد دلالة الكلمة بمقدار دورها الوظيفي داخل حدود النص كالفاعلية والمفعولية، الإسناد...الخ، ومن الأولويات التي يجب الاعتداد

[1]–حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، 235.

[2]– عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1، 2009، ص20.

[3]–أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجّاني النحوي، أسرار البلاغة في علم البديع ، تح: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1، ص359

بها حتى يكون التأليف حسناً الرتب النحوية كالتعريف والتنكير، التقديم والتأخير، التكرار، الحذف، الإضمار، الإظهار...الخ. إذاً، فَعَدُ هذا الشرط" من شروط فصاحة الكلام" مفاده أن أي خلل في التأليف والترتيب يؤدي بالضرورة إلى خلل في إنتاج الدلالة والفهم من طرف المتلقي.

أما الشرط الأخير من شروط فصاحة الكلام فهو **خلوه من التعقيد**، وهو نوعان: لفظي ومعنوي. **اللفظي** :ما ارتبط بالكلمات والتركيب وهو « أن يكون الكلامُ خَفيَّ الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنِها الأصليةِ، أو بالفصل بين الكلمات التي يجبُ أن تتجاورَ ويتَّصِلَ بعضُها ببعضٍ، فإذا قلت: ما قرأ إلاَّ واحداً محمدٌ مع كتاباً أَخيه»[1]. فهذا الكلام غير فصيح لضعِفِ تأليفهِ، إذ أصلُه: ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتاباً واحداً.

والمعنوي: ما ارتبط بمعاني الكلمات المستعملة، ومفاده «أن يعمد المتكلِّم إلى التعبير عن معنّى فيستعمل فيه كلماتٍ في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يُريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع»[2]. وبذلك لا بد «أن يكون الكلام واضحا ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه. وسواءً أكان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً»[3].

فهذا الشرط بنوعيه يؤدي إلى خلل في التركيب، الأمر الذي يقود المتلقي إلى الغموض في فهم الدلالة، وبالتالي يُغرق السامع في احتمالية تعدد المعاني، ومنه تتعطل عملية الفهم لمضمون الرسالة

[1]-جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، ص98.

[2]- المرجع نفسه، ص99.

[3]- جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس والنقد الأدبي الحديث، دار يافا للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 245.

الموجهة إليه. وهو ما صرح به **الجاحظ** في كتابه البيان والتبيين بقوله « وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع»[1].

وبذلك عمل البلاغيون على تحديد شروط الفصاحة والبلاغة حتى يستطيع المتكلم أن يسير وفقها، حتى يستطيع إيصال المعنى وتوضيحه للمتلقي والتأثير فيه، وهذا ما نلمحه في تعريف البلاغة على أنها «تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يُقال فيه، والأشخاص الذين يُخاطَبون»[2].وبالتالي نخلص إلى أن البلاغة ترتكز على أمرين هما: الوضوح والتأثير مع مراعاة المقام.

ثالثا– بالنسبة للمتكلم، وهي «صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يجول في خاطره من الأغراض والمقاصد.»[3]. فهو بذلك محور إنتاج الدلالة وتبليغ المقاصد للمتلقي.

وإذا تحدثنا عن مبدأ القصد، فإننا نستحضر في ذلك قول **ابن خلدون** (**ت808هـ**) ت في كتابه المقدمة، في الفصل السادس في علوم اللسان العربي بقوله «اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن قصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العُضو الفاعل لها وهو اللسان»[4]. نخلص من خلال هذا القول إلى ربط ابن خلدون

[1]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت،ج1، ص75.

[2]–جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، ص103.

[3]–أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص34.

[4]–عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، ج3، ط5، دت، 237.

بين القصد والأداء الفعلي للغة من طرف المتكلم، وهو الموضوع نفسه الذي عرض إليه أوستين في نظريته الأعمال اللّغوية، حيث اعتبر أن الفعل اللغوي هو الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة.[1] فدلالة الأفعال الكلامية إذن وقصديتها تتعلق بالمتكلم وما يدور في ذهنه أثناء التلفظ، سواءً أصرّح بها عن طريق الملفوظات أو ترك حرية التأويل للمتلقي.

والقصدية في النظرية التداولية مبدأ منبثق من نظرية الأفعال اللّغوية، ومفاده «أن كل فعل كلامّي يقوم على مفهوم القصدية، وتقوم مسلمة القصدية على أسس تداولية حيث أصبحت القصدية قيمة تداولية نصّية حواريّة لها شبكة من المفاهيم التي تُعد أبرز المفاتيح المنهجيّة في الدّراسات اللسانية النصية.»[2]

كما عد صاحب كتاب المغُني مبدأ القصد من الشروط الواجب توفرها في المتكلم حتى يصبح متكلماً، ويوضح ذلك بقوله «أن المكلِّم لغيره إنَّما يَحْصُل مكلّماً له بأنْ يقصده بالكلام دون غيره. ويكون أمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه المأمور به»[3]، فلا يُعَدُ المتكلم متكلما ما لم يتحقق القصد، وبذلك يصبح القصد «قانوناً داخلياً في صلب المواضعة يحدِّد نوعيّة أجناس الخطاب من خبر أوامر أو استخبار فيتحوّل بالصّياغة اللسانيّة من الوظيفة الاقتضائية كما في الأمر والنّهي والطّلب»[4].

[1] – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1،تموز، 2005، ص10

[2] – آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي الشريف دراسة تداولية، دار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016، ص124.

[3] – أبو الحسن القاضي عبدالجبّار الأسدآبادي، المغني في أبواب التّوحيد والعدل، تح: محمد علي النجار وعبد الحليم النجار، دط، دت،ج5، ص12.

[4] –عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2 ،1982، ص148.

ويتجلى مبدأ القصد أيضاً عند "**ابن جني**"(**ت255هـ**) في سياق تعريفه للغة بقوله «أمَّا حدُّها فإنَّها أصواتٌ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]. فاللغة عند ابن جني هي أصوات يتفوه بها المتكلم، ولا يكون هذا التلفظ اعتباطياً وإنما عن قصد ووعي وفهم حتى يتحقق الغرض، أي القصد. هنا يتقاطع ابن جني مع أوستين في نظريته الأفعال الكلامية، فالتلفظ هو الأساس الذي بنى عليه كل من أوستين وسيرل نظرية الأفعال اللغوية بوصفها ممارسة من طرف المرسل إليه لإنجاز فعلٍ لغويٍ فعلاً. وعليه، فإن الحديث عن التواصل ووظائفه ومقاصده في الخطاب البلاغي يتحدد بتضافر ثلاثة مبادئ وهي: الفعل اللغوي، السياق، الإنجاز، ومنه التلفظ هو عملية يقوم بها المتكلم بحيث يصدر أصواتاً تتحول بدورها إلى ملفوظات، وهذه الأخيرة تأخذ شكلها وفق المقام التي وردت فيه ومنه يتحقق فعل الإنجاز. فتكون بذلك اللغة خطاب اجتماعي وُجد للتبليغ والإفادة.

وقد ذكر **عبد السلام المسدي** مصطلح "ما وراء اللغة"، وقصد به وظيفة الكلام على الكلام أثناء تحليله لمقوله القرطاجني الخاصة بظاهرة مواضعات اللغة بقوله «وهذا التحليل وإنْ لامس موضوع وظيفة ما وراءَ اللّغة، أي وظيفة الكلام على الكلام باعتبارها إحدى وظائف اللّغة فإنه يختص بقضيّة تصوّر الفكر لمقوله المواضعة بربْطها بمقوِّم القصد انطلاقا من الطّاقة التّأثيرية الفعّالة التي يمارسها العقل فيتسلّط بها على تنظيم أجزاء الكلام»[2]. واستنتج أن الإنسان بموجب قوانين القصد

[1]- أبو الفتح عثمان بن الجني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط2، دت، ص33.

[2]-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية،ص153.

والمواضعة يستطيع التصرف في تركيب أجزاء اللغة، والحروف ليصل إلى دلالات لا مراجع لها في العالم الخارجي، وإنما هي صور عقلية يحيل الدال اللغوي إلى مدلولها ومرجعهما المتطابقين في الذهن .[1]

وعن أسبقية ترتيب هذين الاثنين (القصد والمواضعة) في ظاهرة الكلام، فقد كسر التفكير اللغوي التصنيف العمودي القائل بأن يكون أحدهما مولداً للآخر «بحيث تصير كلا من القصد والمواضعة شرطين واجبين لسلامة تصوّر الحدث الكلامي وهما- مؤتلفين معاً- يمثلان الشرط الواجب والكافي في هذا التصوّر الشمولي.»[2] بعد أن كانت المواضعة شرطاً واجباً غير كافٍ، ويكون القصد شرطاً واجباً وكافياً معاً. وبذلك يصبح كلا من القصد والمواضعة، وفق نسبة التوازن، شرطين واجبين لسلامة تصور الحدث الكلامي وهما-مؤتلفين معاً- يمثلان الشرط الواجب والكافي في هذا التصوّر الشمولي[3].

ثانياً: المُخَاطَب :(Alloctive)[4]

لا يقل هذا القطب أهميةً في العملية التواصلية عن منتج الخطاب، فقد اهتم به البلاغيون من خلال بحوثهم حول "المقام" و "مقتضى الحال"، فالحال هنا هو حال المخاطب، وعليه يتجلى بوضوح الترابط القائم بين الصياغة اللغوية وكلام المخاَطب وظروفه الاجتماعية والثقافية.

[1]-ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص153.

[2]- المرجع نفسه، ص150.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص150.

[4] ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنكليزي عربي، ص 19.

كما يُعتبر أيضاً الطرف المشارك في صياغة التصور العام للرسالة، حيث يفكر منتج الخطاب بالمخاطَب أثناء صياغة كلامه وهو ما نستشفه من قول الجاحظ« ينبغي للمتكلِّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلاماً، ولكلِّ حالةٍ من ذلك مقاما، حتَّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»[1] فالمتكلم لابد أن يراعي أصناف المستمعين وحالاتهم الاجتماعية والنفسية، وذلك لتحقيق الانسجام والتوافق بين ذات المتكلم والذات المتلقي. فلكل طبقة من الناس صنف من الكلام يناسبها، وعدم احترام هذا التصنيف الطبقي يؤدي إلى انعدام منفعة الخطاب وتَعذُّر الإفهام.

فهذا الأسلوب القائم على التأدب في الكلام ومراعاة طبقية المجتمع نلاحظه فضلاً عن الجاحظ عند أبي الهلال العسكري في قوله« وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو. ولا يتجاوز به عما يعرفه، إلى مالا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعم منفعة الخطاب.»[2] فالغاية من هذا هو تحقيق المنفعة والفائدة من الخطاب.

ويُحذر ابن وهب من خطورة استخدام ألفاظ غير مفهومة لأنها تؤدي إلى قطع حبل التواصل والتفاهم فيقول «وإنما من يُكلم إنسانا بما لا يفهمه وبما يحتاج إلى تفسيره له كمثل من كلم غريبا

[1]-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص138،139.

[2]-أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، تح: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، دط، دت،ص29.

بالفارسية، لأن الكلام أنما وضع ليعرف به السامع مراد القائل، فإذا كلمه بما لا يعرفه سواء عليه أكان ذلك بالعربية أم بغيرها؟!.»[1]، كان هذا في سياق حديثه عن "بلاغة الخطابة".

كما تنبه **ابن وهب** أيضاً إلى ضرورة مراعاة الحالة النفسية للمتلقي ومدى استجابته وردود أفعاله إذ يقول «وإذا رأى من القوم إقبالا عليه وإنصافا لقوله فأحب أن يزيدهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم، وإذ تبين منهم إعراضاً عنه وتثاقلاً عن استماع قوله خفّف عنهم. فقد قيل: من لم يَنشط لكلامك فارفع عنه مئونة الاستماع منك.»[2]، نلمح من هذا القول أن حال المتلقي متغيرة إما بالقبول أو الإعراض، لذا وجب على المخاطَب أن يراعي هذا الجانب لأنه حتى وإن كانت حاله ثابتة فحال الطرف الثاني متغيرة.

وقد أولى **شاييم بيرلمان** المتلقي أهمية كبيرة في نظريته، إذْ أكد على فكرة المتلقي التي تمثل نقطة تقاطع بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة بقوله: « فما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة المتلقي التي ترد إلى الذهن .مباشرة عندما نفكر في الخطاب، فكل خطاب موجه إلى متلقٍ، ولكن الغياب المادي للقرَّاء قد يجعل الكاتب يعتقد أنه وحيد في العالم ... فيكون نصّه مشروطاً بالأشخاص الذين يقصد مخاطبتهم»[3]. يتضح من هذا مدى اهتمام بيرمان بآليات التواصل اللغوي بأنواعه: المنطوق والمكتوب والرمزي تلتحم فيه أقطاب العملية التواصلية وهي: المتكلم، السامع

[1]-أبو الحسين اسحاق ابراهيم بن سليمان بن وهب الكَاتب، البرهان في وجوه البيان الذي نُشر من قبل تحت اسم "نقد النثر لقدامة بن جعفر"، تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مصر، دط، دت، ص163.

[2]- المرجع نفسه ، ص153.

[3] - آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الخطاب النبوي الشريف دراسة تداولية، ص 84.

والمقام. والمتلقي عند بيرمان بحسب المقام، ولذلك يرى أن الخطيب يلزمه أن يفهم المقام المتَكَلَم فيه ويلزمه الوعي بأحوال السامعين ومستوياتهم المعرفية والإدراكية.[1]

وإذا ما تحدثنا عن بلاغة الكتابة عند **أبي الهلال العسكري** فأوّل «ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق...والشاهد عليه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته، فكتب: من محمد رسول الله إلى كسرى إبرويز عظيم فارس: سلامٌ على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، فأدعوك بداعية الله، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافّة لينذر من كان حّياً، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإثم المجوس عليك. فسهل صلى الله عليه وسلم الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية.»[2]. يرى أبو الهلال العسكري أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل هذا الأسلوب المبسط السهل «حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية.»[3] وبذلك يكون قد أشار إلى ضرورة مراعاة الطبقة المخَاطَبَة.

كما أشار إلى ضرورة معرفة أقدار المكتوب إليهم من «الرؤساء والنظراء والغلمان والوكلاء..، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذكر السلامة وبين من تكتب إليه بتركها إجلالاً وإعظاماً، وبين من تكتب إليه: أنا أفعل كذا، وبين من تكتب إليه: نحن نفعل كذا، فأنا من كلام الإخوان

[1] – ينظر: حافظ اسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ج2 ، ص 185.

[2] –أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، ص103.

[3] – المصدر نفسه، ص103.

والأشباه، ونحن من كلام الملوك.»[1]. وبذلك يكون قد رصد الجوانب التداولية في الخطاب؛ إذ نوَّه إلى ضرورة مراعاة الظروف الخارجية للمتلقي من حالة ومكانة اجتماعية وسياسية، وذلك بغية تحقيق المنفعة من جهة، وتقبل ورضا الطرف المتلقي من جهة أخرى.

وربط **عبد القاهر الجرجاني** (**ت471هـ**) تحليله للعلاقات النحوية بالسامع، فهو يثبت أن المتكلم يراعي حالته أثناء إنتاجه للجمل وتوجيهها له، وخير ما نستدل به كمثال توضيحي هو المثال الذي أورده الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز" زيد منطلق"، و"زيد المنطلق". فإذا كان السامع خالي الذهن فهو بحاجة إلى فائدة الابتداء فيُجاب بجملة إسنادية يكون مسندها نكره، و إن كان يعلم وقوع المسند ولكنه متردد في إسناده إلى مسند إليه مختلف عندها يضطر المتكلم إلى إضافة "ال" التعريف للمسند لتحدده للمسند إليه دون غيره.

ثم بعد ذلك يذهب في تفصيل هذا الشرح فيقول: «والنكتةُ أنك تثبت في الأول الذي هو قولك: «زيد منطلق» فعلاً لم يعلم السامع من أصله أنه كان، وتثبت في الثاني الذي هو «زيد المنطلق» فعلاً قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يَعْلمه لزيد، فأفدته ذلك. فقد وافق الأوَّل في المعنى الذي له كان الخبر خبراً، وهو إثبات المعنى للشيء. وليس يقدح في ذلك أنَّك كُنت قد علمتَ أن انطلاقاً كان من أحد الرجلين، لأنك إذا لم تصل إلى القطع على أنه كان من زيد دون عمرو، وكان حالك في الحاجة إلى مَنْ يُثبته لزيد كحالك إذا لم تعلم أنه كان من أصله.»[2]

[1]- أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، ص103.

[2]-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1،دار الكتب العلمية، د1، 2001، ص120.

ويستمر الجرجاني في توضيح الفروق القائمة في دلالات الجمل التي يعتمدها المتكلم بحسب حالة السامع فيقول:« وتمامُ التحقيق أنّ هذا كلام يكون معك إذ كنت قد بُلِّغتَ أنه كان من إنسان انطلاق من موضع كذا في وقت كذا لِغرض كذا، فجوَّزت أن يكون ذلك كان من زيدٍ، فإذا قيل لك: «زيد المنطلق»، صار الذي كان معلوماً على جهة الجواز، معلوماً على جهة الوجوب ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هدا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى فَصْلاً بين الجزأين فقالوا: «زيدٌ هو المنطلق.»[1]

إضافة إلى حال المخاطب، يشترط عبد القاهر الجرجاني في السامع أن يكون عالما باللغة إذ يقول «ذاك لأنه لا يخلو السامعُ من أن يكون عَالِماً باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها، أو يكون جاهلاً بذلك. فإن كان عالماً لم يُتصوَّر أن يتفاوتَ حال الألفاظ معه، فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه معنى لفظ آخر: وإن كان جاهلاً كان ذلك في وصفه أبعد.»[2]

ويضيف الجرجاني شرطاً آخر لا يقل أهمية عن الشرط الأول، هو شرط تذوق اللغة إذ يقول «وَاعلم أنّه لا يصادف القولُ في هذا الباب موقعاً من السامع، ولا يجِدُ لديه قَبولاً، حتى يكون من أهل الذَّوق والمعرِفة، وحتى يكون ممن تحدِّثه نفسه بأنَّ لما يُومئُ إليه من الحُسن واللُّطف أصلاً، وحتى يختلف الحالُ عليه عند تأمّل الكلام، فيجد الأرْيَحِيَّة تارةً، ويَعْرَى منها أخرى، وحتَّى إذا أعجبته عَجِب، وإذا نبَّهتَه لموضع المزية انتبه. فأما من كانَ الحالان والوجهان عنده أبداً على سواءً، وكان لا يتفَقَّد من أمر النَّظم إلا الصِّحة المطلَقة، وإلاّ إعراباَ ظاهراَ، فما أقلَّ ما يُجْرى الكلام معه، فليكن من

[1]- المصدر نفسه ، ص120.

[2]- المصدر نفسه، ص267.

هذه صفته عندَك بمنزِلةِ من عدم الإحساس بوزن الشعر، والذَّوق الذي يقيمه به، والطَّبْعَ الذي يُمَيِّز صحيحه من مكسوره، ومُزاحفهُ من سالمه، وما خَرَج من البَحر مما لم يَخرُج منه...»[1].

نستخلص من هذه المقولة أن تأثر السامع بالكلام متوقف على ما يتحلى به من ذوق ودراية التي تمكنه من الوقوف على مكامن الحسن والجمال، وأن يكون فطناً يقظاً حتى يتوصل إلى قصد المتكلم، فتكون استجابته للكلام مناسبة لما نُقِلَ له. كما ينبه إلى نقطة أخرى تتعلق بالتأثر الذي ينتفي عن السامع الذي تتساوى عنده الوجوه والحالات، فلا يتفطن إلا للصحة النحوية والقواعد الشعرية والأحكام الإعرابية فيكون الكلام عنده قليل الأثر منعدماً.

وبذلك يمكننا القول إن البلاغة تستثمر المنحى التداولي لضمان تحقيق أهدافها وفي إقناع المتكلم للطرف الثاني وحثه على الإذعان بتغيير وجهة نظره. فإذا كانت التداولية في أبسط تعريفاتها هي دراسة اللغة أثناء الاستعمال فإن البلاغة هي« المعرفة باللغة أثناء استعمالها، وبكلمة هي: فنّ القول. ويشمل هذا التعريف مجالين واسعين يمكن أن تستند إليهما مفاهيمُ أساسية في اللسانيات التداولية:

-**الأول: الفنّ**: وهو كل ما يرتبط بالذوق، والاستخدام الشخصي للغة، أي أنه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم وكيف يمكن للمتكلم أن يعدّل من موقف سامعه، وهو مجال التداولية الأوسع الذي حددّه(بيرس) في دراسة العلامات وعلاقتها بمستعمليها.

-**الثاني: القول**: ويشمل الأداء الفعلي للغة، أي اللغة في واقع استعمالها.»[1]

[1]- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص291.

ثالثا: المقام : (Context)[2]

يحتل المقام* -إلى جانب القطبين السابقين- مكانة مهمة في الدرس البلاغي العربي القديم، باعتباره من السمات المحددة لدلالة الخطاب. وقد اهتم البلاغيون العرب القدامى بالمقام من خلال مصطلحات أهمّها "مقتضى الحال" و"لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبتها مقال"، مما يدل على مكانته في المنظومة اللغوية التواصلية والحجاجية.

ومن التعريفات التي تتعلق بإبراز ملمح المقام في التداولية تعريفها على أنها« دراسة الاتصال اللغوي في السياق»،[3] وأنها «دراسة المعنى السياقي»[4]، وأنها «علم استعمال اللغة في المقام»[5]، مما يعني أن حقل التداولية هو دراسة اللغة والأقوال في استعمالات المقامية المختلفة. فهي بذلك تتعدى حدود أسوار دراسة اللغة من البنية إلى القصد والسياق والاستعمال، متخطيةً في دراستها مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

---

[1]-خليفة بوجادي، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية مشروع لربط البلاغة بالاتصال، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ج1، ص814،818.

[2] – ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنكليزي عربي، ص61.

*ويُقصد بهذا التعبير البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنوية الصغرى، أو بالكلمة أو بالجملة، ويعني الوحدات التي تسبق وتلي وحدة لغوية محدّدة . ما يعني مجموع العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنكليزي عربي، ص61.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 22.

[4] – جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرين، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص19.

[5] – صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، 2008، ص11.

وما تجدر بنا الإشارة إليه، أن تمام حسان قد وضَّح الفرق بين مصطلحين بلاغيين هما " مقتضى الحال" والمقام" إذ يقول:« ولعل البلاغيين العرب حين تكلموا عن «مقتضى الحال» كانوا يقصدون شيئاً قريباً مما أطلقنا عليه هنا «غاية الأداء»، ومن هنا يكون مقتضى الحال كما نفهمه جزءا من المقام في فهمنا أيضا وليس المقام كله»[1].

ولهذا، اعتبر البلاغيون العرب القدامى أن المقام حالة ثابتة لا تتغير، فهو حسب ما صرَّح به جميل عبد المجيد «إذا كان المقام كذا فالمقتضى كذا»[2]. غير أن **تمام حسان** خالفهم في هذا المبدأ وربطه بالثقافة الشعبية*، وبالتالي يتغير المقام بتغير المكان والزمان ويتطور بتطوره كما وصفه بالاستمرارية وذلك لتوارثه عبر الأجيال، إذ يقول «إن مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجاباً وسلباً ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان، هو ما أسميه المقال، وهو بهذا المعنى يختلف بعض اختلاف عن فهم الأولين الذين رأوه حالة ثابتة ثم جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال. ويأخذ المقام –كما فهمناه هنا– دائما من نسيج الثقافة الشعبية »[3].

ولعل هذا الثبات راجع إلى المعيارية، فقد كانت تعليمية بدرجة أولى في تلك المرحلة. وهو ما ذهب إليه **ليتش** في العصر الحديث حين عرَّف التداولية بأنها « تدرس كيف أن ضروب التلفظ

[1]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994،ص37.

[2]– جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال،ص53.نقلا عن الطيب رزقي، المقام خزان الحجاج، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة https://www.asjp.cerist.dz/en/article/101957، ص63.

*–وهي حسب تمام حسان لا ترتبط بمعنى التعليم والتثقيف وإنما المقصود بها كل ما يشمل العادات والتقاليد وطرق السلوك والمعتقدات والفلكلور الشعبي. للاستزادة انظر: تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، ص352.

[3]–تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 352.

بالعبارات لها دلالات في مواقف معينة »[1]، ولهذا تتغير دلالته الملفوظ حسب المقام والموقف التواصلي الذي يرد .

فالحديث عن المقام في الثقافة العربية نجد بوادره متجلية بوضوح في المدونات البلاغية. فنجد مثلا **القزويني** يُعرف علم المعاني على أنه: «علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال»[2]. فمراعاة المقام هي مراعاة لحال السامع أثناء تلقيه للخطاب.

والمقام كفكرة نجدها متجلية في صحيفة بشر بن المعتمر إلى إبراهيم بن جَبَلة بن مَخرمة السكوني الخطيب في تعليم الخطابة، الوارد نصها في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ومما جاء فيها : «فَكُن في ثلاثِ منازل، فإن أُولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذْباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إمَّا عند الخاصَّة إن كُنت للخَاصة قصدت، وإمَّا للعامة إنْ كُنت للعامة أردت...وإنَّما مدار الشّرف على الصواب وإحرازِ المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال...فأنت البليغ التام»[3].

وبذلك، فلمقام المتلقي دور مهم في عملية الخطاب التواصلي، إذ نلمح وضع بشر بن المعتمر للمتكلم طريقة خاصة في الكلام حيث عمد إلى تقسيم طبقة الخاصة والعامة، مع ذكره للألفاظ الخاصة بكل طبقة، وهو ما ذهب إليه **ابن وهب** في كتابة "البرهان في وجوه البيان" بقوله « وأن يكون الخطيب أو المرسل عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في

[1] –جيوفري ليتش، مبادئ التداولية ،تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2013، ص5.

[2] –جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص23.

[3] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص136.

موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإدجار والملالة، ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السُوقة، بل يُعطي كل قوم من القول بمقدارهم، ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: «لكلٍّ مقام مقال»»[1].

وفي ذات السياق، يبرز التصنيف الطبقي لنمط الكلام في قوله «فإن الإيجاز ينبغي أن يُستعمل في مخاطبة الخاصة، وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول من كثيره، وبمُجمله عن تفسيره، وفي المواعظ والسنن والوصايا التي يُراد حفظها ونقلها...أما الإطالة فهي مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الأفهام، ومن لا يكتفي من القول بيسيره، ولا يتفقُ ذهنه إلا بتكريره، وإيضاح تفسيره».[2]

ولهذا، كان للمقام دور جوهري في تحديد كل من مقامات الكلام، الأجناس الأدبية، وأنواع الخطاب. يقول أبو الهلال السكاكي في باب" لكل مقام مقال" «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية...وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل مقتضى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام.» [3] .

كما نجد **ابن رشيق القيرواني (ت463هـ)** يحتكم إلى المقام حين يتحدث عن الشعر، فيميز بين المقام الخطابي والمقام الشعري فيقول« ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه، وينسبه

[1]-أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكَاتب، البرهان في وجوه البيان الذي نُشر من قبل تحت اسم "نقد النثر لقدامة بن جعفر" ، تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، دت، ص153.

[2]- المرجع نفسه، ص153.

[3]-أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1987.

إلى أمه، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أهل السوقة، فلا ينكر ذلك عليه»[1]. فالخطاب الشعري يكون موجهاً إلى طبقة خاصة، بينما الخطاب يكون للناس جميعا يتميز بالتلقي المباشر، فالمقام بذلك هو الذي يُحدد أسلوب القول وألفاظه.

ولا يخفى علينا أن البلاغة العربية قد صنفت المخاطَبين إلى ثلاثة أصناف في ضوء مراعاة مقتضى الحال: مُخاطَب خالي الذهن، مُخاطَب شاك متردد، ومُخاطَب جاحد منكر، فتتصاعد بذلك درجات التأكيد حسب هذا الترتيب[2].

لقد تبوَّأَ المقام مكانة مهمة في البلاغة العربية، ودليل ذلك ارتباطه الشديد بأحد فروع البلاغة العربية الثلاثة وهو "علم المعاني" فهو: «علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال»[3]ومقتضى الحال هو «أن يكون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها، ومناسباً للموقف الذي يتحدث فيه...»[4] وقد استشهد على ذلك بكلام كل من الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجاحظ، أبو الهلال العسكري، والسكاكي. مما يدل على مكانته الجوهرية في البلاغة العربية.

ولم يقتصر الاهتمام بالمقام على الدرس البلاغي العربي القديم فقط وإنما نلمح تجلياته بوضوح في حقل التفسير والأصول، فقد فعنوا واستعانوا به في تعاملهم مع الخطاب القرآني بغية تحديد

[1] – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي ادين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981،ج1، ص22.

[2] –ينظر: محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، افريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص35.

[3] –جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد، القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص23.

[4] –أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون القافية العامة، بغداد، ج2 (ر–و)، ص341.

الدلالات الصحيحة والمضبوطة من النصوص الشرعية، مما جعلهم يضعون المقام عنصر أساسي في تحديد ماهية "علم التفسير" يقول **السيوطي** في ذلك « التفسير كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام»[1].

فالبنية اللغوية للفظ تبقى عاجزة عن كشف كل من الدلالة الحقيقة ومراد المتكلم وقصده، وقد عبر عن هذا ابن قيم الجوزية في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين قائلاً:« والألفاظ لم تقصد لذواتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإن ظهر مراده ووضح بأي طريقة كان عُمِلَ بمقتضاه، سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو بإيماءة أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة له مطردة، لا يُخَّلُ بها، أو من مقتضى كما له وكمال أسماءه وصفاته، وأن يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد وترك إرادة ما هو متيقن مصلحته، وأنه يستدل على إرادته للنظير بإرادة نظيره ومثله وشبهه...»[2]. ومثال ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾[3] ، فلفظة الأموال ليست هي المقصودة بحد ذاتها وإنما جميع وجوه الانتفاع من مال اليتيم. فقال ابن القيم في ذلك:« أن الأمة فهمت من قوله تعالى جميع وجوه الانتفاع من اللبس والركوب والسكنى وغيرها وأن الله تعالى فطر عباده عليها، فيكون بذلك العمل بالقياس فطرة فطر الله عليها الإنسان»[4].

[1]–جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، التحبير في علم التفسير، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط،2001، ص31.

[2]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيّم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، مج2، ط1423،1، ص384.

[3] - سورة النساء، الآية 10

[4]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيّم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، مج2، ط1423،1 ، ص385.

وتتضح عناية المفسرين بالمقام أيضاً أثناء تحقيقهم للمكي والمدني، فحال المسلمين في مكة يختلف عن حال المسلمين بالمدينة ، وقد أشار منَّاع القطان إلى هذا قائلاً: «وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرائن آية آية وسورة سورة لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفيان بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى»[1]. وفي ذات الصدد، يؤكد تمام حسان على عناية المفسرين بالمقام، حيث يقول «ينبغي لنا أن نشير إلى أن المفسرين قد فطنوا منذ زمن سحيق في القدم إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي»[2]، وقدم مخططا توضيحيا لما عرضه هو كالتالي[3]:

الفرق بين المعنى المقالي والمعنى المقامي

المعنى المقالي: مكون من ظروف أداء المقال وهو يشمل القرائن المقالية كلما وجدت

المعنى الدلالي

المعنى المقامي: وهو مكون من المعنى الوظيفي+المعنى المعجمي

[1]-منَّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، دت، ص48.

[2]-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص339.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص339.

ونظراً للمكانة التي يتبوأها المقام جعل منه الباحثون المحدثون معياراً لتصنيف الخطابة، ومن أمثلة ذلك ما قام به محمد العمري في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، حيث أضاف تصنيفا جديدا فرعياً منبثقاً عن مقامات الخطابة السابقة، وذلك بناءً على اختلاف المقامات داخل الخطابة الواحدة، فتولد بذلك تسعة مقامات جديدة[1].

أما المقام في الثقافة الغربية، فيتجلى في التداولية ونظرية الحجاج، وقد اعتبر **تمام حسان** العرب متقدمين في استعمال مصطلح المقام والكشف عنه بألف سنة يقول: « ولم يكن مالينوفيسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير (context of sitiuattion)يعلم أنه مسبوق إلى هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح «المقام» ولكن كتبهم هذه لم تجد من العناية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة»[2].

كما نبه إلى نقطة مهمة تخص الغموض الذي يكتنف النصوص التراثية أثناء الدراسة والتحقيق وهي« أن المعنى الحرفي غير كاف لفهم ما قيل لأنه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن الحالية التي تدخل في تكوين المقام. وأن الكثير من نصوص تراثنا العربي قد جاء غامضا لأن الذين رووا هذه النصوص لم يعنوا بإيراد ووصف كاف للمقام الذي أحاط بالنص.» [3]

[1] –للاستزادة ينظر: محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002، ص40-67.

[2] –تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص372.

[3] – المرجع نفسه ، ص373.

أما **محمد العمري**، فقد خالفه الرأي ورأى بأن البلاغة العربية قد استفادت من نظرية أرسطو لاسيما قضية: مراعاة المقام والحال يقول في هذا الصدد« ونحن نسترشد بالهيكل العام لبلاغة الخطاب عند أرسطو لشموليتها نحتفظ لأنفسنا بحق التعامل مع النصوص العربية بما فيها من خصوصيات، كما نحاول أن نوظف المصطلحات البلاغية العربية بإدخالها فيما يناسبها و يستوعبها من نظرية أرسطو، وعلى رأسها قضية: مراعاة المقام و الحال التي نجعلها عنوانا للعلاقة بين الخطيب والمستمع.

فالبلاغيون العرب حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين، ولا ينبغي بحال أن نغفل أثر كتاب الخطابة في البلاغة والنقد العربيين، وإن كنا لا نستطيع أن نخوض الآن في هذا الموضوع لأنه يقتضي عملا مستقلا. وهذا التأثير أظهر ما يكون في كتاب البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين ابن إسحاق ابن وهب، فهذا الكتاب عبارة عن قراءة واعية ومستوعبة لكتاب الخطابة و ربما لغيره من أعمال أرسطو في ضوء النص الخطابي، كما نجد استثماراً لأعمال أرسطو في تحليل الخطاب في كتب الفلاسفة العرب نذكر منها فصل المقال لابن رشد »[1] ،كما أشار في هامش كتابه إلى أن قدامة بن جعفر قد استفاد هو الآخر من كتاب أرسطو في الكثير مما أورده في كتابه " نقد الشعر".

تناول **أرسطو** فكرة المقام من خلال حديثه عن التصديقات والحجج والبراهين والأدلة الخطابية حيث يقول:« فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه

[1] –محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة الغربية الخطابة في القرن الأول أنموذجا، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002، ص22.

قبل التثبيت»[1]، ويشرح هذه المقولة أكثر محمد العمري في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي بقوله« والتصديقات التي يقدمها القول على ثلاثة أضرب: الأول يتوقف على أخلاق القائل، والثاني على تصيير السامع في حالة (نفسية)مَا، والثالث على القول نفسه، من حيث هو يُثبت أو يبدو أنه يُثبت.»[2]، فمراعاة حال السامع هو مراعاة للمقام والحالة التي يكون عليها، مما يدل على أن غياب المصطلح عند أرسطو لا يعني بالضرورة غياب فكرة المقام. وقد أشار محمد العمري في كتابه أيضاً إلى البراهين الذاتية النفسية المتعلقة بأخلاق الخطيب، ومراعاة أحوال المستمعين حسب أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية، وهي التي تندرج تحت مسمى "مراعاة المقام ومقتضى الحال" في الدرس البلاغي العربي القديم.

ويرى **طه عبد الرحمن** أن العلاقة التخاطبية تتحدد «من جانب المتكلم بالتوجه إلى المستمع وبإفهامه مراده ومن جانب المستمع بالتلقي من المتكلم وفهمه مراده، فالعلاقة إذن لا يمكن حصرها في عملية نقل مضمون القول من أحد الطرفين إلى الآخر، نظراً لأن هذا النقل قد تسد فيه الآلة مسد الإنسان متى كان لا يزيد عن تحويل الفائدة، أو شئت المعلومة المخصوصة من محل إلى محل ثان... ومعروف أن الآلة لا تُنسب إليها أوصاف الخطاب فلا يُقال مثلاً إن الآلات يتوجه بعضها إلى بعض ويَفهم بعضها عن بعض.»[3]؛ وبذلك يكون قد رفض أن تكون عملية التخاطب مجرد نقل

[1] –أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربيَّة القديمة، تح: عبد الرحمن بَدَوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص15.

[2] –محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة الغربية الخطابة في القرن الأول أنموذجا، 2002، ص24.

[3] – طه عبد الرحمن، اللغة والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1998، ص215، 216.

للأفكار فقط ذلك أنها تصبح شبيهةً بالآلة وأطلق عليها مصطلحاً خاصاً وهو" التبليغ" تفريقاً بينهما وبين عملية النقل، لأن هذا الأخير هو عبارة عن نقل فائدة القول الطبيعي نقلا يزدوج فيه الإظهار والإضمار، فيصبح بذلك الطرف المتكلم مُبَلِغاً والطرف الثاني المبَلَغ.

ويؤكد طه عبد الرحمن على فكرة المقام بقوله « فالنقل كما يمارسه هو في الأقل نقلان اثنان: أحدهما صريح يتعلق بالمعاني الظاهرة والحقيقية المستقلة مقامات الكلام، والثاني ضمني يتعلق بالمعاني المضمرة والمجازية عير المستقلة عن هذه المقامات...ومعلوم أن الأصل في النقل الثاني هو إنبناء الكلام على القصد فيكون معيار الفائدة فيه هو مقاصده لا ظواهره حتى يقوم الدليل على خلافه. »[1].

من خلال هذا القول، يعرض **طه عبد الرحمن** إلى نقطة مهمة وهي التفريق بين عملية النقل وعملية التبليغ. وإن استعمل مصطلح النقل في تعبيراته حتى لا يلتبس الأمر على القارئ، كما أشار إلى فكرة الاستلزام الحواري في التداولية الحديثة وذلك عن حديثه عن المعنى الصريح والمعنى الضمني التي تكتنف الكلام، بالإضافة إلى إشارته إلى القصد وتحقيق الفائدة من الكلام، وهما مبدآن أقرتهما النظرية الحجاجية في العصر الحديث.

وإذا ما أردنا أن نبين معالم المقام في النظرية الحجاجية، فإننا نستحضر قول **محمد مشبال** الذي يرى بأن « التحليل البلاغي الحجاجي للصور بشكل عام يقوم على تحليل وظيفتها الإقناعية و تأثيرها في المتلقي... وتُحَلَّلُ الصور في هذا المنظور بوصفها جزءاً منصهراً في سياق تواصلي...»[2] .ويضيف في سياق آخر: «ويرى أوليفي ريبول أن الصورة لا تكون بلاغية إلا إذا اضطلعت بوظيفة

[1] – المرجع نفسه، المركز الثقافي العربي ، ص216.

[2] –محمد مشبال، البلاغة والخطاب أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2014،ص106.

إقناعية ،أي تكون ناجعة و فعَّالة...في المقام الحجاجي الذي استُخدمت فيه»[1]. إذاً، يتحمل المتكلم في النظرية الحجاجية مسؤولية الإقناع والتأثير في المتلقي من خلال تقديم الحجج والبراهين والتحكم في الآليات الحجاجية الموجهة للمتلقي، مع التأكيد على أن« التموضع اللفظي للمتكلم يؤثر حجاجياً في سياق ملفوظاته التصويرية، وخاصة الأفعال اللغوية (التبرير والدفاع) أو (النقد والاتهام)».[2]

ولأن ارتباط المقام وثيق الصلة بالتداولية فقدجعله **صلاح فضل** عنصراً أساسياً في تعريف التداولية، حيث يقول: «ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية «لكل مقام مقال»...»[3] وأشار إلى هذه الفكرة أيضاً أثناء حديثه عن كل من الدلالة التداولية حيث قال« وإن كانت الدلالة تستخدم مفهوما مجردا بالغ الجدوى هو الواقع أي العالم الممكن. فإن التداولية تستخدم مفهوما تجريدا يدل على الموقف التواصلي هو السياق، فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق»[4]، وأشار إلى أن السياق هو تجريد للموقف التواصلي وسماه "سياق النص".

[1] – المرجع نفسه، ص109.

[2] – محمد مشبال، البلاغة والخطاب أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري، ص199.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير1978، ص21.

[4] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص20.

كما ربط **فان دايك** نجاح الخطاب بمراعاة الموقف وملائمته، إذ يقول في ذلك «إن المهمة الثانية للتداولية يجب أن تُنزل هذه الأفعال في موقف معين وأن تصيغ الشروط التي تنص على أي العبارات تكون ناجحة في أي موقف من المواقف أعني أننا نحتاج إلى وصف مجرد لهذا «الموقف لفعل كلامي متداخل الإنجاز». فاللفظ التقني الذي نستخدمه في مثل هذا الموقف هو مصطلح السياق»[1]، فاستخدم فان دايك مصطلح السياق للدلالة على المقام والموقف، ومن هذه المقولة ، يمكننا ملاحظة الانسجام المعرفي بين الدرس البلاغي العربي القديم وما أقره الدرس اللساني التداولي الحديث.

وبهذا يمكن القول بأنَّ مركزية المقام في الدرس التداولي الحديث، وما أكدته النظرية الحجاجية حول دور المقام في الفهم والإفهام والتأثير والإقناع ، يجعل من المقام عنصراً يرتبط بشدة بلغة التواصل والتخاطب الإنساني، سواء على مستوى الثقافة العربية من خلال فكرة *مقتضى الحال والمقام* أو في الدراسات الغربية. ويجدر بنا التنويه إلى أن العلماء العرب القدامى لم يكونوا أقل اهتمامًا بهذا الموضوع.

يتضح من خلال ما سبق أوجه الاختلاف والإئتلاف بين البلاغة العربية والنظرية التداولية الحديثة، باعتبارهما مرتبطان بالتواصل والممارسة الخطابية. ونوضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

	أوجه التوافق	أوجه الإختلاف

[1]–فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب،دط،2000، ص257.

من حيث اللغة	-اعتمادهما على اللغة كوسيلة لممارسة الفعل على المتلقي.	- تتجاوز التداولية دراسة اللغة في سياقها التواصلي من المنطوق إلى المكتوب إلى ما هو سيميائي، في حين أن البلاغة تدرس اللغة في شكليها المنطوق والمكتوب. - تهتم البلاغة باللغة الفصحى بينما التداولية تتجاوز حدود ذلك إلى العامية.
من حيث الأسلوب		-تعتمد البلاغة على حسن إنتقاء الألفاظ والكلمات وفق أسلوب بليغ، أما التداولية فيغيب فيها حسن الانتقاء.
من حيث الغاية والقصد	-كلاهما يسعى إلى إحداث أثر في المتلقي بواسطة الكلام(فن الإقناع) -كلاهما يقوم على مبدأ القصدية.	

من حيث نوع الخطاب		-تدرس البلاغة الخطابات الراقية كالقرآن الكريم والشعر العربي، أما التداولية فتدرس الخطاب العادي التواصلي، فليست كل تداولية بلاغة على غرار أن البلاغة تداولية في صميمها.
من حيث التاريخ		- البلاغة علم قديم والتداولية علم حديث.

أوجه التوافق والتخالف بين البلاغة العربية والتداولية

وعلى ضوء ما سبق، يتبيّن لنا أنَّ البلاغة العربية القديمة تداولية في صميمها، إذ تناولت أقطاب العملية التواصلية التي تُعد في الأساس جوهر الدراسة التداولية، فأساس دراسة البلاغة العربية قائم على فهم الأساليب والتقنيات التي يوظفها المتكلم للتأثير على المتلقي مركزةً في ذلك على قوتين: قوة التأثير وقوة الإقناع وهو ما يُعرف في التداولية بنظرية الحجاج.

سنحاول في الفصل الأول تقديم دراسة تأصيلية مع تسليط الضوء على ضربين من ضروب الأساليب المستعملة في التأثير في المتلقي وهما: أسلوبي أمر والنهي اللذان يندرجان في اللسانيات التداولية تحت مسمى الأفعال الكلامية.

الفصل الأول

نظرية الأفعال الكلامية بين التأصيل العربي والدّرس الغربي

1/ نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي المعاصر

2/- نظرية الخبر والانشاء في التراث في التراث البلاغي العربي

3/- نظرية الخبر والإنشاء عند الأصوليين

توطئة:

تُعتبر اللسانيات التداولية من أبرز المناهج اللسانية التي تلقى صدىً في البحوث اللغوية، وذلك لاهتمامها باللغة وبالعملية التواصلية وأقطابها، حيث عملت على نقل مجال اهتمام الدراسات اللغوية من اللغة إلى متكلم اللغة وقدراته، كما أن وظيفة اللغة في ظل هذه النظرية لم تعد مرهونة فقط بتصوير الحقائق ونقل المشاعر والأحاسيس وإنما تعدتها إلى تحويل هذه الأقوال إلى أفعال حسب السياقات التي ترد فيها، وبذلك تبوئت نظرية الأفعال الكلامية مكانة مهمة في اللسانيات التداولية.

جاء هذا الفصل لإثبات أصالة الدرس التداولي في التراث البلاغي العربي القديم، من خلال تسليط الضوء على نظرية الأفعال الكلامية في كل من الدرس الغربي والدرس العربي، سنعرض فيه كل ما يتعلق بنظرية الأفعال الكلامية من مفهوم وجهود علمائها في التأسيس، ومقابلتها مع ما يتوافق معها في الدرس العربي البلاغي والأصولي، إذ تُعتبر نظرية "الخبر والإنشاء" المدخل الأساسي لنظرية الأفعال الكلامية في الدرس التداولي الحديث.

1- نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي المعاصر:

1-1-نظرية الأفعال الكلامية:

أ-تعريف نظرية الأفعال الكلامية:

تُعد نظرية الأفعال الكلامية قطب الرحى في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة، ارتبطت نشأتها بفلسفة اللغة، وقد أسهم فلاسفة اللغة بشكل مباشر في تأسيسها وتطورها وكان دافعهم من دراسة اللغة هو «التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصوره للعالم، ولهذا السبب بالتحديد اقتصر بحثهم على دراسة المركبات التي يصطلح عليها لغوياً بالمركبات الخبرية باعتبارها المركبات الوحيدة التي تعبر عن

تصور الذهن للعالم، وقد اتسمت تلك الدراسة باتخاذها الصيغة الصورية للقضايا، كما استقرت عليه في المنطق الرمزي الحديث نموذجاً للغة اصطناعية صارمة وواضحة، تُفسر بالشدة والفتحة على صوتها التركيبات اللغوية المتداولة في اللغات الطبيعية بالرغم مما تصف به هذه اللغات من أصناف الغموض»[1].

ومن أبرز من مثَّل هذا الاتجاه وتبنَّاه **فريجه**(**Gottlob Frege**) **وفتجنشتاين** (**wittgenstein**) في مرحلته الأولى التي يُعبر عنها بكتابه "رسالة منطقية فلسفية"، ثم بعد ذلك برز تياراً آخر ثانٍ اهتم بدراسة اللغة الطبيعية منفصلة عن اللغات الاصطناعية وحجته في ذلك أن «الغموض الذي تتصف به اللغة الطبيعية جوهري لها فلا يمكن أو يصح تمثيله في اللغات الاصطناعية»[2]وتبنى هذا التيار كل من **فتجنشتاين** (wittgenstein)في مرحلته الأخيرة الممثلة بكتابه" بحوث فلسفية" **وراسل** (**Russell**) **وأوستين** (Austin) من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد والتي نشرت تحت اسم " HOW TO DO THINGS WITH WORDS ".

وما ينبغي الإشارة إليه أن التيار الثاني قد خالف التيار الأول من حيث المنهج و الموضوع، فهو لم يدرس اللغة الطبيعية من خلال اللغة الاصطناعية وإنما درسها مباشرة دون وسيط، كذلك من حيث الموضوع لم يكتف بدراسة الجمل الخبرية فقط وإنما تعداها إلى دراسة كل أنوع الجمل خاصة مع أوستين في نظريته الأفعال الكلامية عامة وفي نظرية الأفعال المتضمنة في القول على وجه الخصوص.[3]

[1]–طالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1994، ص1.

[2]– المرجع نفسه، ص1.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص1،2.

كما ينطلق ممثلو هذا المنهج الفلسفي من فكرة أن «الفلسفة التقليدية تعاني من لغة غير واضحة سقيمة، ومن ثم آخر الأمر بلا معنى، ويوصفون دواء لهذا بالتفلسف بلغة الحياة اليومية البسيطة، وبوصف طرائق الاستعمال اليومية للكلمات والتعبيرات ذات الصلة فلسفياً، وهكذا فبدلاً من التفكير في ما "الأنا" يبحثون في استخدام الضمير الشخصي "الأنا" في اللغة اليومية، ويقررون أنه من خلال استخدام الاسمي غير العادي في اللغة السَائدة فقط للضمير تفتح أبواباً موصدة لكل المحاورات الفلسفية الممكنة. ويمكن أن يُعد **فتجنشتاين(wittgenstein) وأوستين(AUSTIN.j) ، وربول** المؤسسين لهذا الاتجاه الفلسفي، ففي مؤلفاتهم وفي أعمال تلاميذهم توجد تحليلات مفصلة لشروط استعمال كلمات ذات أهمية فلسفياً»[1].

نلمح من خلال هذا القول تحوُّل ميدان الدراسة في الفلسفة من الغوص في ماهية ومفاهيم المصطلحات إلى ميدان التطبيق والاستعمال متخذين منهجاً لوصف اللغة، وكان لمنهجية هذه المدرسة ومفاهيمها أثراً واضحاً في تطوير البراغماتية اللغوية لاسيما وأن هذه المدرسة تنظر في شروط استعمال التعبيرات اللغوية.

ولا بد من التأكيد على أن هناك بوناً بين الوصف اللغوي والتحليل اللغوي فهما قائمان على أسسين فلسفيين مختلفين «فالفلاسفة يريدون أن يوضحوا الاستعمالات اللغوية، التي تكون غير واضحة لهم عند التفلسف، ولذلك تَحدثُ صعوبات. أما اللغويون فيضعون في أوصافهم نصب أعينهم دائماً النظام الكلي للغة مفردة معينة، ولذلك يهتمون بكل التعبيرات اللغوية على نحو مماثل أو يحاولون حل مشكلات لغوية تقليدية بمساعدة نظرية الفعل الكلامي».[2]

[1]–جونس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر: سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2012. ص16.
[2]–المرجع انفسه، ص16.

وعليه، فإنَّ نظرية أفعال اللغة «تُعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها، ويتعلق الأمر بمعرفة ما يقوم به مستعملو التأويل، وأي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات. وبمعنى آخر لا توجد تداولية مباشرة أكثر من هاته الدراسة ومع هذا تنشأ شجرية التاريخ ألا يستعمل (**أوستين**)و(**سيرل**) تسمية التداولية لصالحهما. »[1]

ولعل من أبرز المفاهيم التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية هو مصطلح "**الفعل الكلامي**" ويعود الفضل في التنظير له إلى الفيلسوف **أوستين**(**j.AUSTIN**) الذي تبناه أساساً لدراسته موضحاً طبيعته وخصائصه وأصنافه، وأبعاده الإنجازية، ثم تطور على يد تلميذه **سيرل** (**J.R.Searle**).

والجدير بالذكر أن نظرية الأفعال الكلامية تؤكد على طبيعة الفعل في اللغة وبالتالي تكون« الأسئلة المحورية التي يعرض لها مُنظر الفعل الكلامي في ظواهر لغوية هي[2]:

(1)ماذا نفعل حين نتحدث؟

(2)ماذا نفعل ونحن نتكلم؟

وهكذا لا توجد فرق بالنسبة لنظرية الفعل الكلامي بين "الفعل" والكلام الذي يقع في الوعي اليومي ويتجلى في المنطوقات من مثيل:

(3) الآن قد تحدثنا بشكل كاف مدة طويلة، لنفعل أخيراً شيئاً!

[1]- فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، دط، 1986، ص60.

[2]- فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ص61،62.

فالكلام والعمل العملي المحدد فعلان، ومع ذلك فهما يمثلان الفرق المشار إليه في (3) من خلال تقسيم إلى أفعال عملية (مثل: يقص، يطلب، يمدح) ويجب أن تُوصف الفروق وأوجه الاتفاق بين أفعال عملية وأفعال لغوية على أساس نظرية عامة للفعل»[1] فمثلا فعل "تحدث" هو فعل لغوي ولكن غير عملي، أي أنه لا يتحقق من وراءه أي إنجاز على غرار الفعل " يقص" فهو فعل لغوي إنجازي عملي لأنه سيحقق عملية القص وبالتالي التغيير من حال إلى حال.

وما ينبغي الإشارة إليه أن هذا المصطلح لم يكن حكراً على أوستين فقط وإنما كان« مستعملاً من قبل لغويين بنائيين* أمثال **بلومفيد–Blomfied** في العقد الثالث من القرن العشرين. غير أن معناه الحديث من إبداع أوستين.»[2]

ولا يفوتنا أن ننوه هنا إلى الإضطراب الذي عرّفه المصطلح اللساني (فعل الكلام) " Speech act" من حيث الترجمة الذي جاء به أوستن، إذ تعدد المقابلات الأجنبية والعربية لهذا المصطلح وهذا ما

[1]– جونس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، ص21.

*البنائيون نسبة الى البنيوية: ترجع بداية البنيوية إلى أوائل القرن العشرين، عندما نُشر كتاب "محاضرات في اللسانيات" للسويسري فاردیناند دي سوسير سنة 1916م في باريس، الذي يُعد أول مصدر للبنيوية في الثقافة الغربية. ثم كتب الروسي رومان جاكبسون وهو من رواد الشكلية الروسية ما سُمي ب"الأطروحات" الذي أهداه إلى تلميذه كلود ليفي شتراوس. وكان أول من استعمل لفظ "البنية" هو الفيلسوف الروسي تيتانيوف وتبعه جاكبسون وهو أول من استخدم لفظ البنيوية لأول مرة عام 1929م. وبالتالي تكون النيوية من تأسيس سوسير إلا لم تظهر عند الغرب إلا على يدد الروس في القرن العشرين، وما يؤكد ذلك جملة من الأسباب منها:1– أن فاردیناند دي سوسير لم يستعمل لفظ البنيوية، بل كان يستخدم لفظ نسق–منظومة.2– أن أول من أطلق لفظ البنية هو الروسي تيتانيوف، وأول من أطلق لفظ البنيوية هو الروسي رومان جاكبسون.3– أن ليفي شتراوس كان قد أخذ المنهج البنيوي من كتاب" الأطروحات" الذي أهداه له أستاذه الروسي رومان جاكبسون.4– أن كثيرا من البنيوين ذهبوا إلى القول بأن الشكلية الروسية هي البنيوية. لم تدم البنيوية طويلاً ، فقد لفظت أنفاسها الأخيرة في فرنسا والعالم الغربي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات بعد ظهور التفكيكية مع جاك دريدا. ينظر: محمد بن عبد الله بن صالح بلعفير، البنيوية النشأة والمفهوم(عرض ونقد)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، اليمن، العدد 15، مج 16، يوليو–سبتمبر 2017، ص233،234،235.

[2]–صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، 1، 1993، بيروت، لبنان، ص 184.

صرح به **عبد السلام إسماعيل علوي** في مقال له بعنوان "التلفظ والإنجاز بقوله" أن هذا المصطلح قد أثار« مصدر قلق وحيرة بالنسبة للترجمات التي تناولته، إذ اختلفت على هذا المصطلح المقابلات الفرنسية التالية: "actes de langage"،"actes de parole "،و"actes de discours"، وهي على هذا القلق سارت الترجمات العربية إذ قوبل المصطلح ب "أفعال اللغة" و "أفعال الكلام" و "أفعال الخطاب."»[1]. **ولكن على أي أساس حمل هذا المصطلح على هذه المقابلات؟ هل وفق مجال الدراسة؟ أكان لغة بحثهِ أم خطاباً؟** نجيب على هذا التساؤل بأنَّ **O.Ducrot** قد انتبه إلى هذا القلق فيقول: «وفي هذا السياق يذهب إلى حمل هذا المصطلح على مقابلته ب"أفعال الكلام– les actes de parole"سيضطرنا إلى نوع من التناقض على اعتبار أن"Searle"نفسه يجعل هذا الفعل جزءا من اللسان. وإذا حملناه على مقابلته ب "أفعال اللسان– les actes de langue "فإن مقابلته بهذا ستكون تافهة وغير مرضية. ولا يبقى إلا أن نحمله على مقابلته ب "أفعال اللغة –" actes de langageوهذا يجنب المصطلح الوقوع في النسقية السوسيرية...وما لنا إلا أن نأخذ بهذا، وليس لهذا التبرير فقط، بل أيضاً لأن " أفعال اللغة" هو المقابل الذي راج بشكل كبير في أواسطنا اللسانية.»[2] وقد سماه **دومينيك مانغونو(Dominique Maingueneau**) حسب ترجمة محمد يحياتن بالفعل اللغوي أو فعل الخطاب[3] وقد أستعمله أيضاً مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب باسم الفعل الكلامي.

ويوضح هذه الفكرة أيضاً **محمد ديوان** في مقاله "نظرية المقاصد بين حازم القطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة إلى أن مصطلح الفعل الكلامي قد تبناه واستعمله العديد من الدارسين وحسب

[1]– عبد السلام إسماعيل، التلفظ والإنجاز، www.aljabriabed.net.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص7،8.

رأيه أن هذه التسمية تحمل الكثير من التضليل والمجازفة وذلك بسبب ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي، كما قد أشار إلى ملاحظة جون لاينز التي أوصى فيها بأن لا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي والمنجز الكتابي[1].

وقد لاحظ **جون لاينز(John Lyons)** هذا الاختلاف والغموض الذي يكتنف مصطلح "فعل الكلام" وأشار إلى الفرق بينه وبين مصطلح "الفعل اللغوي" بقوله «يُعد المصطلح «فعل الكلام» في الواقع مضللاً بحد ذاته، فهو يعطي وزناً كبيراً لذلك الجزء من اطلاق الوحدات الكلامية الذي يؤدي إلى نقشها في الوسط المادي الصوتي بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، أما مصطلح «فعل لغوي» فيعتبر أفضل بكثير من مصطلح «فعل الكلام»، ولطالما أن مصطلح فعل الكلام يستخدم الآن على نطاق واسع في معناه التقني الذي أضفاه عليه أوستين فلن أحاول استبداله، على أنه ينبغي أن لا يغيب على البال أبداً أن« فعل الكلام »يراد به أن يشمل انتاج كل من لغة الكتابة ولغة الكلام، شأنه شأن الوحدة الكلامية من ناحية، والنقش أو النص من ناحية أخرى ... كذلك ما يذكرنا به بأنه ينبغي فهم «فعل الكلام »في هذا الكتاب على أنه يعني «الفعل اللغوي»»[2]

ولتوضيح هذه الفكرة أكثر نستعين بقول أوستين الذي دقَّق فيه أكثر باعتباره المصطلح الأهم في نظريته "نظرية الأفعال الكلامية" يقول« أقصد أن مفهوم الفعل act هو مفهوم متشعب وغامض، ونحن نتصور الفعل على أنه حدث مادي فيزيائي نقوم بإنجازه، ونعتبره متميزاً عن ضروب التواضع والتواطؤ في كيفية الوقوع ومتمايزاً أيضاً عن آثاره ونتائجه.»[3]ولعل هذا التشعب والغموض هو السبب الرئيسي في

[1]– ينظر: محمد ديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الموصل، ع1، 1994، معهد اللغة وآدابها تلمسان، جامعة الرباط، المغرب. نقلا عن نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، ص196.

[2]– جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

[3]– أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، دط، 1991، ص127.

تعدد المقابلات الأجنبية لاسيما إذا اختلفت المنطلقات والمرجعيات الإبستيمولوجية، كما أن الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينية هو جوهر الفعل الكلامي وبه تتحدد ماهيته ونوعه.

وما يؤكد هذا الرأي قول **نعمان بوقرة** بأن الفعل الكلامي يتحدد «بتعريفات مختلفة تعود إلى اختلاف المرجعيات الإبستيمولوجية التي انطلق منها الدارسون، ومع ذلك فإن المتفق عليه هو أن تكلم لغة ما، أو التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية.»[1]

وعليه، يعتبر الفعل الكلامي محوراً أساسياً في الدراسات اللسانية التداولية «وبتعبير أدق فإن التداولية تقوم بتحويل مختلف الموضوعات إلى أفعال لغوية. »[2] فبه تحول مجال الدراسة من نسقية البنية اللغوية مع النظرية السوسيرية إلى الاستعمال والتواصل.

وقد **عرفه مسعود صحراوي** بأنه:« كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك يُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازيةact illocutoires (كالطلب و الأمر، والوعد، والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيرية actes perlocutoires تَخُصُ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء ما. »[3]، بذلك يكون كل ملفوظ فعلاً له تأثير جليّ على المتلقي من خلال ردود أفعاله كالإذعان والقبول أو الرفض، إذاً الفعل الكلامي ليس مجرد سلسلة من الكلمات بل هو نظام لغوي يهدف إلى تحقيق أهداف منشودة.

[1]–نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، ع17، 2006، جامعة الجزائر، ص196.

[2]–المرجع نفسه، ص170.

[3]–مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز(يوليو)، 2005، ص40.

ومن زاوية أخرى ربط **فان دايك** (Van Dik)فحوى الفعل الكلامي "بالمجتمع" و "التغيير" يقول في ذلك «وما نعنيه عادة بقولنا إننا نفعل شيئا ما، متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نَعد وعداً، ونطلب، وننصح وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه أفعال الكلام، ويطلق على نحو أقصى قوة فعل الكلام، ومن الواضح علاوة على ذلك أنه يوجد بون شاسع بين حال إصدار بعض الأصوات من ناحية أولى وبين القيام بإنجاز فعل مجتمعي معقد من ناحية ثانية.»[1] فالفعل اللغوي لا يتوقف عند حدود الممارسة الفيزيولوجية فقط وإنما فضلاً عن ذلك هو سلوك لغوي إنجازي إنساني يتحقق عن طريق العملية التواصلية.

وقد وضح هذا المفهوم أكثر بقوله: « وغالباً ما يؤخذ مفهوم الفعل الإنجازي في علاقته الوثيقة مع مفهوم الحدث، وقد يكشف تعريف موجز بديهي للفظ الفعل هذه العلاقة: فالفعل هو كل حدث حاصل بواسطة الإنسان... ومقتضى المفهوم الأساسي في تعريف الحدث هو التغيير. »[2]

وحريٌ بنا أن نبرز هذه الطبيعة "الحدثية" التي يتصف بها الفعل الكلامي ف«تحتم نظرة عميقة في القيود التي تجعل أحداثاً كلامية ما موفقة أو غير موفقة أن نعرف أكثر أيضاً عن الحدث بوجه عام، وترجع نظرية الحدث تلك إلى تلك الفلسفة... وننطلق هنا من الشرط القائل أن الأحداث نوع محدد من الحوادث، ومن ثم ينسحب مصطلح «حادثة »على التغيير، أي التغيير من حال إلى حال أخرى، ويطلق عليها حال المدخل وحال المخرج...، ومن البديهي أن التغير للحال هو وظيفة خاصة بالزمن: فحال المخرج لحدث ما تقع أبعد من حال المدخل. ويمكن أن تتم تغيرات الحال على مراحل متتالية مختلفة...، وأما إذا ما أُريد أن يُشار إلى تلك السلسلة المفصلة من تغيرات الحال بوجه خاص دُون أن يراعى حال

[1]–فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000، ص263.

[2]– المرجع نفسه، ص228.

المدخل وحال المخرج المعينة فإنه يحدث عن عمليات. ولذلك فإن "تمطر" نمط محدد "عملية" بينما "شرعت في أن تمطر" أو "توقفت عن أن تمطر" "حدث". »[1] . نقول أنَّ تمطر علمية لأنها تمر عبر عدة مراحل من تبخر الماء وتشكله على شكل سحت إلى غير ذلك، أما قوله شرعت/توقفت عن أن تمطر حدث، أي تغير حال السحابة من حال إلى حال(قطرات من الماء) فلم نهتم بالمراحل الوسطى التي مرت بها على خلاف عملية المطر.

ويستدل **فان دايك** (Van Dik)بمثال آخر توضيحي فالفنجان عندما يسقط من على الطاولة على الأرض، فإنه يتحول من حال إلى حال، ولم نهتم بالمراحل الوسطى التي مر بها وإنما نميز هذا التعبير بعبارة" يسقط على الأرض "فإننا سنعرف الحال التي آل اليها.

ولعل مفهوم الحدث* هذا هو ما نستجليه من مفهوم الإنشاء في البلاغة العربية فالإنشاء «ليس لمدلول لفظه قبل النطق به

وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه »[2]وبتعبير آخر الإنشاء هو «مالا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به- فطلب الفعل في "افْعَل" وطلب الكف في "لا تفعل".....كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها. »[3]

* ويشرح ذلك أكثر على هامش الكتاب بقوله: يلاحظ أنني آثرت ترجمة مصطلح (handlung) إلى حدث بالرغم إمكان ترجمته إلى فعل، ولكن حتى أفرق بينه وبين مصطلح (speech ackte) الذي تُرجم إلى الأفعال الكلامية من جهة، وحتى يحافظ على الفرق بينهما إذ يرجع الأول إلى تصور فلسفي محض، والثاني إلى تصور فلسفي لغوي يميز من خلاله بين أفعال اللغة، غلبت الاستعمال الأول . فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص120

[1]- تون ا.فاندايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص119،120.

[2]-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص69.

[3]-أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت، ص69.

ومن الضروري أن نشير إلى البنية التركيبية التي يقوم عليها الفعل الكلامي فنحن «نفهم من فعل الكلام الأصلي فعلاً معقداً يقوم هو ذاته على مراتب متعددة من إنجاز الفعل، وأعني مستوى النطق (الفونيطيقي) والمستوى الفونولوجي (وظيفة الصوت) والصرفي، ومستوى التركيب النحوي. وحال إنجاز الفعل الأساسي، إلا أن فعل الإنجاز يكون أمر مقتضى فقط بافتراض قصد مخصوص وتوجيه وغرض.»[1] وهو ما سنتناوله بالشرح والتفصيل في الصفحات القادمة. ومنه تتضح النقلة النوعية التي أحدثتها اللسانيات التداولية التي تجاوزت حدود دراسة البنية اللغوية إلى دراسة الآثار الاجتماعية الإنجازية التي تحققها اللغة.

ب–خصائص الفعل الكلامي:

قبل أن نذكر السمات التي يتسم بها الفعل الكلامي، حريٌ بنا أن نعرج إلى الاعتقاد الذي انطلقت منه النظرية الكلاسيكية للغة، والذي ينص على أن «الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال، ويُعد رائد هذا الاعتقاد **جون .ل. أوستين** (**j.AUSTIN**) الذي أعطى لائحة طويلة بهذه الأفعال...وهكذا ينجز المتكلم فعلاً أو آخر بتلفظه لجملة ما ، وأحياناً بعديد من الأفعال، وعلى الفعل ذاته ألا يختلط بالجملة وبالتعبير اللساني كيفما كان المستعملة في إنجازه»[2].ومن ثمَّ يتجلى بوضوح انتقال مجال الاهتمام من الجملة إلى الإنجاز اللغوي، وعليه يتسم الفعل الكلامي الكامل بالخصائص التالية[3]:

- إنه فعل دال
- إنه فعل إنجازي(أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات)

[1]– فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص263.

[2]– مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص60.

[3]–المرجع نفسه ، ص44.

- إنه فعل تأثيري(أي ينجز أثاراً معينة في الواقع خصوصاً إذا كان فعلاً ناجحاً)

وبالإضافة إلى هذه الخصائص يتسم الفعل الكلامي بسمات أخرى نوجزها في النقاط الآتية:

أ–القصدية:

تبنى **أوستين**(**j.AUSTIN**) مبدأ القصدية* واستثمره في تحليل الجمل ويكون بذلك قد خالف « الفلاسفة الكلاسيكيين ويوافق به أسلافه من فلاسفة التحليل، إدخاله عنصر القصدية (Intentionnalité) في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف "**هوسرل**"(**Husserl**) **والظاهراتيين**، واستثمره في تحليل الجمل الإنجليزية، وتتجلى القصدية بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في شبكة مفاهيمية مستوفية للبعد التداولي للغة، إذ هي المسلمة الأساسية التي ترد شروط الحق في الكلام والانخراط في أي مشروع تواصلي لغوي. »[1]

فحسب أوستين كل فعل لغوي قائم على مبدأ "القصدية" وبذلك «يتأكد الربط بين العبارة اللغوية، ومراعاة مقاصد المتكلمين من خلال أعمال الفيلسوف سيرل الذي عمل على متابعة المشروع الفلسفي الذي بدأه أستاذه أوستين، فقد عدَ الغرض المتضمن في القول عنصراً أو مكوناً أساسياً من

* مبدأ القصدية (Intentionnalité) يعود إلى الفلسفة الظاهراتية مع هوسرل، استقاه منها أوستين وأدخله كآلية تحليلية ضمن العبارات اللغوية.

[1]–مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في اللسانيات، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية و آدابها، 2003–2004، ص50.

مكونات القوة المتضمنة في القول» [1]وبذلك فالقصدية من المفاهيم التي تبناها كل من أوستين وسيرل في تحليل الفعل الكلامي.

كما أن القصدية من بين الأسس التي يتحقق بها مدى نجاعة الفعل الكلامي «لأنه إذ لم يتحقق شر القصد في الكلام، فإن نتيجته الفعلية تصبح غير حقيقية ولا يمكن أن يُسمى حينئذٍ بفعل للكلم، كما لا يمكن أن يمل مضمون هذا الكلام خاصية المعنى، فقد يتحدث المتكلم بما يوحي للسامع بأنه وعد(قصد ثانوي) بينما هو في العمق لا يقصد ذلك(قصد أولي)، فحينها لا يمكن أن يكون كلامه فعلاً تمريرياً يرتضي إنجاز الوعد وتحقيقه، وذلك لخلوّ من القصد فلا يترتب حينها فعلاً كنتيجة متضمنة في منطوق الوعد. »[2]، فعندما يؤول المتلقي رسالة المتكلم المتمثلة في (الفعل الكلامي) فإن ذلك يعني خضوعه ضرورةً لمبدأ القصد حتى تكتمل حلقة الاتصال بين المتكلم والسامع ويتحقق الغرض من الفعل، وتظهر على وجه الدقة في « الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في شبكة مفاهيمية مستوفية للبعد التداولي للغة، إذن هي المسلمة الأساسية التي تحدد شروط الحق في الكلام والانخراط في أي مشروع تواصلي لغوي.»[3] فغياب شرط القصد في الكلام يؤدي إلى نتيجة غير فعلية أي عدم تحقق الفعل الإنجازي وذلك لا يكمن أن نصطلح عليه حينئذ بفعل الكلام.

وقد اقترح **بول غرايس(P.Grice**)تعريفاً للدلالة غير طبيعية حيث صرح بأنها وحدها المعنية بالدراسة يقول« إنَّ القائل قصد شيئاً من خلال جملة معينة، فذلك أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص44.للاستزادة أكثر حول المفاهيم التي ترتبط بها مسلمة القصدية انظر لسانيات الخطاب حوار مع باتريك شارودو ،لوبينز ألنسو وأسيري ألموس، تر: محمد يحياتن، مجلة اللغة العربية، ع2، 1999، ص240،241.

[2]–عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص71.

[3]–مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربي، ص69،70.

بهذه الجملة إيقاع التأثير في مُخاطبه بفضل فهم هذا المخاطَب لنيّته(الشدة في الياء). و يرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطاً وثيقاً بأحد معاني الفعل الإنجازيto mean، وهو المعنى الذي نترجمه بالفرنسية إلى vouloiredire(قصد). وهكذا يشدد **غرايس(P.Grice**)في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخاطَب هذه النوايا. ولكن خلافاَ **لسيرل (J.R.Searl)** لا يؤسس هذا الفهم حصراً على الدلالة التواضعية للجمل وعلى الكلمات التي تتكون منها هذه الجمل.»[1]

ويجدر بنا التذكير بأن **سيرل (J.R.Searl)** أثناء تأسيسه لنظرية الأعمال اللغوية انطلق من المقولة التي « تعتبر أن لقائل جملة ما مقصداً مزدوجاً يتمثل في ابلاغ محتوى جملته والكلام بهذا المقصد الأول بموجب قواعد تواضعية تتحكم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة»[2]

ولا مندوحة هنا من العودة إلى تراثنا البلاغي العربي الذي أشار بدقة إلى هذا المفهوم من خلال تناول التراثيين لمفهوم الشعر فهذا **ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)** يذكر في كتابه الهيكل الذي يقوم عليه الشعر بعد النية وهي أربعة أشياء« اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية»[3]، ففي الشطر الأخير من هذا القول عبارة صريحة لتبني الشعراء هذا المبدأ في النظم. وقد اعتبر أوستين النية «فعل نفسي به تخرج ذواتنا ومقاصدنا إلى الاتصال بالعالم الخارجي من خلال فعل الكلام. »[4]

[1]–آن روول و جاك موشلار، التداولية اليوم عل جديد في التواصل، تر: سيق الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، تموز(يوليو)، 2003، ص53.

[2]– آن روول وجاك موشلار، التداولية اليوم عل جديد في التواصل، ص 45.

[3]– أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، لبنان، ج1، ط5،دت، 1981، ص19.

[4]–أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991،ص9.

وعلاوة على ذلك فقد ربط **كلاوس برينكر** في كتابه" التحليل اللغوي للنص" وظيفة النص التي حصرها في القصد الحقيقي-القصد المضمر- للنص والتأثير في المتلقي حيث يقول في ذلك إن هذا المفهوم لوظيفة النص ينطبق «إلى حد بعيد المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامي للفعل الإنجازي، إذ ترتبط فيه الجانب القصدي بالجانب العرفي لأفعال لغوية بعضها ببعض على نحو مماثل. وكما يقرر الفعل الإنجازي خاصية الفعل لمنطوق ما فإن وظيفة النص تحدد كيفية التواصل في النص، أي نوع الاحتكاك التواصلي الذي عبر عنه الباث تجاه المتلقي بالنص»[1].

وقد أورد باتريك شارودو مبادئ أسماها ب" شروط الحق في الكلام" وهي كالآتي[2]:

- **مبدأ التفاعل** (Principe d'intieraction): فكل فعل كلامي هو فعل تفاعلي بين قطبي العملية التواصلية.
- **مبدأ التأثر:** ومفاده أن كل فعل كلامي يندرج في يندرج في طار التأثير بين المتخاطبين، والفعل الكلامي ومبدأ التأثير لا يمكنهما الاشتغال إلا إذا وفق مبدأ الحصافة.

يتضح من خلال ذلك أن تحقق مبدأ القصد في الفعل الكلامي -وفق الطرح التداولي-لا يقتصر على الإنتاج اللغوي فقد وإنما تحكمه مجموعة من المبادئ التي من شئنها يتحقق القصد من الكلام وبالتالي تتحقق عملية الإبلاغ والتفاعل لتحقيق الغرض والتأثير فيه وبالتالي الإنجاز.

ب-المواضعة والعرف والتعاقد:

[1]-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي لنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص122.

[2]- لوبينز ألنسوو أسيري ألموس، لسانيات الخطاب حوار مع باتريك شارودو، تر: محمد يحياتن، مجلة اللغة العربية الصادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية، ع2، 1999، ص240.

وتكون هذه بين أفراد الجماعة اللغوية في بيئة اجتماعية معينة وهكذا تكون« عرفية أفعال لغوية من جهة شرط لكي يستطيع المتكلم أن يفهم السامع بمنطوق محدد، ماذا يريد منه، غير أنها من جهة أخرى تتيح أيضاً الخداع والكذب والحيلة. »[1] وبهذا فإن كل فعل لغوي يندرج في إطار مؤسساتي يحدد مجموعة من الحقوق والواجبات بالنسبة للمشاركين في عملية التخاطب»[2] فالمخاطب لا يمكنه تأويل الفعل الكلامي إلا إذا كان منتمياً إلى نفس الجماعة وعارفاً بقوانين لغتهم ومواضعاتهم حتى يتسنى له فهم القصد من الكلام.

وقد جعل **أوستين(j.AUSTIN)** من العرف شرطاً أساسيا يتم بمقتضاه تحقيق القوة المتضمنة في القول وقد أدرجه ضمن مجموعة من الشروط أسماها ب"الشروط التكوينية"، يقول في ذلك: «وأثبتنا أن قوى أفعال الكلام تتصف بالمواضعة والاتفاق، بينما لازم أفعال الكلام لا تعلق لها صلة بالمواضعة والإتفاق. »[3]وعليه تكون المواضعة والاتفاق شرطاً أساسياً من شروط نحاج العملية الأوستينية التواصلية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى عناية علماء البلاغة والإعجاز في قديماً بهذا المبدأ فهذا القاضي عبد الجبار قد خصص له فصلاً سمّاه في "أن الحق من الكلام أن يكون دليلا " وذهب إلى الأوجه التي يكون فيها الكلام دالاً إذ قال: «اعلم أن حق المواضعة أن تؤثر في كونه دلالة، وإذ كان لا بد مع المواضعة، من اعتبار حال المتكلم في كونه دلالة، فإذا اجتمعا فلا بد من صحة الاستدلال به على المراد، وإنما شرطنا المواضعة، لأن بوجودها يصير له معنى، وإن كان في حكم الحركات، وسائر الأفعال، وفي حكم الكلام المهمل فلا بد من اعتبارها، وإنما اعتبرنا حال المتكلم لأنه لو تكلم به ولا يعرف المواضعة، أو عرفها

[1]–كلاوس برينكر، التحليل اللغوي لنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، ص111.
[2]–دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص8.
[3]–أوستين، كيف ننجز الأشاء بالكلام، ص141.

ونطق ها على سبيل ما يؤديه اللفظ أو يحكيه الحاكي أو يتلقنها المتلقن أو تكلم به عن غير مقصد لم يدل، فإذا تكلم به وقصد به وجه المواضعة فلا بد من كونه دالاً، إذ عُلِمَ من حاله أنه يُبَيِّن مقاصده،... فإذا تكاملت هذه الشرط فلا بد من كونه دالاً.»[1]

كما يتجلى مبدأ المواضعة والعرف أيضاً في الألفاظ التي نستعملها في العقود والمعاهدات، ومن أمثلة ذلك « أن الشهادة تصح بالمضارع دون الماضي، واسم الفاعل فيقول الشاهد: أشهد بكذا عندك أيدك الله ولو قال، شهدت بكذا أو قال: أبيعك بكذا لم يقبل منه، والبيع يصح بالماضي دون المضارع عكس الشهادة، فلو قال أبيعك بكذا أو قال: أبيعك بكذا لم ينعقد البيع عند من يعتمد على مراعاة الألفاظ كالشافعي...وإنشاء الطلاق يقع بالماضي نحو طلقتك ثلاثاً اسم الفاعل نحو أنت طالق دون المضارع نحو أطلقك ثلاثاً، وسبب هذه الفروق بن الأبواب النقل العرفي من الخبر إلى الإنشاء، فأي شيء نقلته العادة لمعنى صار صريحاً في العادة لذلك المعنى بالوضع العرفي فيعتمد الحاكم عليه لصراحته، ويستغني المفتي عن طلب النية معه لصراحته أيضاً وهو لم تنقله العادة لإنشاء ذلك المعنى يتعذر الاعتماد عليه لعدم الدلالة اللغوية والعرفي، فنقلت العادة في الشهادة المضارع وحده، وفي الطلاق و العتاق اسم الفاعل الماضي...فمن لم يعرف الحقائق العرفية وأحكامها يشكل عليه الفرق.»[2]

كما تتضح هذه الفكرة أيضاً من خلال قول مالينوفسكي وذلك في معرض شرحه لمعنى فكرة مقتضى الحال يقول « إنَّه إذا وجد أحد الأوربيين نفسه فجأة وسط المجتمع التروبرياندي، وأعطى ترجمة

[1]–أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الإسترابادي، المغني في أبواب التَوحيد والعدل، تح: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج16، دط، دت، ص309.

[2]–أبو العباس أحد بن إدريس الصنهاجي القرافي، الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق، ومعه إدرار الشروق على أنوار الفروق لأبو القاسم بن عبد الله ابن الشاط، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج1، دط، دت، ص97.

حرفية لكلام التروبرباندیین، لما ساعده ذلك على فهمهم أكثر مما لو بقيت العبارات دون ترجمة. معنى العبارات لا يتضح إلا من خلال نمط الحياة التي هم جزء منها. وهذا صحيح بكل تأكيد. »[1]

هذا وتتأسس نظرية الفعل الكلامي عند علمائنا العرب القدامى على قاعدتين عُني بتوصيفهما وهما[2]:

أ-عرفية التداول:

للعرف ثلاثة أشكال إما أن يكون وضعاً لغوياً أو شرعاً أو اجتماعيا ومفاده أن «استعمال اللغة منوط بما تعارف عليه أبناؤنا في ألفاظها وصيغها وتراكيبها ودلالاتها وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع.»[3]

ولتوضيح هذه الأعراف الثلاثة أكثر نستدل بالأمثلة التي أوردها محمود أحمد نحلة في كتابه" آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"[4]:

-**العرف الاجتماعي**: «ويظهر من فهمهم لقول الرسول الله- صلى الله عليه وسلم-" الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار" والماء عام يشمل ما أحرزه الناس وما لم يحرزوه، لكنه قصر على غير المحرز لما جرت بذلك عادة الناس.»[5]

[1]-جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كية، جامعة الملك سعود، دط، 1417هـ، ص240.

[2]- نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، ع17، جامعة الجزائر، 2006، ص193.

[3]-محمود أحمد النحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 85.

[4]- المرجع نفسه، ص 88.

[5]- محمد مصطفى شلبي، مدخل في التعريف بالفقه وقواعد الملكية والعقود فيهن دار النهضة، بيروت، 1985، ص357.

-العرف الشرعي: وقد نص عليه الإمام الغزالي، ورأى أنه في منزلة العرف اللغوي حيث قال:" والمختار عندنا أنه لا سبيل إلى إنكار تصرف الشرع في هذه الأسامي [يقصد الأسامي الإسلامية]ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولة عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم، ولكن عرف اللغة تصرف في الأسامي من وجهين:

أحدهما: التخصيص ببعض المسميات، كما في الدابة. فتصرف الشرع في الحج والصوم والإيمان من هذا الجنس، إذ للشرع في الاستعمال كما للعرب.

والثاني: «في إطلاقهم الاسم على ما يتعلق به الشيء ويتصل به كتسميتهم الخمر محرمة، والمحرم شربها، والأم محرمة، والمحرم وطؤها. فتصرفه في الصلاة كذلك، لأن الركوع والسجود شرط شرطه الشرع في تمام الصلاة، فشمله الاسم بعرق استعمال الشرع.»[1]

ب-قصد المخاطب:

يقوم الخطاب الذي يؤسسه المخَاطَب على جملة من المقاصد تحدد هدفه وغايته، تحقيقاً لذلك يطمح المخاطب إلى أن يكون كلمه مفهوماً ودالاً يحسن السكون عليه مراعياً في ذلك تفاوت درجات المخاطَبين في الإفهام. وعلى الرغم من تواجد المعرفة العرفية بالأوضاع اللسانية، فإن على المخاطَب أن يهتم بأنواع القرائن اللسانية و المقامية ليجلي ما غمض من دلالات مقصودة.

ولعل هذين القاعدتين هما ما نستشفهما من قول **ابن خلدون(ت808هـ)** في كتابه "مقدمة" «اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة، فعل لساني ناشئ عن

[1]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الاسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة، ج3«طرق الاستنباط»، ص20،21.

القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحس اصطلاحاتها»[1].

وقد ربط **كلاوس برينكر** بين القصد والعرف في سياق حديثه عن مفهوم نظرية الأفعال الكلامية يقول« المفهوم الخاص بنظرية الفعل الكلامي للفعل الإنجازي، إذ تربط فيه الجانب المقصدي بالجانب العرفي لأفعال لغوية بعضا ببعض على نحو مماثل، وكما يقرر الفعل الإنجازي خاصية الفعل لمنطوق ما فإن وظيفة النص تحدد كيفية التواصل في النص، أي نوع الاحتكاك التواصلي الذي عبر عنه الباث تجاه متلقي النص.»[2] وذلك أثناء حديثه عن وظيفة النص، إذ رأى أن محور هذه الوظيفة يرتب بشكل أساسي بين قصد الباث الذي يجب أن يفهمه، ويعرفه المتلقي ولا يتحقق هذا الفهم إلا إذا كان المتلقي على دراية بالأعراف اللغوية للمخاطب.

ولما كان الفعل اللغوي فعلاً تواصلياً وجب عليه أن يضمن نجاعته وذلك بأن «يعتمد على مجموع التعاقدات الاجتماعية. ولعل فكرة التعاقد هذه تقتضي أن يكون للأفراد المنتمين لنفس جماعة الفعل الاجتماعي قابلية للتفاهم حول العروض اللغوية الممكنة لهذا الفعل، فإذا كان هناك تعاقد مادي وإذا ترتب عن التعاقد اشتراك في المعارف فإن شرط نجاح الفعل اللغوي يكون بذلك مضموناً، وإذا لاحظنا كيف لا يتحقق نجاح الفعل اللغوي إلا باستيفاء شرط التعاقد. فإن هذا يثبت للفعل اللغوي الخاصية التي تجعل منه فعلاً مؤسساتياً أي فعلاً خاضعاً للتعاقد الاجتماعي.»[3]

عبر **فان دايك** في كتابه علم النص عن التداخل الكامن بين اللغة والفعل الكلامي إذ يرى أن «إحدى أهم المعارف في الفلسفة اللغوية الحديثة التي تشكل الأساس لتطور البراجماتية هي أن ي العلم

[1]–عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1، ص237.

[2]– كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص122.

[3]– عبد السلام اسمعيل علوي، التلفظ والإنجاز، www.aljabriabed.net. 11.25، 28-11-2021.

بالاستعمال اللغوي ليس إبراز لغوي ما فقط« بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه، فحين أنطق الجملة: سأعيد إليك المائة مارك. فإني لم أنطق جملة في اللغة العربية سليمة الصياغة ويمكن تفسيرها، أي نحوه، بل أني فعلت في الوقت ذاته شيئا يجذب آلية تضمينات اجتماعية معينة: مثلاً قد وعدت بشيء. وعلى هذا النحو توجد أحداث كثيرة ننجزها من خلال نطق جمل أو نص ما، أي باللغة: كالتهديد، والرجاء، والزعم، والسؤال والنصح والاتهام والتبرئة والتمني والشكوى...إلخ»[1].فبمجرد النطق بكلمة أو جملة فإننا نحقق فعلاً كلامياً ينجز عنه إنجاز.

ثم يذهب إلى تأكيد هذه الخاصية بقوله «وتتضح الخاصية الاجتماعية لهذا النمط من الأفعال الكلامية فيما تتضح في الحقيقة القائلة بأننا من خلال ذلك يمكن أن نغير تلك المعرفة والرغبات ومن المحتمل سلوك المشاركين معنا في المحادثة.»[2]. أي التأثير في المتلقي وحثه على تغيير رأيه أو معرفته أو فكره...إلخ وبالتالي تغيير سلوكه، فالفعل الإنجازي إذن عند أوستين يرتبط ارتباطاً شديدا بالمتكلم والمخاطَب «وعلى السامع أن يبذل الجهد الكافي للوصول إلى ذلك ولهذا يقوم مفهوم قصد المتكلم الذي يعبر عنه بالإنجاز بدور مركزي في نظرية الفعل الكلامي»[3].

كما قام بربط الأفعال اللغوية بالجانب الاتصالي فيقول «وفي داخل الفعل الاجتماعي يُعزى للفعل التواصلي(أي القائم على نظام للعلامات) أهمية خاصة، ويُمكن أن يُنجز الفعل التواصلي من خلال وسائل اتصال لغوية(مثلما هي الحال في أفعال التواصل اللغوية المكتوبة الكثيرة) أو من خلال وسائل اتصال غير لغوية (حركات اليدين وحركات الوجه والعروض المصورة...إلخ)، بل من خلال تضافر كلا النوعين من وسائل الاتصال(مثلما في الاتصال «وجهاً لوجه» ، والحكايات المصورة وإعلانات الدعاية.

[1]–تون ا. فانديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص118.

[2]– المرجع نفسه ، ص119.

[3]–محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص69.

وهكذا يمكن أن يَسُب سائقٌ آخر إما بالصياح قائلا: أنت يا غبي!(لغة)، وإما بحركة طائر(حركة اليدين)، وإما بكليهما في الوقت نفسه وكثير من الأفعال لا يمكن أن تُنجز إلا لغويا، مل: تقديم بلاغ بسبب القذف.»[1]، إذن يمكن أن يتحقق الكلام أيضاً عن طريق وسائل غير لغوية كالإشارات والإيماءات ...إلخ إلى غير ذلك التي يمكن من شأنها تحقيق التواصل و التفاعل بين الناس.

كما أن الأفعال اللغوية ليست قصدية فحسب بل عرفية أيضاً « وهذا يعني أن الأفعال اللغوية تُنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد قد تعلمها كل شريك في عملية تكيفه الاجتماعي تعلماً تاماً بدرجة أكثر أو أقل.»[2]، إذاً بمعرفة العرف اللغوي يتحقق به فهم الخطاب من طرف المتكلم والسامع وبالتالي نجاح عملية التخاطب

ومن الملاحظ، أنَّ حديث **سيرل** عن القوة المتضمنة في القول والمحتوى القضوي اعتمد على قصد المخاطب والقواعد التواضعية للغة، ولتوضيح ذلك نسوق المثال الذي أورده وهو كالتالي:[3]

"أعدك بأن أحضر غداً " نجد أنَّ " أعدك "هو اسم القوّة المتضمنة في القول و" أنّ أحضر غداً" هو اسم المحتوى القضوي، وهكذا فإن القائل الذي يتلفظ بجملة "أعدك بأن أحضر غداً " يقصد في المقام الأول الوعد بأن يحضر غداً، ويتحقق هذا المقصد بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة الجملة. وبعبارة أخرى فإن للقائل نية الوعد بالحضور غداً وتتحقق هذه النية بإنتاج جملة أعدك بأن أحضر غداً لأنه ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة أن يُبَلغ مُخَاطِبه بقصده بأن يحضر غداً، فعلى المخاطب أن يكون على معرفة ودراية بالقواعد المتحكمة في معنى عبارات اللغة التي يتكلمانها، وعلى هذا النحو فإن للقائل مقصدين هما:

[1]– كلاوس برينكر، التحليل اللغوي لنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، ص109.

[2]–المرجع نفسه، ص110.

[3]–ينظر: آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص33،34.

أ/- الوعد بالحضور غداً.

ب/- إبلاغ هذا المقصد من خلال جملة أعدك بالحضور غداً بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة

كما تحدث في اسهام آخر له عن الشروط التي بمقتضاها يتحقق نجاح العمل المتضمن في القول، ومن بين هذه القواعد القاعدة التحضيرية الخاصة بمقام التواصل وقاعدة النزاهة الخاصة بالحالة الذهنية للقائل أثناء تلفظه وقواعد القصد والمواضعة التي من شئنها أن تحدد وتضبط قصد المتكلم وغايته حتى لا يتعذر على المتلقي الفهم.

ج-الحالية والمناسبة:

لاحظنا من خلال ما سبق، أنّ الفعل اللغوي هو فعل اجتماعي مؤسساتي قائم على الانسجام بين أقطاب العملية التواصلية، مراعياً في ذلك الإنتاج اللغوي والسياق المقامي وحال المخاَطَب، فلكي يتحقق فعل التواصل لا بد من الضروري أن« تكون المناسبات التي حصل فيها التلفظ بالعبارة هي ظروف مناسبة مخصوصة على وجه أو على وجوه كثيرة»[1]. أي أن يكون مقام الحديث مناسباً للكلام حتى يتحقق الفهم وبالتالي القصد من الخطاب، ومنه يمكننا القول بنجاعة الفعل الكلامي.

انطلق **أوستين** في بداية تأسيسه لنظرية الأفعال الكلامية من الملاحظة التي ميَّز فيها بين الحمل الإنشائية والجمل الوصفية، فالجمل التي لا تصف الواقع ولا تخبر عنه وإنما تنشأ فيه ولا يمكن الحكم عليها

[1]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص18،19.

بالصدق أو الكذب أطلق عيها اسم "الإنشائيات les perfirmatifs" في مقابل الجمل "الإخبارية أو الوصفية" التي أطلق عليها اسم "constatifs".[1]

ولكي يوضح أوستين أكثر طبيعة هذا الصنف ينطلق من الأمثلة التالية:[2]

- «نعم أقبل ن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية» كما يتكلم بهذه الكلمة «نعم» أثناء مراسيم حلقة الزواج.
- أسمي هذه الباخرة «الملكة إليزابيث» كما ينطق بهذه العبارة عادة حينما تُكَّسَرُ القارورة على هيكل الباخرة عند تدشينها.
- أترك هذه الساعة ميراثاً لأبني، كما يحصل عند قراءة الوصية.
- "أراهنك على أن السماء ستمطر غداً"، حيث تم التلفظ بهذه الجملة أثناء الرهان.

نستشف من هذه الأمثلة الصلة الوثيقة التي تربط بين الفعل الإنجازي والمقام الذي تُلفظ فيه بالفعل، فالأول مثلاً قيل في مراسيم الزواج، والثاني أثناء تسمية الأشياء، والثالث أثناء الوصية، والرابع أثناء الرهان، هذا دليل على أن التلفظ بهذه الملفوظات ليس مجرداً من المعنى، وإنما لكل لفظ معنى ودلالة.

ويُعلق على هذه الأمثلة بقوله: « والواضح من هذه الأمثلة أن التلفظ بالجملة(في المناسبات المخصوصة بطبيعة الأمور) ليس هو أني أصف حال قيامي بالفعل وأنا أتحدث على هذا النحو، كما أني لا أريد أن أثبت كوني قائماً بذلك الفعل، بل النطق بالجملة هو إنجازها وإنشائها. ثم أن ما ذكرته هنا من

[1] - voir, Claude SANDOZ ,Remi JOLIVET, Meribel FEHLMANN ,ACTES DE LENGAGE ET POUVOIR : Affiranchissement, bannissement, promesse et serment dans langues classque, Maribelfehlmann-Université de lausanne, 2005, p20.

[2]-أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص16.

العبارات المتلفظ بها لا يدل شيء منه على التصديق ولا على التكذيب...فبماذا نسمي جملة من هذا النوع أو عبارة متلفظ بها من هذا القبيل؟ إني أقترح أن أطلق عليها مصطلح: جملة إنجازية أو عبارة إنشائية أو الإنشاء.»[1]

وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذه الجمل[2]:

أ. «لا تصف» و «لا تخبر شيئاً» و «لا تثبت» أمراً على وجه الإطلاق ومن ثم فهي لا تدل على" التصديق ولا التكذيب".

ب. فالنطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه، مما لا يعني أننا عندما نكرر القول هنا نصف بقولنا شيئا ما على وجه الضبط.

تبنى أوستين نفس الفكرة أثناء عرضه لفكرة المخَالِفَات حيث يقول «يتراءى لي أن أفترض أن الزواج هو ببساطة النطق بكمات قليلة، أو أن النطق بعبارة ما يعني المراهنة، أو يمكن أن أسير بجوار مبنى قيد الإنشاء وأسميه كما يحلو لي بكلمات معينة. غير أن هذا الاعتراض مردود عليه لأن أوستين يؤكد أنه لكي يكون المنطوق منطوقاً أدائياً ناجحاً لا بد من أن يتم النطق به في« ظروف ملائمة » وسيكون لهذه الفكرة أخطر الأثر في المنطوقات الأدائية كما سنرى... لقد أطلق أوستين على الطروف التي تجعل عمل المنطوق غير ملائم اسم «المخَالِفَات»»[3]. يتضح هنا أهمية السياق في تكوين الفعل اللغوي وبيان مدى انجازيته.

وقد حدد **أوستين** مجموعة من القواعد التي ينبغي التحلي بها، فإذا ما تم اختراقها وكسرها تجلت المخالفات، وفشل الملفوظ في تحقيق هدفه. وهذه القواعد هي:[4]

[1]– أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص17.

[2]–المرجع نفسه، ص16.

[3]– صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، ص142.

[4]– المرجع نفسه، ص142،143.

(أ-1) يجب أن يوجد إجراء عرفي مقبول وله أثر عرفي معين، وأن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة يتلفظ بها أشخاص معينون في ظروف معينة.

(أ-2) يجب أن يتلاءم الأشخاص المعينون مع الظروف في حالة معينة من أجل تنفيذ الإجراء المحدد.

(ب-1) يجب على المشاركين في الإجراء أن يقوموا بتنفيذه تنفيذاً صحيحاً.

(ب-2) يجب على المشاركين في الإجراء أن يقوموا بتنفيذه تنفيذاً كاملاً.

(ج-1) حيث يتم إعداد الإجراء للإستعمال –وكثيرا ما يحدث- من قبل الأشخاص الذين لديهم أفكار ومشاعر أو نوايا معينة.

(ج-2) يجب أن يكون لدى الشخص المشارك في الإجراء هذه الأفكار و المشاعر و النوايا، ويجب على المشاركين أن يُعنوا كذلك توجيه أنفسهم في الواقع فيما بعد.

ويطلق أوستين على المخالفات التي تحدث للقواعد الأربعة في(أوب) اسم "الخلل"، ويسمى المخالفات التي تقع للقاعدتين في (ج) باسم "مساوئ الاستعمال"، ولعل سبب هذه التسميات راجع إلى أن القاعدتين "أ" و"ب" تخضعان لمبدأ العرف والمقام أما القاعدتان "ج" فهما يستندان في تحقيقهما إلى الأشخاص المشاركين في العملية التواصلية، وبالتالي تكونان القاعدتين ذاتيتين على خلاف القاعدتين (أ-ب) الموضوعيتين.

ولا بد من الإشارة إلى أن **مالينوفسكي** قد ربط أيضاً اللغة بالإنجاز حيث« يعتقد مالينوفسكي أن رؤية اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ليست سوى خرافة

مضللة، فالتكلم لاسيما في الثقافات البدائية ليس «قولاً» بل «عملاً». فاللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط جماعي...إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل».[1]

ويشرح **مالينوفسكي** أكثر هذا الطرح بإيراده مثالاً حياً وذلك في معرض شرحه لرأي بعثة صيد في "التروبرباند" فيقول:« يتم توجيه مجموعة من قوارب الصيد وتنظيم حركتها باستمرار عن طريق الكلام... فالصرخة التي تُعلن وجود كمية من الأسماك تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد...فالكلمات هي أدوات، و«معنى» الأداة يكمن في استعمالها... فما يقوله التروباندي حين يلمح كمية من الأسماك يسبِّب إعادة تنظيم حركات القوارب، لا لأن العبارة التي ينطقها هي أداة لتحديد مواقع القوارب كما هي حال المطرقة التي تدق المسامير، بل لأن العبارة تخبر الآخرين عن مكان السمك، فيقومون بعمل يبدو أنه مناسب لهم في ضوء تلك المعلومة الجديدة. »[2]، فصرخة التروبانديين لم تقف عند حدود الإخبار فقط وإنما تجاوزتها إلى القيام بفعل يتمثل في" تنظيم القوارب وتغيرها".

ويمكن أن نمثل لذلك أيضا بالقصة التي أوردها **ابن عبد ربه (ت328هـ)** والمتمثلة في" وفود الحاجب بن زرارة على كسرى" في كتابه العقد الفريد حيث قال: «أن الحاجب بنُ زرارة وفد على كسرى لما منع تميماً من ريف العراق فاستأذن عليه، فأوصل إلي فقال: أسيِّد العرب أنت؟ قال: لا. قال: فسيِّد مضر؟ قال: لا. قال: فسيِّد بني أبيك أنت؟ قال: لا. ثم أذن له فدخل عليه. قال: من أنت؟ قال: سيِّد العرب! قال أليس قد أوْصَلتُ إليك: أسيِّد العرب أنت؟ فقلت: لا، حتى اقتصرتُ بك على بني أبيك، فقلت: لا؟ قال له: أيها الملك، لم أكن كذلك حتى دخلت عليك، ، فلما دخلت عليك صرتُ سيِّد العرب، قال كسرى: زِه*! املئوا فاه دُراً».[3] فعندما سُئل كسرى خارج القصر نفى أنه ملك وأنه سيد

[1]–جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص238.

[2]– جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص238،239.

[3]–أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، دط، 1983، ص287.

العرب ولكن عندما دخل القصر صرح بأنه كذلك، فالمقام إذن هو الذي فرض عليه النفي والإثبات. أي النفي خارج القصر والإثبات داخل القصر.

1-2 نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين:

1-2-1 جهود أوستين واسهاماته في إرساء وتأسيس نظرية الأفعال الكلامية:

تبنى مبادئ نظرية الأفعال الكلامية مجموعة من فلاسفة مدرسة إسكفورد، ولعل من أبرزهم الفيلسوف **أوستين** (**Austin**)، فهو «من وضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الفلسفة وفي اللسانيات المعاصرة وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة إسكفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في المحاضرات الاثني عشرة التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1900 ونشرت سنة 1962 بعد موته في كتاب عنوانه: "How to do things with words"»[1]

لم تنبثق نظرية **أوستين** (**Austin**)من العدم، وإنما كانت نتيجة جهود فكرية لعلماء قبله إذْ تأثر أوستين بشدة « بما نبه إليه فتجنشتاين (wittigenstin) من أن اللغة تستخدم لوصف العالم من حولنا بيد أن هناك حشداً من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم، كالأمر، والاستفهام، و الشكر، واللعن، و التحية، والدعاء، وقدم ثبتاً طويلاً بهذه الاستعمالات المختلفة للغة وأطلق عليها ألعاب اللغة (language games) وأسمى كل استعمال منها لعبة، لأن له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة، ورأى أن كل نوع من ألعاب اللغة محكوم بنوع مخصوص من السياق الاجتماعي ومحدد بأعراف اجتماعية معينة، من ثم فإن كل لعبة من الألعاب أو استخداماتها يستحق اهتماما مساوياً لأي استخدام آخر كما وأرسى مبدأً مثيراً للجدل عند الفلاسفة

*زه: بمعنى أحسنت، وهو دليل على الإعجاب.

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص20.

مفاده أن «المعنى هو الإستعمال (Meaning is use)»[1] اللعبة اللغوية إذن هي استعمال اللغة في سياق معين وفق عرف محدد.

ولعل مفهوم " اللعبة اللغوية" حسب "**فتجنشتاين** (**wittigenstin**) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستعمال «فاستعمال اللغة شبيه بلعبة علينا أن نتعلم قواعدها بممارسة اللعبة ذاتها. فنحن لا نصبح ممتلكين للسان ما بداية بتعلّم مجموعة وحيدة من القواعد الوصفية التي تتحكّم في استعماله في كل حالة، ولكن بمشاركتنا في كثير من الألعاب اللغوية المختلفة التي ترتبط كل واحدة منها بصنف من السياق الاجتماعي مخصوص ومحدّد، عبر مواضعات اجتماعية مخصوصة».[2]

ومن الأمثلة التي يضربها في توسيع مفهوم الألعاب اللغوية يقول «تصوّر أن أحداً يصرخ مشيراً إلى السماء بسلسلة من الألفاظ غير المفهومة، وعندما نسأله عما كان يقصده يقول إنّه كان يريد أن يقول: «الحمد لله(Gottlob)، إن المطر سيكفّ عمّا قريب». نعم، فهو يفسّر لنا أيضاً ماذا تعني الألفاظ المنفصلة. أفترضُ أنّه يعود إلى رشده فجأة ويقول: إنّ هذه الجملة لا معنى (Unsinn)، ولكن بينما كنت أنطق بها بدا لي أن الجملة كانت من لغة معروفة لديّ.(بالفعل، مثل قول مأثور، تماماً).- ماذا عليّ أن أقول الآن؟ ألم يكن يفهم جملته عندما قالها؟ ألا تحمل الجملة بداخلها كامل مدلولها »[3]. فهذا الاستعمال اللغوي غير مفهوم وبالتالي لم يتحقق القصد، ولعل هذا راجع إلى السياق الاجتماعي والعرف اللغوي.

وحسب **محمد يحياتن** «يتمثل مسعى فتجنشتاين في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة و تبيان بأن درجة تعقد "الألعاب اللغوية" تتطور بتطور النشاطات الاجتماعية. وهكذا تشكل هذه

[1]- المرجع نفسه، ص61.

[2]- صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص77.

[3]- لوديفيك فِتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص349.

الألعاب طرائق بتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم وكيفية الإندماج في المجتمع، واللافت للنظر أن الفيلسوف لا يضع حدوداً بين النشاط اللغوي والحياة الإجتماعية وتعلم اللغة الأم ذلك أن اللعبة اللغوية في نظر الفيلسوف ببساطة ممارسة لغوية وشكلاً من أشكال الحياة»[1]

أما فيما يخص وظيفة اللغة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية فأوستين قد« تصدى للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين كانوا يرون اللغة أداه رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، ولا عمل للغة يُعتد به عندهم إلا وصف هذه الوقائع بعبارات إخبارية، ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارة بالصدق أو الكذب إذا طابقت الواقع أو لم تطابقه، أما العبارات غير الإخبارية فهي عندهم زائفة ولا معنى لها وهم لا يَعْتَدُون بها لأنهم لا يجدون من وقائع العالم ما تطابقه أو يطابقها»[2].

وقد جعل أوستين من فعل الخطاب(Acte de Discoure) منطلقاً لبحثه في البحث عن طبيعة اللغة «وقد انطلق في بحثه عن طبيعة اللغة من فعل الخطاب ثم وقف على ما يمكن تحقيقه بمجرد الكلام، فإذا كانت الفلسفة تطلعنا على واقع يختلف عن ذاتها جوهرياً، فإن هذا الواقع لا يمكن أن يكون إلا نحن باعتبارنا نتحدث ونتكلم».[3] وهذا ما سيحاول أوستين إثباته في ملاحظته التي أبداها بخصوص الجمل و التي قسم على إثرها الجمل إلى صنفين: إنشائية وخبرية (وصفية) التي تعتبر أولى مراحل البحث الأوستيني.

[1]– جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص20.

[2]– جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها ، ص61.

[3]– علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص63.

فاللغة إذاً في رحاب نظرية الأفعال الكلامية «وعلى نقيض المفهوم المقيد للغة في علم اللغة البنيوي والنحو التحويلي التوليدي تُعنى" اللغة" في تصور نظرية الفعل الكلامي النظام اللغوي الكلي لفعل في مجتمع أو جماعة، متضمن فيها دائما النظام القاعدي النحوي. »[1]

ومنه تتّضح الطبيعة الإنجازية للغة ضمن هذه الوظيفة التي تقوم على تحقيق قصد قائم على وقائع معينة باعتبار أنّ «الأفعال التعبيرية والتمريرية (الإنجازية) هي أفعال مشخصة، وبالتالي وقائع بحيث إن القصد فيها ينطوي على قصد التعرف على ما وُجدت من أجله، أي التحديد الفردي والإسناد الكلي والحكم والأمر والرغبة والوعد...إلخ، وللقصد جانب نفسي لا يجربه إلا المتكلم، كالوعد–مثلاً– الالتزام، إثبات اعتقاد، وفي رغبة مطلب...إلخ»[2].

أشار **جون لاينز** إلى نقطة مهمة بخصوص النظرية الأوستينية إذ صرح بأن أوستين «لم يقدم نفسه أية نظرية متطورة كاملة لأفعال الكلام على الإطلاق، وأن أقرب نقطة توصل إليها بهذا الخصوص كانت في محاضرات وليام جيمس التي ألقاها (أوستين) في جامعة هارفرد عام 1955م والتي نشرت بعد وفاته بعنوان كيف ننجز الأشياء بالكلمات (1962) وكان أوستين قد ألقى محاضرات حول الموضوع ذاته لبضع سنوات خلت في جامعة أكسفورد، كما كان قد ألقى بحوثاً لها صلة بالموضوع ذاته منذ عام 1940م، ولكنه لم يترك مخطوطة منقحة يمكن نشرها للمحاضرات التي ألقاها في هارفرد، وعليه فلا غرابة في أن نجد صيغة محددة متفق عليها لنظرية أفعال الكلام حسب مفهوم المصطلح «نظرية» كما يفسره العديد من الذين تبنوا آراءه ويعتبر أوستين من اتباع مدرسة فلسفية كان يميل أعضاؤها إلى التشكيك بعملية إضفاء الصفة الشكلية وبوضع التمييزيات الدقيقة»[3]. كان هدف أوستين في البداية

[1]– كلاوس برينكر، التحليل اللغوي لنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص113.

[2]–بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، ص47

[3]– جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص190.

تحدي فكرة المغالطة الوصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي انتاج عبارات خبرية صادقة[1].

فلقد جاءت نظرته رداً على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين حصروا وظيفة اللغة في وصف الواقع وهذا الصف يكون إما صادقاً إذا طابقت الواقع أو كذباً إذا لم تطابقه وهو ما أطلق عليه اسم" المغالطة الوصفية (Discriptive fallacy)، وأن هناك نوعاً آخر من العبارات تشبه العبارات الوظيفيّة في تركيبها, ولكنّها لا تصف وقائع العالم ولا يمكن أن ينطبق عليها معيار الصّدق والكذب كأن يقول رجل مسلم لامرأته مثلا:" أنت طالق" أو يقول أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان أو يقول وقد بشر بمولود: سميته يحيى، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئاً من واقع العالم الخارجي ولا توصف بالصدق والكذب، بل إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولاً(to makestatment) بل تؤدي فعلاً(perform action) فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية»[2].

وقد انطلق **أوستين** (**Austin**)في بداية تنظيره لنظرية الأفعال الكلامية من نقطتين أساسيتين هما[3]:

- النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.
- النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأن كل قول énonce عبارة عن عمل.

1-2-2 مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين:

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص191.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43.

[3]- ينظر: جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ص22.

لقد كانت فكرة التمييز بين بين ثنائية الجمل الخبرية والإنشائية وكذا ثنائية الصدق والكذب المنطلق الرئيسي لنظرية الأفعال الكلامية، وفيما يلي لمراحل التي مرت بها نظرية الأفعال الكلامية:[1]

المرحلة الأولى: تقسيم الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى: وصفية وإنجازية

تمثل هذه المرحلة كما ذكرنا سابقاً ردة فعل ومعارضة لما أقره فلاسفة اللغة الوضعيين في أن العبارات الوصفية وظيفتها وصف الواقع والحكم عليها بالصدق أو الكذب، ولكنه رأى أن هناك نوعاً آخر من العبارات لا تصف الواقع ولا تخضع لمبدأ الصدق والكذب نحو: زوجتك ابنتي، وأنت طالق، فبمجرد النطق بها فإننا ننجز فعلاً وهو ما أسماه أوستين بالأفعال الأدائية (الإنجازية، وتمييز ذلك فيما يلي:

أ-الأفعال الإخبارية (Les énonces constative):

وتسمى أيضاً بالأفعال التقريرية والوصفية، وهي الأفعال التي« تصف واقع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة»[2] فإذا ما طابقت الواقع تكون صادقة وإذا لم تطابقه تكون كاذبة. ويمكن توضيح هذا الطرح بالأمثلة الآتية:

1- إن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس.

2- لقد سقطت الأمطار بغزارة.

[1]- ويرى الدكتور طالب سيد هشام الطبطبائي أنها ثلاث مراحل حصرها في ما يلي:1- تمييز صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية تمييزاً مخالفا لتمييز كانط والمناطقة الوضعانيين.2-عَرْض دراسة أولية لا يزال يتابعها الباحثون بعده.3- توسيع المفهوم الجديد الذي جرده ليشمل جميع الجمل و العبارات التي تقبل و التي لا تقبل معيار الصدق و الكذب. بينما الدكتور مسعود صحراوي انتقده في هذا التصنيف ورأى أن مراحل البحث الأوستيني هي أربع. ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص4. وطالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص4.

[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44.

الملاحظ في الجملة الأولى أنها تصف لنا واقعا خارجاً وهو حقيقة علمية، فيمكن الحكم عليها بالصدق إذا كانت الأرض تدور حول نفسها حقاً، وبالكذب إذا كانت تدور حول شيء آخر تتأكد صحته من خلال مطابقته للواقع.

أما الجملة الثانية فهي جملة خبرية وصفية لكنها تحتمل الصدق أو الكذب، والصدق مرتبط بمدى مطبقته للواقع.

ب–الأفعال الأدائية (Les énonces performative):

وتسمى أيضاً بالأفعال الإنجازية والإنشائية وهي الأفعال التي« ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدى، ولا توصف بصدق ولا كذب بل تكون موفقة (happy)كما أُطلق عليها أو غير موفقة (unhappy)ويدخل فيها التسمية، والوصية، والإعتذار، والرهان، والنصح، والوعد»[1]. ومن الأمثلة التوضيحية التي نسوقها في بيان ذلك[2]:

1. إنني أهب ثروتي لزوجتي.
2. أعلن رسميا عن افتتاح الجلسة.
3. أعدكم بأن أزوركم الأسبوع المقبل.

فالملاحظ أن هذه الجمل لا تصف الواقع الخارجي، ولا يمكن أن تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب، وإنما بمجرد التلفظ بها فإننا ننجز أفعلاً، فهي إذن ليست خالية من المعنى وإنما معناها يتحقق بمجرد إنجازها للفعل، ففي الجملة (1) يتحقق فعل الهبة، وفي الجملة (2) يتحقق فعل الإفتتاح، وفي الجملة الأخيرة فعل الوعد. وعليه ينتهي أوستين هذه المرحلة من تفكيره إلى« إثبات ثنائية جمل الوصف/ جمل الإنجاز، حيث تصف الأولى حدثاً أو حالة معينة دون فعل، أي لا تتجاوز القول إلى الفعل، في حين

[1]– المرجع نفسه، ص44.

[2]– جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص22.

تنجز الثانية قولاً وفعلاً في الوقت ذاته هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه إذا كانت الجمل الوصفية تخضع إلى معيار الصدق أو الكذب فتكون صادقة إذا كانت مطابقة لما تصف، وكاذبة إذا كانت مخالفة لذلك، فإن الجمل الإنجازية تخضع إلى معيار النجاح أو الفشل، فتكون ناجحة إذا كانت موافقة لشروط إنجازها، وفاشلة إذا غابت تلك الشروط»[1].

وما نستشفه من آراء أوستين أن نجاح الفعل الكلامي وتحققه مقترن بمجموعة من الشروط، فإنْ توافرت فيه كان ناجحاً وإن غابت كان فاشلاً، ويمكن تقسيمهما إلى معيارين هما المعايير المقامية والمعايير المقالية[2].

❖ **المعايير المقامية:**

وهي المعايير التي تتعلق بالظروف الخارجية للمقال- الفعل اللغوي- فإذا تحققت كان الفعل اللغوي ناجحاً وتسمى أيضاً بالمعايير التكوينية أو شروط الملائمة وهي كالآتي[3]:

أ1 –يجب أن يكون هناك إتفاق عرفي أو مؤسساتي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ، يتمكن به هؤلاء من أداء أو تحقيق فعل ما عند التلفظ بجملة معينة.

[1]- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005-2006، ص140،141.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص141،142. وهي نفس المعايير التي سماها محمود أحمد نحلة بالمعايير التكوينية وشروط الملائمة (المعايير المقامية) والمعايير القياسية (المعايير المقالية).ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44.

[3]- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص141، 142.

أ2- يجب تطبيق هذا الإتفاق في ظروف ملائمة وبواسطة أشخاص مناسبين، فلا يمكن على سبيل المثال أن يهب من لا يملك الثروة أو المال(الجملة 1)، ولا يمكن أن يَفْتَتِح الجلسة شخص عادي غير مخول له ذلك.

ب1- يجب أن يقوم جميع المشاركين في عملية التبليغ بأداء أدوارهم بشكل صحيح وملائم.

ب2- يجب أن يظل الموقف الذي إتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل .

ج- يتطلب تحقق بعض الأفعال الكلامية افتراض وجود" أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي ليؤدي فعله بصفة مرضية، ففي الجملة(3) قد لا يكون للمتكلم الذي وعد بالزيارة نية الوفاء بوعده ومع ذلك فإن فعل الوعد قد تحقق من طرف هذا المتكلم لكن بصورة لا ترضي المخاطبين الذين وعدوا بالزيارة.

❖ المعايير المقالية:

لا تقل هذه المعايير أهميةً عن شروط الملائمة، وهي معايير تتعلق بالشروط الشكلية لبنية الأفعال الكلامية وتتمثل فيما يلي[1]:

أ- يجب أن ينتمي فعل الجملة الإنجازية معجمياً إلى فئة الأفعال الإنجازية (وعد، حذر، سأل، أمر).

[1]- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص142.

ب- يجب أن يكون فاعل هذا الفعل المتكلم.

ت- يجب أن يكون فعل الجملة مبنياً للفاعل.

ث- يجب أن يكون زمن الفعل زمن التكلم، أي أن يكون متصرفاً في الحاضر.

وينبه **أوستين** إلى أنه إذا إختل أي شرط من هذه الشروط تتحول الجمل من جمل إنجازية إلى جمل وصفية، فلنجاح الفعل الأدائي إذن يجب أن تتوفر هذه الشروط كاملةً، ويوضح هذه النقطة بالأمثلة التالية:

(2) أ- إنه يهب ثروته لزوجته.

ب- أُعلن رسمياً عن افتتاح الجلسة (أعلن صيغة المجهول).

ج- وعدتكم بالزيارة.

يقول أوستين أن الجملة« (2أ) تعتبر جملةً وصفيةً لا إنجازية، إذا قورنتا بالجملة(ب) لأنها تخترق الشرط الثاني والثالث والرابع (ب، ت، ث) »[1]

وللكشف عن طبيعة الجمل الإنشائية ذات الصيغة الخبرية التي لا تقبل الصدق ولا الكذب توصل أوستين إلى معيارين أساسيين لتحديدها وهما[2]:

المعيار الأول: اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلّم (first Person singular prersent indicative) في مقابل اشتمال على فعل بصيغة غير صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد تفيد الإنشاء، أما" لقد وعدوك بأن ينتظروك" التي هي لغير المتكلم المفرد، وكذلك" لقد وعدتك بكذا" التي هي لغير المضارع فإنها تدل على الخبرية لا على الإنشائية.

[1]- المرجع نفسه، ص 142.

[2]- ينظر: طالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب، ص6،5.وينظر مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص 74،73.

المعيار الثاني اشتمال الجملة على فعل بصيغة المبني للمجهول(passive form)بضمير المخاطب أو الغائب، مثل" المسافرون منذرون بوجوب العبور بطريق الجسر فقط"، أو ما تشتمل عليه الوثائق من القول "بموجب هذا أنت مفوض بكذا" ، فهذان معياران صريحان لكن مع ذلك قد تخلو عنها بعض الجمل الإنشائية مثل "أغلق الباب".

وقد علق مسعود صحراوي على هاذين المعيارين بقوله: «ففي هذه المرحلة تم عزل ظاهرة موضوع البحث عن غيرها من ظواهر اللغة»[1] بمعنى أن أوستين قد عمد إلى دراسة هذه الجمل الإنجازية ذات الطبيعة الخبرية على أساس لغوي محض بالإعتماد على علم النحو وحده هذا هو المقصود بعبارة " عن غيرها من ظواهر اللغوية" لأنه اشترط توفر جمل بصيغ محددة حتى يتم الحكم عليها الإنجازية. وهذا على خلاف الحكم الذي أطلقه أوستين على الجمل الخبرية "الصدق والكذب" حيث أطلق على هذه الجمل حكم جمل " فاشلة أو ناجحة"، وبذلك يكون هذا المعيار النحوي أو التركيبي أول معيار لغوي أرساه أوستين في الحكم على طبيعة الجمل أهي وصفية أم انشائية.

المرحلة الثانية: وقد سماها **سيد هشام الطبطبائي** ب"**إعادة النظر في التقسيم السابق** " أما **مسعود صحراوي** فقد سماها ب مرحلة "**تقييم معايير نجاح الفعل الكلامي** "

في هذه المرحلة تبين لأوستين أن تقسيم الجمل وفق المعيار الأول غير جامع ولم يفضِ إلى حل نهائي بخصوص تصنيف الجمل إلى إنجازية أو خبرية وإنما ثمة تداخلاً بين الجمل الوصفية والإنشائية لأن هناك « جمل خبرية لا تخضع لشروط هذا المعيار ومع ذلك فهي إنجازية، وأن جملاً أخرى تخضع لشروطه ولكنها وصفية»[2] وقد وضح هذه الفكرة بمجموعة من الأمثلة هي كالتالي[3]:

[1]–مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، 74.

[2]– مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص 74.

[3]–ينظر : المرجع نفسه، ص74.

(13)-سأكون هناك

فهو مضارع دال على الاستقبال لا على الحال، ومع ذلك فهي إنجازية كما لو أُريد بها نفس معنى الجملة(14) على سبيل المثال:

(14)- أعدك بأنني أكون هناك.

فمن خلال هذين المثالين يتضح لنا قصور المعيار الأول على ضبط الجمل، فعلى الرغم من توفر الشرط الأول إلا أنها أفادت الإنجازية، وعليه مَثَلَ هذا التشابك والتداخل بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية «انسدادا للطريق التي سعى أوستين فيه إلى بأن يصل بها إلى وضع نظرية إنشاء واضحة الحدود و المباحث متميزة تميّزاً دقيقاً عن الخبر المحض، كما مثل أيضاً بداية سعيٍ جديد إلى الإجابة عن السؤال الأول المتمثل في: ماذا نتكلم؟ وما هي حقيقة الأعمال التي نحققها بالكلام.»[1]. فعلى الرغم من أن هذه المرحلة شكلت نقطة انتهاء مسدودة لطريق التي نحاها أوستين إلا أنها مهدت له الأرضية للإجابة عن الإشكالية التي انطلق منها في بداية بحثه، وبذلك يكون في آخر مرحلة من مراحله انتهى إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام ومنه اهتدى إلى تصنيف الأفعال الكلامية.

المرحلة الثالثة: وقد سماها كل من **مسعود صحراوي وسيد هشام الطبطبائي** بمرحلة "**توحيد الجمل وتحليلها إلى قوة وقول**"

في هذه المرحلة توصل أوستين إلى إيجاد حلول للمشكلات التي اعترضته في تنظيره السابق، ومن جملة الحلول التي أرصاها نذكر ما يلي[2]:

[1]- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التّركيب والدّلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص496.

[2]-مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، 75.

1- أنه أضاف شرطاً آخر لضمان مفعول الشرطين السابقين، وهو شرط القيود المعجمية. بمعنى أن الأفعال الرئيسية للجملة يجب أن تكون منتمية إلى طبقة الإنجازات، مثل: وعد، سأل، حذّر...

2- أن الشرط السابق لا بد أن يعمل بمعية المعيار الأول الذي يتكون بدوره من شرطين مقترنيين متلازمين:

2أ- أن يعود الفعل إلى ضمير المتكلم المفرد.

2ب- أن يكون زمنه الحال.

وحين يختل أحد هذه الشرط ، ولو توافر الشرطان الآخران، تنقلب الجملة من **إنجازية** إلى **وصفية**.

وعند ملاحظتنا لهذه الشروط نجد أوستين نفسه لا يخرج من دائرة القيود التي وضعها في سبيل التمييز بين الوصفية والإنجازية، وحسب رأيي أن هذه الشروط أضافت نوعاً من التعقيد على نظريته لا سيما أنه لم يخرج بحل نهائي يميز بينهما، غير أنه أعاد تقسيم الجمل الإنشائية نفسها إلى إنشائيات أولية وإنشائيات صريحة.

وخلافاً لمسعود صحراوي نجد **سيّد هشام الطبطبائي** في كتابه "نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب" يدرج في هذه المرحلة الأقسام الثلاثة التي ترتبط بالقول وهي نفس الأقسام التي ضمنها مسعود صحراوي في المرحلة الرابعة، ومن هنا يتضح لنا وجه الاختلاف بينهما إذ أن الأول عرض إلى الحلول للمشكلات التي إكتنفت تصنيف أوستين للجمل الإنجازية الوصفية في مقابل عدم التطرق لها من قبل سيّد هشام الطبطبائي.

المرحلة الرابعة: تقسيم أوستين للأفعال الكلامية

ما يميز هذه المرحلة عن سابقاتها من المراحل أن **أوستين** اعتمد على تصنيفين الأول عام والثاني خاص واعتماده على منهج معين في تقسيمه، فالتصنيف العام يرتبط بتصنيفه للفعل المرتبط باقول إلى ثلاثة اقسام ، أما التصنيف الخاص فهو تصنيف الأفعال الكلامية بالاعتماد على "الأفعال المتضمنة في القول" كأساس للتصنيف.

أما المنهج المعتمد في هذا التصنيف فيتمثل في «أخذ ألفاظ الأفعال ذات الصيغ المخصوصة التي تشمل عليها الإنشائيات أي: صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد، والرجوع إلى الفهم اللغوي الخالص "متمثلا بالقاموس اللغوي" لفهم ما يراد بحسب القاعدة: أي كذا يعني [أن يُفْعَلَ] كذا»[1].أما **مسعود صحراوي** فقد خالف هذا الطرح وصرح بأن أوستين لم يعتمد على منهج محدد واضح المعالم سوى الرجوع إلى المعاجم اللغوية لفهم ذلك الفعل، **فإذا ما أخذنا بفكرة مسعود صحراوي فكيف نفسر إذن اعتماده على المعاجم اللغوية؟**

وعلى الرغم من حداثة هذا المنهج في نظرية الأفعال الكلامية إلا أنه متجلٍ بوضوح في علم من علوم اللغة العربية وهو " علم الصرف" تحت عنوان " مقياس الصيغة الصرفية"، فقد اتخذ العلماء من الأحرف "فَعَلَ" مقياساً لمعرفة أنماط الأفعال وتنظيمها، حتى وأن طريقة البحث في المعاجم العربية القديم تقوم على البحث عن الجذر اللغوي أولاً م الباب الذي تنتمي إليه الكلمة .

عمد أوستين في نظريته إلى تصنيف الأفعال المتعلقة بالقول حيث حصرها في ثلاثة أصناف نوجزها فيما يلي، وحسبه أن هذه الأفعال لا ترتبط بالتلفظ فقط وإنما هي سلوكات اجتماعية تتم بمجرد النطق بها وهي:

[1]–طالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص10.

1. فعل القول:(Acte locutoire[1])

وهو «إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد مالها من معنى ومشار إليه، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول لكنه إن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كافي لإدراكنا أبعاد هذا القول فمثلاً قولنا "إنها ستمطر" يمكن أن نفهم معناها كاملاً ومع ذلك لا ندري أهو خبر" بأنَّها ستمطر" أو هو تحذير "من عواقب الخروج في رحلة" أو أمر" بحمل المظلة" أو غير ذلك »[2]. ومفاد هذا أن هذه الجمل لا يمكن الوقوف على مفهومها إلا بالاعتماد على السياق الذي يحدد لنا قصد المتكلم وغرضه.

وينقسم فعل القول بدوره إلى ثلاثة أفعال فرعية وهي[3]:

أ- الفعل الصَّوتي (Actphonétique):وهو مجرد انتاج أصوات

ب- الفعل الإنتباهي (PhatiqueAct): وهو انتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم وكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.

ت- الفعل الإحالي(RhétiqueAct): وهو إستعمال هذه الكلمات في معنى معين مع تحديد مراجعها باعتبار أن الدلالة هي المعنى والمرجع حسب أوستين والفلاسفة.

وهذه الأفعال الفرعية الثلاثة تكون متداخلة فيما بينها تُنْجَزُ في وقت واحد، وبالتالي لا يمكن الفصل بينها، فعندما نقوم بأي عملية كلامية فإننا نصدر مجموعة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة

[1]- تعدد ترجمات "Acte locutoire" إذ علي آيت أوشان ب"فعل التلفظ" في كتابه السياق والنص الشعري ص60، وترجمه محمود أحمد النحلة ب"الفعل اللفظي" في كتابه آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص67 ، وترجمه مسعود صحراوي ب "بالفعل اللغوي" أو "فعل القول" في كتابه التداولية عند العلماء العرب، ص41. ، وترجمه أحمد متوكل ب :فعل القول" في كتابه اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ص24، وغير ذلك من الكتب.

[2]- طالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 8.

[3]- علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص67.

معينة، وهذه الأصوات تكون مُشكلة وفق نظام صوتي وتركيبي خاص بتلك اللغة حتى يكون التركيب سليماً ليفضي بنا إلى معناً محدد.

2. فعل الخطاب:(Acte illocutoire[1])

يُعَرَف على أنه «الفعل الأساسي الذي يتأتى من خلاله معنى الإنجاز...ويُقصد به أن المتكلم حين ينطق بقول ما، فهو ينجز معنى قصدياً... وهو ما أسماه أوستين " بقوة الفعل"»[2]. وقد عرفه أيضاً **جون سيرل** بأنه «أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، وحين نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالاً تمريرية»[3].

[1]– تنوعت مقابلات هذه الترجمة، فقد سماه علي آيت أوشان في كتابه السياق والنص الشعري ب" فعل الخطاب" ص67، متضمن في القول" عند مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب ص42، "الفعل الإنجازي" عند محمود حجي الصراف في كتابه في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي ص41، وفي ترجمة سعيد الغانمي لكتاب العقل اللغة والمجتمع لجون سيرل أسماه ب"الفعل التمريري" ص202 ونحن نعتقد أن هذه هذا المقابل يبتعد عن فحوى النظرية من ناحية المصطلح لا المفهوم.

[2]– علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص42.

[3]– جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانجي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص202.

ولا يمكن أن يَتِم الفعل الأول- اللفظي—إلا بالثاني أي فعل الخطاب، وتتضح هذه العلاقة بينهما في أن «الأول يتحقق في ألفاظ أو تعبيرات لغوية ذات دلالات مرجعية إحالية، أما الثاني- الفعل الإنجازي- فيتمثل في تحقيق ألفاظ أو تعبيرات لغوية تنطوي -زيادة على ما يحوّله مستوى الفعل اللفظي من دلالة- على قوى إنجازية قد يمثلها الإخبار، أو الاستفهام، أو غير ذلك. فهذه القوى الإنجازية هي الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال.»[1] وهذا الفعل هو المقصود من النظرية برمتها لأنه على أساسه سيتم تصنيف الأفعال الكلامية، كما أن الفرق بين الفعل الأول وهذا الفعل هو أن فعل القول هو **مجرد النطق بأصوات** ولكن هذا النطق يكون في جمل مفيدة ووفق نظام تركيبي سليم حتى تتضح الدلالة، أما فعل الخطاب فهو **القيام بفعل ضمن قول شيء**.

ويوضح **مسعود صحراوي** الفرق بين **فعل القول وفعل الخطاب** بقوله «وإذا كان فعل القول مشتملاً على أصوات لغة معينة خاضعاً لقواعدها حاملا لدلالة ما، فإن الفعل المتضمن في القول يشتمل على هذه كلها وعلى أمر زائد هو **القوة(force)**، فيقال مثلاً عن الجملة "سأكون هناك": إن لها قوة الإخبار في موضع، وقوة التحذير في موضع، وقوة الأمر في موضع آخر وهكذا، بحسب المقاصد والسياقات.»[2]

ويصنف **أوستين** الأفعال الخطابية بالاعتماد على القيمة الخطابية التي تمتلكها هذه الأفعال إلى خمسة أقسام عامة وهي[3]:

- قضائي (Verdictif) لإصدار الأحكام.
- مراسي(Exercitif) لإثبات السلطة أو التأثير.

[1]- علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، ص42..
[2]- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص76.
[3]- ينظر: علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشعري من البنية إلى القراءة، ص71.

- وعدي (Promissif) لتقرير أخبار أو قصد.
- سلوكي(Comportatif) لضبط المواقف.
- عرضي(Expositif) تساعد في استمرار الحوار بتفسير الغموضات.

وللتعرف على فعل الإنشاء يقدم أوستين ثلاثة مقاييس يتم من خلالها التعرف على فعل الخطاب عن نظيريه **فعل القول وفعل التأثير في الخطاب** وهي[1]:

-إنه فعل ينجز في الكلام ذاته وليس نتيجة تُنْتَظَرُ من الكلام.

-أنه فعل قابل للتفسير بواسطة صيغ إنجازية.

-إن الفعل الخطابي دائما ذو طبيعة اصطلاحية تواضعية.

فمن خلال ما سبق عرضه يتضح لنا أن نجاح أداء الفعل الإنجازي يرتبط بمجموعة من الشروط إن توافرت كان الأداء ناجحا يمكن حصرها في النقاط الآتية[2]:

أ. أن يؤدي الفعل اللفظي؛ أي ينطق أو يستعمل الجملة المحتوية على الفعل.

ب. أن يقصد بهذا الفعل اللفظي (الجملة المنطوقة) امتلاك قوة إنجازية معينة (الغرض البلاغي للتعبير المسْتَعْمَل)

ج. أن يتأكد الفهم؛ أي يتأكد من أن المتلقي قد فهم غرضه من المنطوق.

د. أن يستوفي أعرافاً معينة تحدد ممارسة الفعل في بعض الحالات.

[1] -المرجع نفسه ، ص71.

[2] - ينظر: علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشعري من البنية إلى القراءة، ص43.

3. فعل التأثير في الخطاب: (Acte perlocutoire[1])

ويُعرف على أنه «الفعل الذي بواسطته يحدث وجوباً رد فعل وتأثيراً لدى مخاطَب، وهذا يعني من الجملة ما يعني: بأنني أوثر على أفكاره ومشاعره وهذا هو الفعل التأثيري، إن القول التالي" أطفئ الضوء"(صيغة أمر) يثير لدى مخاطَب-إن هو فهم قصدي-ردّ فعل ومن ثمَّ بإطفاء الضوء»[2]

ويرى **أوستين** أن القيام بفعل القول ليس كافٍ وإنما أيضاً لا بد «من أن ننجز نوعاً آخر من الأفعال، فأن نقول شيئاً ما قد يترتَّب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطَب وأفكاره أو تصرّفاته... وإنجاز فعل هذا النوع يمكن أن نسمِّيه بإنجاز ما يترتب عن فعل الكلام وما لزم عنه وهو بالضبط مصطلحنا" لازم فعل الكلام "Perlocutionary" »[3].

يُشير أوستين من خلال هذا القول إلى أن التلفظ بمنطوق معين قد يترتب عنه تأثير في المتلقي الذي من شأنه أن يغير رأياً أو حثه على العمل، أو حمله على الخوف والإرشاد...إلخ ، وهذه الآثار تتنوع وتتحدد بحسب سياق المقال،. ولتوضيح ذلك أكثر نسوق المثال التالي:

الملفوظ: " أطع والديك " يتكون من الأفعال الثلاثة للفعل الكلامي: فالمتكلم لما يتلفظ بهذه العبارة فإنه يحقق الفعل الكلامي بأنواعه الثلاث:

أ. **فعل القول:** مثل قولنا: "أطلع والديك" قاصداً المتكلم بذلك فعل الطاعة، أي استعمال الفعل على حقيقته ودلالته الأصلية.

[1]- تنوعت كذلك ترجمات هذا المصطلح فقد سماه مسعود صحراوي ب" الفعل الناتج عن القول" في كتابه التداولية عند العلماء العرب ص42، و ب"فعل التأثير في الخطاب" عند علي آيت أوشان في كتابه السياق والنص الشعري ص72،71.

[2]- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ص25،24.

[3]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص122،121.

ب. **فعل الخطاب:** حث المخَاطب على طاعة الوالدين على وجه الأمر إذا كان المتكلم أكبر سناً أو أعلى درجة من المخَاطب، أو نصحه إذا تساوا في السن.

ج. **فعل التأثير في الخطاب:** إقناع المخاطَب بوجوب طاعة الوالدين، فالمتكلم في هذا المثال قد حقق فعلاً كلامياً من خلال نطقه بالعبارة ترتب عنه فعل إنجازي متمثل في حث المخَاطب على الطاعة أو نصح، وترتب عن ذلك حدوث أثر في نفس المتلقي بإذعانه بطاعة الوالدين ومن ثم يكون قد حقق فعلاً تأثيرياً.

ولا يمكن أن يحدث هذا الأثر إلا إذا فهم المخاَطب قصد المتكلم، وفي هذا الصدد أشار **سيرل** إلى أن« الأفعال التمريرية هي قصدية في الجوهر، بينما الأفعال التأثيرية قد تكون وقد لا تكون قصدية، وهي نتيجة مترتبة على كون الفعل التمريري هو وحدة المعنى في الاتصال فحين يقول المتكلم شيئاً ما هو يعني بما يقوله شيئا ويحاول توصيل ما يعنيه للمستمع فإنه قد أفلح سيكون قد أدى فعلاً تمريرياً، فالأفعال التمريرية والمعنى والقصد ترتبط جميعاً معاً»[1]. كما لا يخفى علينا أن نشير إلى أنه قد تتحقق بعض التأثيرات التي قد لا يقصدها المخاطِب وإنما نتجت عن سوء تأويل الفعل الإنجازي.

كما نخلص من خلال ما سبق إلا أن إنتاج الفعل الكلامي بكل مستوياته وتأدية مقصده يخضع إلى مبادئ عرفية تواضعية خاصة بالمتكلم والمتلقي. كإطلاق لفظ "أنتِ" على الولد، ولفظ" أنتَ" على الأنثى في اللهجة المغربية.

1-2-3 تصنيف أوستين للأفعال الكلامية وشروط تحقيق الفعل اللغوي:

[1]- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ص 203.

اتخذ **أوستين** من " **الفعل المتضمن في القول**" أساساً للدراسة واعتمد في تصنيفه على القوة الإنجازية، غير أنه لم يرض بهذا التقسيم واعتبره تقسيماً مبدئياً، ومن جملة الأصناف التي عرض إليها نذكر ما يلي[1]:

1-الحكميات (**Verdictives**) وهي بجوهرها إطلاق أحكام على الواقع، أو قيمة مما يصعب القطع به ومن أمثلتها: قيَّم، حكم، حسب، وصف، حلل، صنف، أرَّخ، فسر[2].

2- التنفيذيات(**Exercitives**) : وهي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها القوة في فرض واقع جديد مثل: الانتخاب، التعيين(الرسمي)، الإستشارة، الترشيح... وهو تحكيم أكثر منه تقرير، وقرار أكثر منهُ حُكم.[3]

3-الوعديات (**commissives**): إن الهدف التام للفعل الإلزامي هو أن يتعهد المتكلم بمسلك معين للفعل، والأمثلة على ذلك من قبيل: أعد، أتعهد، أصمم على، أعتزم...إلخ.[4]

4- السلوكيات (**Behabitives**): وهي أفعال لغوية تشكل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلِّم، وهي تحمل المتكلم على اتِّخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل: الاعتذار، والشكر والتهنئة والتعزية والتحية والتعاطف...إلخ.[5]

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 203،204.

[2]- طالب سيّد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة والبلاغيين العرب، ص10.

[3]- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2013، ص150. ويسمي عمر بلخير كل من الحكميات ب:الأفعال الدالة على الحكم، والانفاذيات ب:أفعال الممارسة، والتنبيهات ب أفعال العرض.

[4]- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، ص 223. ويسمي صلاح إسماعيل الوعديات ب: الأفعال الإلزامية، والتنبيهات بالأفعال التفسيرية.

[5]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفلمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط1، 2007، ص62.

5-التبيينيات (Expositives): وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل: الإثبات، والإنكار، والمطابقة، والملاحظة والتنويه، والإجابة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، والموافقة.[1]

والملاحظ على هذه الأصناف أن المقابل العربي لها يختلف من كتاب إلى آخر، على الرغم من محافظتها على نفس المعنى والماهية ولعل هذا راجع إلى تعدد الترجمات للمصطلح الواحد.

كما أن الأفكار التي طرحها **أوستين** كانت بمثابة الأرضية الخصبة التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية، وبذلك كانت هذه المرحلة بمثابة مرحلة التأسيس غير أن ما قدمه أوستين« لم يكن كافياً لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنه كان كافياً ليُكَوِنَ نقطة انطلاق إليها وذلك بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها وبخاصة مفهوم الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوماً محورياً في هذه النظرية، حتى جاء **سيرل** فأحكم وضع الأس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدمه عن الفعل الإنجازي... والقوة الإنجازية...كافياً لجعل الباحثين يتحدثون عن "نظرية سيرل في الأفعال الكلامية" بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين.»[2].

وقد قدم **محمود أحمد النحلة** في كتابه" آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" نقداً مس كل جوانب النظرية من مفاهيم وأصناف، حيث قال إنَّ أوستين « لم يستطع أن يحقق ما سعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، فلم يكن ما قدمه من تصور كافياً ولا قائماً على أسس منهجية واضحة ومحددة، فقد خلط بين مفهوم الفعل قسماً من أقسام الكلام والفعل حدثاً اتصالياً، ولم يَقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها ودخل في بعض الفئات ما ليس منها

[1]- ينظر: محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 70. ويسمي محمود أحمد النحلة كل من الانفاذيات بأفعال القرارات، والوعديات بأفعال التعهد، والتنبيهات ب أفعال الايضاح.

[2]- محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي،ص47.

لكنه برغم ذلك وضع بعض المفاهيم المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، فضلاً عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعدُّ مفهوماً محورياً في هذه النظرية.»[1] ويتجلى هذا التداخل بوضوح في تصنيفه للحكميات والتنفيذيات، فبعض أفعال الحكم يدخل ضمن صنف التنفيذيات وقد صرح أوستين في بدية تصنيفه أن هذا التصنيف مبدئي وأنه غير راضٍ عنه.

1-3 نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل:

1-3-1 جهود سيرل وإسهاماته في تطوير نظرية الأفعال الكلامية:

تبنى **سيرل** نظريه أستاذه **أوستين** وطورها، إلا أن ما يميز طرح سيرل هو «إسهامه في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حدّ ذاته، وهو ما يسمّيه باسم **القوة المتضّمنة في القول**، وما يتصل بمضمون العمل وهو ما يسميه باسم **المحتوى القضوي**. »[2] وبالتالي يكون التعبير عن المقصد وتحققه هو مجال دراسة سيرل، ومن أشهر الأمثلة التي سيقت لتمثيل ذلك قول القائل: "أعدك بأن أحضر غدا" ف"أعدك" هو اسم القوة المتضمنة في القول، وأحضر غداً هو اسم المحتوى القضوي، ففي هذه الملة كأن في نية المتكلم وعد للمخاطِب بالحضور، وقد حدد سيرل مقصدين لهذه الجملة وفق طرحه الجديد هما[3]:

أ- الوعد بالحضور غدا

ب- إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة" أعدك بالحضور غداً"، وبذلك قسم سيرل الفعل الكلامي إلى قسمين:

[1]-محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 70-71.

[2]- آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص33.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص34.

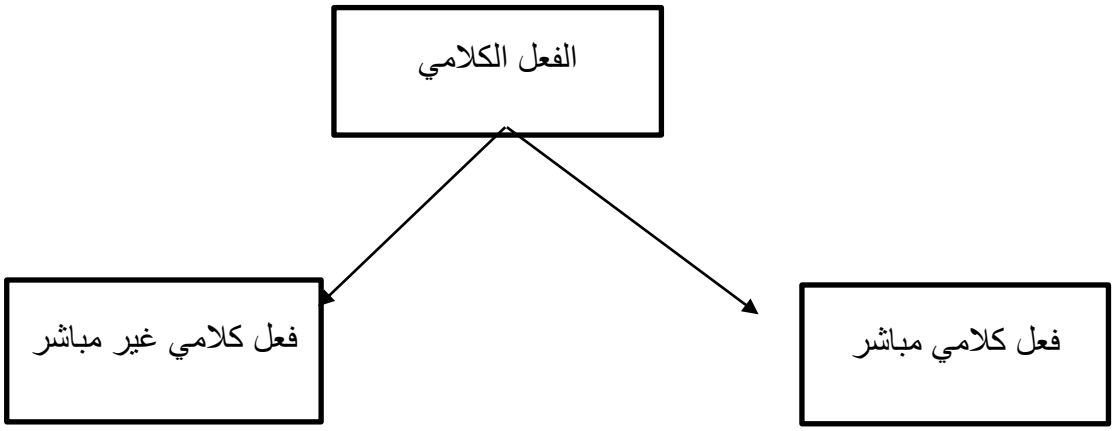

يتحقق عندما يتطابق قول المتكلم مع قصده يكون فيه القول مخالفاً لقصد المتكلم

من خلال هذا التقسيم الثنائي للفعل الكلامي نخلص إلى أن نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل مرت بمرحلتين:

أ- **مرحلة الأفعال الكلامية المباشرة:**

يرى **سيرل** أن الأفعال الكلامية تختلف من صورة لأخرى يحددها المعنى الذي تكتسيه، فمنها ما يعبِّر عن المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم، ومنها ما يخالفه قصده وعلى هذا الأساس ميَّز سيرل بين نوعين من الأفعال الكلامية" الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

فالأفعال الكلامية المباشرة وهي مجموعة الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيطابق ما يعنيه[1]؛ أي يكون القول مطابقاً للقصد وذلك عن طريق صياغة معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة وفق نظام تركيبي سليم فضلا عن عدم استعمال الألفاظ الغريبة، ومنه يدرك المتلقي المستوى التركيبي والمعجمي وبالتالي يتحقق عملية الفهم والإفهام فلا يحتاج إلى تأويل.

[1]- ينظر: علي محمود حجي الصراف،في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، ص108. وينظر أيضا عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 136،137.

وفي هذه المرحلة أعاد **سيرل** تصنيف أوستين للأفعال الكلامية، حيث اقترح تصنيفاً آخراً قسم فيه الفعل الكلامي إلى أربعة أصناف مع الإبقاء على الصنفين الإنجازي والتأثيري الذي جاء بهما أوستين، ويرى أن هذه الأفعال هي الأخرى تُنجز في الوقت نفسه وهي[1]:

1- الفعل النطقي: ويتمثل في النطق بكلمات وعبارات ذات بُنى صوتية وتركيبية ومعجمية.

2- الفعل القضوي:وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، ونصَّ سيرل على أن الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائماً مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب، لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه.

3- الفعل الإنجازي: ويتمثل في الغرض والقصد المعَبَر عنه من خلال القول كالتحذير، التهديد، التمني، الاستفهام، الوعد، النصح...إلخ.

4- الفعل التأثيري: لم يُعِرْ سيرل هذا الصنف أي أهمية، لأنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما.

ومن هنا يتضح لنا إلى أي مدى لا يمكن أن يتم الفعل القضوي وحده، بل يستخدم دائما مع الفعل الإنجازي في الفعل الكلامي فلا يمكن الفصل بينهما، حيث لا نتصور أن ننطق بفعل قضوي دون أن يكون لنا قصد من نطقه. ومن الأمثلة التوضيحية التي ذكرها سيرل في سبيل تذليل هذه الفكرة ما يلي[2]:

1-يقرأ زيد الكتاب.

2-أيقرأ زيد الكتاب.

[1]- ينظر: محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71،72،73.

[2]- ينظر: محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص72.

3-يا زيد اقرأ الكتاب.

4-لو يقرأ زيد الكتاب.

فعند نطق المتكلم بهذه الجمل يكون قد أنجز ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد وهي:

الفعل النطقي: ويتمثل في تلفظ المتكلم بجملة من الأصوات على نسق تركيبي ومعجمي صحيحين.

الفعل القضوي: ويتمثل في المرجع وهو زيد، والخبر هو قراءة الكتاب، فالمرجع والخبر إذن يشكلان قضية، وهذه القضية هي القاسم المشترك بين هذه الجمل الأربع.

من خلال ما سبق عرضه يتضح لنا **أوستين** قد تبنى أفكار أستاذه سيرل وطورها، حيث أنه أدمج الفعلين الصوتي والتركيبي وأيضاً -الصَّوتي والإنتباهي في تقسيم فعل القول-من تصنيف أوستين في صنف واحد أطلق عليه ب "**الفعل التلفظي**" ويقصد به التلفظ بالكلمات والجمل على نسق معين تركيبياً ومعجمياً، أما الفعل القضوي فقد ضمنه أوستين في صنف الفعل الإحالي الخاص بتقسيم فعل القول، أما الفعل التأثيري فلم يعره إهتماماً.

يرى **سيرل** أن الفعل الكلامي لا يقتصر على قصد المتكلم فقط، وإنما يرتبط أيضاً بالأعراف الاجتماعية واللغوية لاستعمال اللغة، ولخص ذلك في عبارته المشهورة:

«**Meaning is more than a matter of intention; it is also matter of convention**»[1]، وأن هناك ثلاث مستويات تتوفر في أيِّ نشاط اجتماعي[1]:

[1]- محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص73.

- **مستوى اللسان:** بعدّه اتفاقات اجتماعية تحملها العبارة دون التلفظ بها(اللسان بالمفهوم السوسيري).
- **مفهوم الحوافز الفردية:** (الكلام بالمفهوم السوسيري) التي تمنح للعبارة دلالة ما عند التلفظ بها.
- **مستوى الاشتراطات الإجتماعية الواسعة:** وهو مستوى معقّد يسمح سبب باختيار هذه الدلالة دون غيرها.

فأي عملية تواصلية لا يتوفر فيها العرفين اللغوي والاجتماعي تكون فاشلة، لذا وجب على المشاركين في الخطاب أن يكونوا على وعي بهاذين العرفين وأن الكثير من الأفعال اللغوية تحكمها قوانين وأعراف اجتماعية خاصة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن قصد المتكلم ونيته ليس كافياً بإنجاح العملية التواصلية وإنما لا بد أيضاً من توفر العرف اللغوي والاجتماعي.

وما يجدر التنويه إليه أن **سيرل** لم يعارض أو يخالف أستاذه **أوستين** في وظيفة اللغة على أنها أداه تواصل وتعبير وفعل وسلوك اجتماعي وإنما خالفه في ضبط مفهوم آخر" **للفعل المتضمن في القول**" «فمن مظاهر التعديل التي أجراها سيرل على مفهوم أستاذه لتمييز بين مفهومين: مفهوم "فعل القول"، ومفهوم" الفعل المتضّمن في القول"، فهو يوافق أستاذه في أن الأول هو فعل لغوي ذو معنى محدد في لغة من اللغات بينما الثاني هو مَلْءُ هذا اللفظ بقوة إنجازية معينة، كأن يكون فعل القول ظاهره الاستفهام، ولكن القوة التي يتضمنها هي الإنكار أو غير ذلك، ولكن ما لاحظه سيرل أنه قد يحدث أن يتداخل

[1]-ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت لحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009،ص93.

.

الفعلان فيكون التلفظ بجملة ما خاليا من أية قوة ضمنية، أي يكون ما تدل عليه الجملة معنى ظاهريا صرفا خاليا من أي فعل متضّمن في القول. »[1]، ومنه يمكننا توضيح ذلك بالمخطط الآتي[2]:

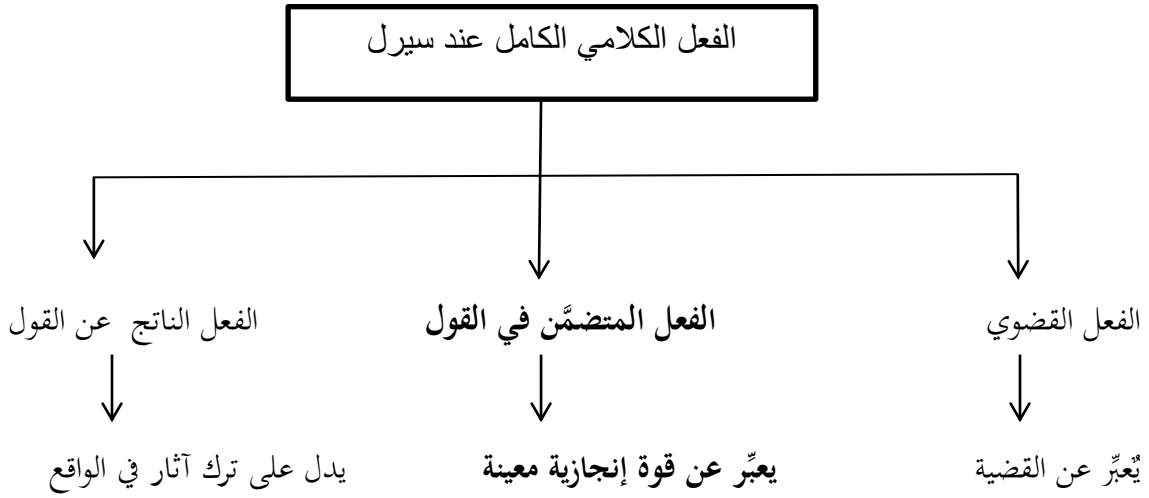

ويعتبر **سيرل " الفعل المتضمن"** هو محور الدراسة عليه أقام تصنيفه واعتبره الفعل الحقيقي.

ب- الأفعال الكلامية غير المباشرة:

وتُعرف على أنها تلك الأقوال التي« يرمي من خلالها المتكلمون إلى التعَّبير بشكل ضمنّي عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والمستعارة وحالات تعدد المعنى»[3] ومن الأمثلة التوضيحية التي سيقت في توضيح هدا الصنف المثال التالي:" هل تستطيع أن تناولني الملح؟"، رأى سيرل أن القائل في هذا المثال قد أنجز عملين لغويين؛ الأول يتمثل في الاستفهام والثاني يتمثل في الالتماس، أي أن الغاية من هذا الطرح ليس السؤال في حد ذاته وإنما السؤال من أجل الالتماس، وفي ذات السياق حدد سيرل شروط نجاح الالتماس إذ يقول: «أنه من شروط نجاح الالتماس

[1]-مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول، ص83،84.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص86.

[3]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفلمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2007، ص 68.

على الشخص الذي نتوجه إليه بالكلام أن يكون قادراً على إنجاز العمل المطلوب»[1] وإلا أصبح الأمر تعجيزاً .

فمن خلال ما سبق عرضه يمكننا القول أن الأفعال الكلامية المباشرة هي الأقوال التي طابقت معناها الحرفي قصد المتكلم، أمَّا الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأقوال غير الصريحة التي يخرج معناها الأصلي إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام.

وقد ذكر **محمود أحمد النحلة** في كتابه" في آفاق جديدة في البحث اللغوي " ثلاثة فوارق جوهرية من شأنها توضيح الفرق بين هذين النوعين من الأفعال الإنجازية- المباشرة وغير المباشرة- يمكن عرضها على النَّحو التالي:[2]

1-أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظلُّ ملازمة لها في مختلف المقامات، أمَّا الأفعال الإنجازية غير الحرفية فهي راجعة إلى المقام الذي لا تظهر قوتها الإنجازية إلاَّ فيه.

2-أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تُلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟، فقد تُلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطَّلب، ليقتصر الفعل على القوة الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

3-إنَّ القوة غير المباشرة لا يتوصَّل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها، ومن هنا لم تُعْنَ النظريات

[1]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص59،60.

[2]- ينظر: محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83.وينظر أيضا علي محمود حجي الصراف،في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، 98،99.

الشكلية إلا بالقوة الإنجازية المباشرة أو الحرفية، أمَّا غير المباشرة أو غير الحرفية فتقع خارج نطاق اهتماماتها.

وقد ذكر أيضاً **محمود أحمد النحلة** في ذات السياق الملاحظة التي توصل إليها الباحثين المتعلقة بالتواصل ومفادها أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة، فهذه الأخيرة استخدامها قليلٌ وهي تقتصر على ما يسمى بالأفعال المؤسساتية أو التشريعية كالتوكيل والتفويض والوصية والتوريث والإجازة ونحوها، لأن استخدامها هنا غير مباشرة سوف يؤدي إلى اللُّبس والغموض وبالتالي ضياع الحقوق.[1]

وإذا ما التفتنا إلى تراثنا البلاغي العربي نجد أن مفهوم سيرل حول الأفعال الإنجازية غير المباشرة يتفق إلى حد كبير مع علمائنا البلاغيون القدامى في حديثهم عن الأساليب الإنشائية والخبرية التي تخرج من دلالتها الأصلية إلى دلالات مجازية تُفهم من خلال السياق وهو ما يسمى أيضاً عند **غرايس ب" الاستلزام الحواري"**.

أعاد **سيرل** النظر في **شروط الملائمة** التي وضعها أوستين، فمعيار نجاح الفعل الكلامي عامة والفعل المتضمن في القول على وجه الخصوص مرهون بتحققها وإذا لم تتحقق لم يتحقق الفعلُ الكلامي ولا الهدف الذي من أجله تم النطق بهذا الفعل، وهذه الشروط هي[2]:

[1]- ينظر: محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص83.

[2]- ينظر: علي محمود حجي الصراف،في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، ص52،53.

❖ **شرط المحتوى القضوي**: لا يتحقق هذا الشرط إلا بوجود "قضية" يعبِّر عنها قول المتكلم الإنجازي، التي تقوم على المتحدث عنها أو المرجع، ومتحدث به أو خبر، فالمحتوى القضوي إذن هو المعنى الأصلي للقضية .

❖ **الشرط التمهيدي**: ويتحقق عندما يكون المتكلم قادراً على إنجاز الفعل، وعندما لا يكون واضحاً لكل من المتلقي أو المتكلم من أن المتلقي سينجز الفعل المطلوب في المجرى الاعتيادي للأحداث أو لا.

❖ **شرط الإخلاص**: ويتحقق عندما يكون المتكلم" مخلصاً وصادقاً" في أداء الفعل الإنجازي فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل مالا يستطيع، وبعبارة أخرى : لا بد أن يكون المتكلم "يريد حقاً" أن يُنجز الفعل من قِبله أو من قِبل المتلقي.

❖ **الشرط الأساسي**: ويتحقق عندما يحاول المتكلم التأثير في المتلقي لينجز الفعل، وبعبارة أخرى: يُعَد هذا الشرط "محاولة" حث المتلقي على إنجاز فعل معين.

رأى **سيرل** بأن هذه الإنجازي فأضاف إثنا عشر معياراً الشروط غير كفيلة بتحقيق الفعل ، وهذه المعايير تصدق على أيَّة مجموعة من الأفعال الإنجازية في أيَّة لغة من اللغات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المجهود الذي بذله سيرل على الكلامية الإنجازية حيث توصل إلى أنها ليست على نمط واحد وإنما تتنوع بحسب البنية والمقام الذي ترد فيه، كما سعى إلى توضيح الفروق بين الأفعال الإنجازية التي تتشابه في الغرض الإنجازي والمحتوى القضوي.

على غرار ذلك يرى بعض الباحثين أن هذه المعايير وإن دلت على توجه صاحبها وحرصه الدقيق إلا أنها «لا تتوافق مع المنهج العلمي للتصنيف الذي يهدف إلى ردِّ أكبر قدر من المعطيات في أقل ما

يمكن من الأصناف، فالتدقيق ومراعاة الفروق بتفاصيلها الدقيقة قد تصل في النهاية إلى اعتبار كل معطى من المعطيات صنفا مستقلاً بنفسه، وهذا ما لا يطمح إليه الباحث»[1].

1-3-2- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية وشروط تحقيق الفعل اللغوي:

أعاد **سيرل** تصنيف الأفعال الكلامية منطلقاً من مبدأين: الأول يتمثل في الاعتداد بالمعايير الاثني عشر، والثاني من مبدأ أن لكل عمل لغوي بنية عميقة تحدده، وتتكون هذه البنية من: فعل إنجازي يسم موضع القوة المقصودة بالقول وجملة تسم موضع المضمون القضوي وعليه أقام سيرل تصنيفه للأفعال الكلامية على النحو الآتي[2]:

1-التمثيليات: الغرض الإنجازي منها هو نقل المتكلم لواقعة ما شرط أن يلتزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها، وتكون الكلمات فيها مطابقة للعالم.

2-**التوجيهيات**: يسعى المتكلم فيها إلى جعل المخاطَب يقوم بشيء ما، واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات.

3-الوعديات: وهدفها إلزام المتكلم نفسه بتحقيق عمل ما، واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات، ومن أمثلة هذا الصنف: الوعود، النذور، العقود، المواعيد ...إلخ.

4-التعبيريات: غرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية أو موقف شعوري، وتخلو من اتجاه المطابقة لأن المتكلم وفق هذا الصنف لا يحاول التأثير في العالم ليماثل الكلمات ولا الكلمات ليماثل العالم، ومن أمثلة ذلك: الشكر و التهنئة، الاعتذار، الترحيب...إلخ.

[1]-معاذ بن اسماعيل الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقاربة تداولية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2014، ص 50.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص51..

5-الإيقاعيات: الغرض الإنجازي منها هو إحداث تغيير في العالم، تتميز بأنها تحدث صدق محتواها القضوي وهي التي سماها أوستين في بداية ملاحظاته أقوالا إنشائية، واتجاه المطابقة فيها مزدوج من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات.

2/ أساليب الخبر والإنشاء في التراث البلاغي العربي:

بادئ ذي بدء تبوأت نظرية الأفعال الكلامية مكانة مهمة حيث أُعْتُبِرَت من أهم موضوعات اللسانيات التداولية وعنصراً أساسيا في التحليل التداولي للخطاب، وهذا بسبب اهتمامها بالعملية التواصلية وأقطابها، حيث اهتمت بالمتكلِّم والمخَاطَب والمقام ومقاصد المتكلمين ونواياهم. وهذا التواصل يتم عن طريق مجموعة من الأساليب اللغوية تختلف بحسب المقام، وهي إما حقيقية فتكون دلالتها مطابقة لبنيتها اللغوية أو مجازية تفهم من سياق الكلام.

تجلت نظرية الأفعال الكلامية بوضوح في تراثنا العربي نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره، لذلك مثلَّت مركزاً مهماً في منظومة البحث اللغوي العربي، وبهذا « تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديداً ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب"**الخبر والانشاء**" وما يتعلَّق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر نظرية الخبر الإنشاء عند العرب- من الجانب المعرفي العام- مكافئةً لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين»[1]، وعليه، فأنَّ علماءنا العرب قد عرضوا إلى هذه النظرية إلا أنهم لم يضبطوها بمصطلح خاص وإنما كانت بحوثهم حولها مبثوثة في مباحث متفرقة، إلا أن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بأحقية العرب في السبق لهذه النظرية فالظاهرة دائما تسبق المصطلح.

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز 2005، ص49.

وما يؤكد هذا الرأي قول **أحمد المتوكل** بقوله « من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية "الخبر والإنشاء" التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية " الوصف والإنجاز"، كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء. فالجملة الخبرية عندهم هي الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب في حين أن الجملة الانشائية هي التي تتوفر على خاصيتين: (أ) أنها لا تحتمل الصدق أو الكذب و(ب) أن مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها، ويصل الشبه بين الثنائية القديمة والثنائية الحديثة إلى أن اللغويين العرب القدماء اقترحوا تقليص الجمل اللغوية برد الجمل الخبرية والجمل الإنشائية إلى جمل خبرية أو انشائية كما فعل أوستين نفسه»[1]. وهذا دليل أخر على أن ثنائية الخبر والانشاء في البلاغة العربية تتفق ما أقره أوستين وسيرل في العصر الحديث، حتى وأن المعايير التي اعتمدها أوستين في نظريته كالصدق والكذب ومعيار مطابقة الواقع أو عدم مطابقته هي نفسها التي وضعها علماؤنا العرب تمييزاً بين الأسلوبين الخبر والإنشاء.

2-1 معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند البلاغيين:

توصل العلماء العرب إلى وضع معايير متفاوتة الدقة مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والانشاء[2]:

- **معيار قبول الصدق والكذب:** فالخبر ما يقبل الصدق والكذب والإنشاء مالا يقبل الصدق أو الكذب، وهذا المعيار هو الأشهر والأكثر شيوعاً بين مؤلفاتهم.

- **معيار مطابقة النسبة الخارجية:** فالخبر هو الكلام التامُّ المفيد أو الخطاب التواصلي الذي نسبته الكلامية خارجية، والإنشاء ليس له تلك النسبة.

[1]- أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتب المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 42.

[2]- ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص،102.

❖ **معيار إيجاد النسبة الخارجية:** ومفاد هذا المعيار أن« الكلام الذي يحسن السكوت عليه لا محالة يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإذا كان القصد منه الدلالة على أنَّ تلك النسبة المفهومة من الكلام حصلت في الواقع وقعت في الخارج بين معنى المسند والمسند إليه فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد الدلالة على اللفظ وجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء»[1].

❖ **معيار قصد المتكلم:** إتَّخذ العلماء قصد المتكلم قرينة مساعدة حيث يصبح الكلام خبراً إذا انضمّ إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به، وإنشاء إذا انضم إلى اللفظ قصد إيجاد النسبة الخارجية.

❖ **معيار عدد النسب:** وينص على أن للخبر ثلاث نسب: نسبة كلامية ونسبة ذهنية ونسبة خارجية، أمَّا الإنشاء فله نسبتان: كلامية وذهنية.

ويضيف مسعود صحراوي معياراً سادساً ويتمثل في" **تبعية النسبة الخارجية للنسبة الكلامية"** وهو معيار استقاه من شهاب الدين القرافي في محاولة تأسيسه لرؤية يميز بها الخبر عن الإنشاء ، ويتمثل هذا المعيار حسب رأيه في أن« الإنشاءات تتبعها مدلولاتها والأخبار تتبع مدلولاتها»[2] ويشرح ذلك أكثر بالأمثلة التي أوردها فمثلاً الطلاق والملك هما مدلولات وإنما يقعان بعد صدور الصيغة اللغوية للطلاق

[1]– أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج01، ص 168.

[2]–شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، تح محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ج1، 2000،ص 74،

والبيع، وأما الخبر فهو تابع لمخبره كقولنا: "قام زيد" تبع لقيامه في زمن الماضي، وقولنا: "هو قائم" تبع لقيامه في الحال، وقولنا:" سيقوم" تبعٌ لتقرير قيامه في المستقبل.[1]

إذاً، فقد تناول علماؤنا العرب القدامى نظرية الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في سياق حديثهم عن ظاهر اللفظ وما يخرج إليه، وبذلك يكون علماؤنا قد ميزوا بين هذين الضربين، فهم وإن لم « يعرفوا هذا المصطلح عرفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته وأطلقوا عليه مصطلحات أخرى لعلَّ أقربها إليه مقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضى الظاهر»[2] وهذا ما نستشفه من قول **عبد القاهر الجرجاني** (**ت471هـ**) « الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن" زيد" مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيدٌ، وبالإنطلاق عن "عمرو" فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة»[3]، فالمفهوم الأولي لظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة يسميه عبد القاهر ب"المعنى، أما "معنى المعنى" هو أن نفهم من اللفظ معنى ثم يفضي بنا ذلك المعنى إلى معنى آخر هو معنى المعنى فيكون بذلك الجرجاني قد أرسى كل من الأفعال المباشرة وغير المباشرة وإن اصطلح عليها بتسميات أخرى.

كذلك **الجاحظ** (**ت255هـ**) اعتمد معياراً تداولياً آخر يتمثل في" اعتقاد المتكلم وقصده ومطابقة الواقع" وهو ما جاء به سيرل في "شرط الفصاحة" في حديثه عن القوى المتضمنة في القول حيث قسم الخبر إلى ثلاثة أضرب: صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب، فالصادق هو المطابق للواقع مع

[1]– ينظر: شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، ص96.

[2]– علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص102

[3]–أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط3، 1992،ص262.

الاعتقاد بأنه مطابق، والكاذب الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق، وأمَّا الذي ليس بصادق ولا كاذب فيكون إما مطابقا للواقع سواء مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق أو بدون اعتقاده، أو غير مطابق للواقع سواء مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق أو بدون اعتقاده[1].

كذلك من بين الومضات التداولية التي نلفيها متجلية بوضوح في البلاغة العربية تقسيم علمائنا الخبر إلى ثلاثة أقسام: ابتدائي وطلبي وإنكاري مراعين في ذلك البعد التداولي كحال السامع والسياق التخاطبي. وقد أورد **الجرجاني** في هذا الصدد مثالاً توضيحيا عن الحالة التي يُورَدُ فيها الكلام فيذكر أنَّه « رُوي عن ابن الأنباري أنه قال: رَكِب الكِنْدي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له: إنِّي لأجد في كلام العرب حشواً! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدتَ ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون:" عبد الله قائم" ، ثم يقولون " إن عبد الله قائم"، ثم يقولون: "إنَّ عبدَ الله لَقائم"، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بَل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: " عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم:" إن عبد الله قائم" جوابٌ عن سؤال سائل، وقوله: " إن عبدَ الله لَقائم" جوابٌ عن إنكار مُنكر قيامَهُ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني»[2]، فتكرار الألفاظ لتعدد المعاني ومدار الحكم على المعنى هو السياق الكلامي، وكثراً ما تنزاح الأساليب وخبرية و الإنشائية عن دلالتها الأصلية لتدل على أغراضٍ ومعانٍ أخرى تستفاد من قصد المتكلم و المقام وقرائن الأحوال.

ومن هنا يمكننا القول إنَّ **نظرية الأفعال الكلامية** تتقاطع مع **ثنائية الخبر والانشاء** في التراث البلاغي العربي، وهذا ما نلمحه في المعايير التي أقرها كل من أوستين وسيرل لاسيما" ثنائية الصدق

[1]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربين ص93-94.

[2]- أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص231.

والكذب"، كذلك تقسيم سيرل للأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة يشبه إلى حد كبير خروج الأساليب الإنشائية والخبرية عن أصل معناها إلى أغراض بلاغية أخرى وهو ما يعرف أيضاً عند **غرايس "بالاستلزام الحواري"**.

3/– أساليب الخبر والإنشاء عند الأصوليين:

لم يكن الاهتمام بظاهرة الخبر حكراً على البلاغيين فقط، وإنما كان محل اهتمام الكثيرين من العلماء، البلاغيون، الفلاسفة والمناطقة، والأصوليون والفقهاء، وكان وراء كل واحدٍ منهم خلفيات« فمعظم البلاغيين وكثير من النحاة توسعوا في بحث كل من أُسْلُوبَي" الخبر والإنشاء" باستفاضة باعتبارهما مقصداً وغايةً في ذاتهما بحكم أن طبيعة النصوص التي يدرسونها تقتضي التنظير والتطبيق لنوعي الأسلوبين جميعاً، لكن مع تفاوت وظيفي بين البلاغيين والنُحاة. أما الفلاسفة والمناطقة فاستبعدوا التراكيب غير الخبرية ولو كانت دالّة ومفيدة، وقصروا تحليلاتهم على التركيب الخبري وحده لأن الخبر هو الذي يهمّ المنطقي أن يبحث فيهن ولكن بعد أن ميزوه عن الإنشائي بتدقيق شديد، ولعل سبب اقتصارهم على التركيب الخبري أنه " هو وحده النافع في العلوم" فاهتموا بالظاهرة من خلال [اهتمامهم بالوسائل] والأدوات لا بالمقاصد والغايات، أما الأصوليين والفقهاء فقد تميز بحثهم لهذين الأسلوبين معاً وفق رؤية تداولية محكومة بآلية "البعد المقاصدي"، واتخذوا من البحث فيهما أداة لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية»[1].

إذاً، فالغاية من البحث قد تباينت بين هذه الطوائف الثلاث؛ الأصوليون والمناطقة اتخذوا من البحث غاية ووسيلة من أجل الفهم واستنباط الأحكام الشرعية على غرار البلاغيين الذين كان البحث عندهم مقصوداً كغاية في حد ذاته.

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 56،57.

كانت هذه هي أهم النقاط الأساسية التي شكلت الإطار الابستيمولوجي في البحث عن ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللغوي.

3-1- معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند علماء الأصول:

اهتم علماء الأصول بالدرس اللغوي عناية خاصة، وذلك لفهم النص الشرعي فهماً صحيحاً واستنباط الأحكام الشرعية منه، وبذلك كان الدرس اللغوي عند الأصوليين من مقدمات علم الأصول لا من مسائلها فخصصوا له مقدمات أطلقوا عليها اسم" مباحث الألفاظ" أو" المبادئ اللغوية" وذلك من خلال اعتمادهم على الأساليب اللغوية والمفردات فضلاً عن اهتمامهم بالمعاني الضمنية للأساليب البلاغية كالأمر والنهي والترغيب والترهيب.

إن عناية **علماء الأصول بالدراسة اللغوية** يختلف عن عمل كل من النحاة والبلاغيين بكونه عملاً لا يُعنى بالنظر في الدلالة على المعاني من جهة الوجه اللغوي فحسب (وهو ما اختص به النحاة) ولا بالنظر إلى فصيلة تلك الدلالة(وهو ما اختص به علماء البلاغة)، وإنَّما يُعنى « بمعرفة ما يريده "الشَّارع" على وجه الخصوص والتّحقيق، كأن يريد إفادة مضمون الخطاب أو التّكليف بأمر أو النّهي عنه على سبيل الإلزام أو التّخيير حتى يستخرج من ذلك أحكام الوجوب والحرمة والإباحة»[1]. فيكون بذلك الاختلاف جلياً عند الأصوليين في كيفية القصد من الخبر وكيفية تلقيه.

إن المدخل الأساسي عند الأصوليين لدراسة الإنشاء هو دراسة الأحكام الشرعية المعروفة لديهم بصّيغ التكليف « فقد اعتنوا بخطاب الشّارع المتعلّق بأفعال العباد ليميّزوا ما ورد منه على سبيل الإلزام، أو على سبيل التّخيير والإباحة، لذلك حظيت دراسة الأوامر والنّواهي عند الأصوليين بعناية لا نجد مثلها عند الدّرسين النّحوي والبلاغي أو في مباحث الفلاسفة. وقد توقفوا كثيراً عند الصيغ الموضوعة

[1] خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص344.

للأمر و النَّهي وما يتّصل بها من قرائن، وتناقشوا في دلالة تلك الصّيغ بأنفسها أو بواسطة القرائن النّصية على سبيل الإلزام أو الإباحة والتّخيير.»[1].

وبذلك يعتبر الأمر والنهي من أبرز الأفعال اللغوية التي تناولها علماء الأصول حيث بلغت عنايتهم واهتمامهم بها إلى «أنهم رأوا أن أحق ما يبتدأ به في البيان الأمر و النهي لأن معظم الابتلاء بهما إذ عامة خطاب الله-عز وجل-وخطاب رسوله صلى الله عليه وسلم-غالبه على سبيل التكليف- لا يخلو إما أن يكون أمراً أو نهياً، فعليهما قامت الأحكام المعتبرة مقصد الأصوليين وهدفهم الأسمى من علمهم وقراءتهم إذ بمعرفتهما يتم معرفة الأحكام ويتم تمييز الحلال من الحرام»[2]، ومنه يعد كلا من الفعلين الكلاميين الأمر والنهي من أعظم المقاصد عند الأصوليين، إذ أن الثواب والعقاب مبنيان عليهما فضلاً عن ثبوت أكثر الأحكام بهما.

رفض علماء الأصول "الصدق والكذب" معياراً للتمييز بين الخبر والإنشاء وحجتهم في ذلك قدرة الفعل اللغوي على التحول والانتقال بين مواقع متعددة حسب ما يقتضيه سياق القول ومقام الخطاب، ومقاصد الخاطبين ونواياهم.[3] **فماهي المعايير التي صاغها علماء الأصول للتميز بين الخبر والإنشاء؟.**

اعتمد الأصوليين على مجموعة من القواعد للتمييز بين الخبر والإنشاء نجملها في ما يلي:

أ- القاعدة الأولى: مطابقة النسبة

[1]- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص 334،335

[2]-يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية والاجراء، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007، ص282.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص282.

في هذه النسبة يتم التمييز بين الخبر والإنشاء على أساس النسبة الحاصلة باللفظ، فإذا كان لهذه النسبة مطابق خارج اللفظ فهو خبر وإلا فإنشاء.[1]

ويُعرف "**الآمدي**" (**ت631هـ**) الخبر بأنه عبارة عن« اللَّفْظِ الدَالِّ بِالْوَضْعِ عَلَى نِسْبَةٍ مَعْلُومٍ إِلَى مَعْلُومٍ أَوْ سَلْبِهَا عَلَى وَجْهٍ يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَمَامٍ مَعَ قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ الدَّلاَلَةَ عَلَى النِّسْبَةِ أَوْ سَلْبِهَا»[2]، فالخبر إذن هو موضوعٌ يُعَبِرُ به المتكلم ويحكي ثبوت النسبة الوجودية أو سلبها قاصداً بذلك حكاية الثبوت أو السلب[3]. وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الخبر هو ما كان لنسبته سواء كانت موجبة أو سالبة وجود في الواقع الخارجي بحيث يقصد المتكلم إلى الدلالة على تلك النسبة بنوعيها.

ويرى الحنابلة والأشاعرة أن الإنشاء هو ما ترتب عليه حكم شرعي يمثل الأمر الذي يسببه اللفظ بالإنشاء، ومثال ذلك ما أورده **ابن "قيم الجوزية"** (**ت751هـ**) في كتابه "بدائع الفوائد" " أنت طالق" فالمراد به لفظ يترتب عليه التحريم[4]، كما يرى أن الإنشاء هو« المتبادر إلى الفهم عُرفاً، ولهذا لا يحسن أن يُقال فيه صدق أو كذب، ولو كان خبراً لحسُن فيه أحدهما... فإننا نعلم بالضرورة أن من قال لامرأته: أنت طالق، لا يحسن أن يُقال له صدقت ولا كذبت.»[5]، فالخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، والإنشاء هو ما حَمِلَ الطابع العرفي وقد عُرف في الجاهلية باسم" الظَّهَار" فكانت العرب تُطَلِقُ نسائها في الجاهلية بهذه الكلمة «كأن يقول الرجل لامرأته :أنت عليَّ كظهر أمّي فهم كانوا إذا أرادوا

[1]- ينظر: أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم التغلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،ط2003،1ج2، ص201،202.

[2]- المرجع نفسه، ص202.

[3]- ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص349.

[4]- ينظر: أبو عبد الله محمّد بن أبي بَكر بن أيُّوب ابن قيم الجَوزيّة، بدائع الفوائد، تح: علي بم محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع، مج1،ص18.

[5]- المرجع نفسه، ص18-20.

الطلاق أتوا بلفظ الظَهَار إرادة للطلاق فهم بذلك لم يقصدوا الأخبار الكذب، وإنما كانوا منشئين للطلاق به ولهذا كان ثابتاً في أول الإسلام حتى نسخه الله بالكفارة في قصة خولة بنت ثعلبة*.»[1]. من خلال ما سبق عرضه يمكننا أن نستنتج أن لمفهوم الإنشاء رافدين أساسيين:

1- رافد لغوي:

وهو رافد وَلَدَهُ الدرس النحوي ورسخه النحاة بمقابلتهم بين الخبر والطلب أو مقابلتهم بين الألفاظ التي تكون "عبارة عن أشياء غيرها من الأعمال أو أشياء غيرها من الألفاظ"، والألفاظ التي يكون مجراها مجرى عمل يعمله عامل.

2- رافد عرفي:

وهو ما ولدته الأعراف وأسهم في ترسيخه النحاة الأصوليين، إذ بحثوا في الأحكام العرفية أو الشرعية وما تنبني عليه من صيغ وألفاظ توجب حكمها الشرعي بأنفسها، كما لاحظوا أن من الأحكام ما لم يوضع له صيغة إنشائية خاصة به وأن الشرع أو العرف هو الذي جعل منها دالةً على الإنشاء.

*كانت تحت عُبادة بن الصامت، فقال لها: «أنت عليَّ كظهر أُمي»، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته عن ذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرُمْتِ عليه»، فقالت: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب، ما ذكر الطلاق، وإنه أبو ولدي، وأحب الناس إليَّ فقال: «حَرُمْتِ عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي وَوَحْدتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أُرَاك إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ، وَلَمْ أُؤْمَر فِي شَأْنِكِ بِشَيْءٍ»، فَجَعَلَتْ تراجعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وإذ قال لها:« حَرُمْتِ عَلَيْهِ» هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، وأن لي صِبْيَة صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إنِّي أشكو إليك، وكان هذا أول ظهار في الإسلام، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قُضي الوحي قال: «أدْعي زَوْجَكِ» فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:01]. أبو عبد الله محمّد بن أبي بَكر بن أيُّوب ابن قيم الجَوزيّة، بدائع الفوائد، ص24.

[1]- المرجع نفسه،ص24،25.

يذهب **أبو حامد الغزالي (ت505هـ)** إلى أن "البيع والإجارة والنكاح" صيغ خبرية حاملة لمعنى الإنشاء فهذه الصيغ «ليس لها إلاَّ صيغة الإخبار وقد جعله الشرع إنشاء إذ ليس لإنشائه لفظ.»[1]، ويبرر الغزالي هذا التحول في الدلالة من الخبر إلى الإنشاء، وذلك في معرض حديثه عن الأسماء الشرعية وتصرف عرف اللغة في الأسامي بقوله« للشرع عرف في الاستعمال كما للعرب»[2]. نستنتج من قول الغزالي أن هناك دلالات خاصة أوجدها الشرع في بعض ألفاظ اللغة واستعمالاتها ويؤكد على هذه الصلة الوثيقة بين الشرع واللغة بقوله« والمختار عندنا أنه لا سبيل إلى إنكار تصرف الشرع في هذه الأسامي ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولة عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم.»[3] وهذا دليل على أنَّ الأعراف الشرعية ليست منقطعة انقطاعاً كلياً عن أصل دلالاتها اللغوية.

وقد عرض أيضاً **ابن قيم الجوزية (ت751هـ)** في كتابه: "بدائع الفوائد" إلى اختلاف المذاهب الفقهية الإسلامية الأربع حول الإنشاءات التي صيَّغُها أخبار فيقول« اختلف في الإنشاءات التي صيغها أخبار كبِعْتُ واعْتَقَدْتُ، فقالت الحنفية هي أخبار، وقالت الحنابلة والشافعية هي إنشاءات لا أخبار.»[4]، فهم لم يختلفوا في الصيغ الإنشائية المحضة المباشرة وإنما اختلفوا في الصيغ الخبرية التي حملت معنى الإنشاء كبِعْتُ. إلا أن ابن قيم الجوزية(ت751هـ) قد فصل في هذا الاختلاف باعتبارين[5]:

الاعتبار الأول: نسبة إلى متعلقاتها الخارجية: فهذي من هذه الجهة إنشاءات محضة كما قالت الحنابلة والشافعية.

[1]–أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الاسلامية، كلية الشريعة، المدينة النورة، ج3"طرق الاستنباط"، دط، دت، ص430.

[2]– المرجع نفسه، ص21.

[3]– المرجع نفسه، ص20.

[4]– أبو عبد الله محمّد بن أبو بَكر بن أيُّوب ابن قيم الجَوزيّة، بدائع الفوائد، ص16.

[5]– خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص354.

الاعتبار الثاني: نسبة إلى قصد المتكلم وإرادته: وهي من هذه الجهة خبر عما قصد إنشاءه كما قالت الحنفية.

وبهذا يمكننا القول بأن هذه الصيغ الخبرية التي حملت معنا الإنشاء هي إخبارات بالنظر إلى معانيها الذهنية وإنشاءات بالنظر إلى متعلقاتها الخارجية.

ب- القاعدة الثانية: الغَرَضْ

يَفْصِلُ الأصوليون بين الخبر والإنشاء بحسب الغَرَضْ كما ورد عن **البَصْري (ت436هـ)** في باب أنَّ لفظة "افعل" تقتضي الوجوب فيقول« ونحن قد بينا أن الأمر قسم من أقسام الكلام غير الخبر، لا يدخله الصدق والكذب وقد بين أهل اللُّغة ذلك، وإذا رجعنا إلى أنفسنا عقلنا فرق ما بين طلب الشيء والإعلام عنه والإخبار وأنه قد يكون لنا غَرَضٌ في طلب الشيء من الغير، ويكون لنا غرض في أن نُعْلِمَ الغير به، فلم يمتنع أن يضع أهل اللُّغَة لفظين بحسب هذين الغرضين ويكون كل واحد من اللفظين وصلة إلى ذلك الغرض، ولا يكون إخْبَاراً عنه ألا ترى أن الخبر هو قولنا: "زيد في الدار" ليس هو إخبار عن إرادتنا الإخبار عن كونه في الدار، بل هو وصلة إلى بلوغ غرضنا من إعلام غيرنا، كون زيد في الدار، فكذلك قولنا: "افعل" هو وصلة إلى غرضنا من طلب الفعل من غيرنا، وليس هو إخْبَاراً عن غرضنا.»[1]

ج- القاعدة الثالثة: الإرادة

ميَّز بعض الأصوليين الخبر من الطلب على أساس الإرادة، فهي الخصيصة المميزة للطلب من الإنشاء، يقول **البصري** في ذكر ما يتخذ من مقاييس لتمييز الأمر والنهي من الخبر« فأما قاضي القضاة رحمة الله تعالى فإنه قسم الكلام المفيد إلى الأمر والنهي، وما في معناهما وإلى الخبر، فقال: المخاَطِب لغيره

[1]- أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، المعْتَمد في أصول الفقه، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1983، ص52.

إما أن يفيد حال نفسه فيدخل فيه الأمر والنهي، لأن الأمر ينبئ عن إرادة الآمر والنَّهي ينبئ عن كَرَاهته، وإما أن ينبئ عن حال غَيره فَ يكون الخبر»[1] فالقَصْدُ والغَرَض معنيان مختلطان بمفهوم الإرادة لأن المراد هو القصد، لذلك لَمْ يميز البَصْري (ت436هـ) بين هذه المفاهيم الثلاث تمييزاً دقيقاً، وإنما ففسر الإرادة بأن «المتَكَلِّم لا بد من أن يكون غرضه إيقاع المأمور بِه، وفي ذلك الرُّجوع إلى أنه لا بد من غَرض وإرادة»[2].

وتماشياً مع ما تم ذكره نلاحظ أن الطرح الأصولي يختلف عن الطرح البلاغي في وضعه الخبر في مقابل الأمر والنهي والاستخبار والوعد، كما أنهم لا يقسمون الإنشاء إلى نوعيه الطلبي وغير الطلبي وإنما يقسمونه على أساس الألفاظ الخاصة بالإنشاء سواء كان طلبياً مثل الأمر والنهي والتمنّي والترجي والاستفهام والنداء، أو غير طلبي كالقسم والمدح والذم والتعجب، وألفاظ مشتركة بين الخبر والإنشاء وتشمل عقود البيع والشراء والزواج والإجارة وإنشاء الأحكام الشرعية من مثل من يسأل عن حكم القذف فيكون جواب المجيب: ثمانون جلدة أي يجلد ثمانين جلدة مصداقا لقوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] ، وهذا التقسيم يتوافق إلى حد كبير مع ما أقره الدرس التداولي الحديث في تقسيم علماء التداولية للأفعال الكلامية إلى مباشرة وغير مباشرة.

[1]- أبي الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، المعْتَمد في أصول الفقه ، ص16.

[2]- المرجع نفسه، ص45.

[3]- سورة النور،الآية04.

3-2- شروط إنجازية فعل الإنشاء عند الأصوليين:

استند الأصوليون في دراستهم للإنشاء وشروطه إلى خصوصيات القرآن الكريم وما يتضمنه من أدلة شرعية خاصة بالأحكام وأنواع التكليف والأوامر والنواهي، فقد وضعوا شروطاً خاصة بالتكليف الشرعي وقسموها بحسب الأركان التي يتكون منها، وهذه الأركان هي[1]:

-**الحكم**: وهو الخطاب، فنظروا في مختلف صيغه وألفاظه.

-**الحاكم**: وهو من له الأمر والخلق.

-**المحكوم عليه**: وهو المخَاطب المكلّف بالأفعال.

-**المحكوم فيه**: وهو الفعل المأمور به أو المنهي عنه.

ومن بين أهم الشروط التي اعتمدها الأصوليين وعمدوا إلى تعميمها على الأساليب الطلبية والإيقاعية التي ينجزها المتكلم في مختلف الأحوال والمقامات نذكر ما يلي[2]:

أولاً: شرط القدرة والأهلية: ويُعد هذا الشرط من أبرز الشروط التي وضعها الأصوليين للمتكلم سواء أكان آمراً أو ناهياً أو منشئا لأعمال البيع والشراء والزواج والطلاق...إلخ، ويشمل هذا الشرط أيضاً المخاطَب باعتباره طرفاً في عمل من الأعمال الإنجازية الإيقاعية كالبيع والشراء مثلاً، وجعلوا قدرة المخاطَب في نوعين:

-القدرة على فهم الخطاب: يقول **الغزالي(ت505هـ)** في ذلك« المكلَّف وشرطه أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب ...لأن التكليف مقتضاه الطاعة والإمتثال، ولا يمكن ذلك إلاّ بقصد الإمتثال، وشرط

[1]-ينظر: غالي فاطيمة، نظرية الأفعال الكلامية بين التصور الغربي و الموروث الأصولي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص لسانيات ،كلية الأدب العربي و الفنون، قسم الدراسات اللغوية جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، 2019-2020، ص111.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص112،113.

القصد العلم بالمقصود والفهم للتكليف. فكل خطاب متضمن للأمر بالفهم فمن لا يفهم فكيف يُقال له افهم؟. »[1]؛ أي قدرة تقتضي أن يكون المكلَّف عاقلاً.

–القدرة على إيقاع ما هو مطلوب منه: وممّا يقتضيه هذا الشرط أمور تتصل بالمحكوم فيه، وهو الفعل المأمور به فقد اشترطوا فيه أن لا يكون مما يُراد به التّعجيز أو التّهديد، فالأمر الذي يراد به ذلك «ليس في الحقيقة بأمر.»[2]

ثانيا: شرط الإرادة والقصد: استند الأصوليين في استخلاص هذا الشرط من الإرادة التي تنبني عليها الأحكام الشرعية، فبينوا أن للإرادة في الشريعة معنيين هما[3]:

–**إرادة خَلْقِيَّة قدرية** متعلقة بإرادة ما يكون وما لا يكون، وسموها إرادة التّكوين.

–**إرادة أمريَّة** متعلّقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه، وهي إرادة التشريع أو إرادة التكليف.

[1]– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص67.

[2]– أبو اسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1975، ج3، 125.

[3]– المرجع نفسه، ص120،119.ويقول الشاطبي في بيان ذلك أن الإرادة في الشريعة جاءت على معنيين: «أحدهما الإرادة الخلقية المتعلقة بكل مراد، فما أراد الله كونه كان، وما أراد أن لا يكون فلا سبيل إلى كونه... والثاني الإرادة الأمرية المتعلقة بطلب أيقاع المأمور به وعدم ايقاع المنهي عنه، ومعنى هذه الإرادة أنه يحب فعل ما أمر به ويرضاه، ويحب أن يفعله المأمور ويرضاه، من حيث هو مأمور به وكذلك النهي يحب ترك المنهي عنه ويرضاه فالله عز وجل أمر العباد بما أمرهم به، فتعلقت إرادته بالمعنى الثاني بالأمر، إذ الأمر يستلزمها، لأن حقيقته إلزام المكلف الفعل أو الترك، فلا بد أن يكون ذلك الإلزام مراداً، وإلا لم يكن إلزاماً ولا تصوراً له معنى مفهوم... وحاصل الإرادة الأمرية أنها إرادة التشريع، ولا بدّ إثباتها بإطلاق. والإرادة القدريّة هي إرادة التكوين، فإن في هذا التقييد إطلاق لفظ القصد وإضافته إلى الشّارع فإلى معنى الإرادة التشريعية أشير، وهي أيضاً إرادة التكليف». أبو اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة، 119–122.

كما قسم الأصوليون الكلام إلى مفهوم ومنطوق وهو في الدرس التداولي الحديث يقابل الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر، فالمنطوق« ما فُهم من دلالة اللّفظ قطعاً في محل النطق، أما المفهوم فهو ما فُهم من اللّفظ في غير محلّ النطق»[1] ويُعد «المنطوق أقوى في دلالته من المفهوم لافتقار المفهوم في دلالته إلى المنطوق، وعدم افتقار المنطوق في دلالته إلى المفهوم.»[2] يتضح من خلال هذا القول أن المنطوق أصل للمفهوم.

يتضح مما سبق عناية الأصوليين بهذه الشروط وإن تخللتها بعض الأمور العقديّة والفقهية إلا أنها تعكس مدى اهتمام الأصوليين بالخطاب الإنشائي وذلك لعنايتهم بالأحكام الشرعية المبنية على الأوامر والنواهي واهتماماتهم بالمقامات الخصوصية المؤسسة على دراسة الخطاب الديني وهو ما سنتناوله بالدراسة في الفصلين القادمين، إذ سيتم التركيز على إنجازية كل من الفعلين الكلاميين الأمر والنهي في القصص القرآني لأنه يمتاز بقضية هامة ألا وهي قضية الهدف والغرض.

3-3- الأفعال الكلامية عند الأصوليين:

3-1الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر:

استثمر الأصوليون نظرية الخبر والإنشاء في تحليلهم للنصوص الدينية، فربطوا بين هذين الأسلوبين وبين ما يترتب عنهما من أغراض متجلية في مجال بحثهم الخاص ومن بين هذه الأغراض: الشهادة والرواية، الدعوى، الإقرار، الوعد والوعيد. هذه الظواهر الخبرية لخصها **شهاب الدين القرافي(ت684هـ)** في قوله:« الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والمقدمة خبر،

[1]- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج3، 46.

[2]-المرجع نفسه، ج2، 420.

والنتيجة خبر.»[1]، وتندرج هذه الأخبار ضمن صنف "التقريريات" عند سيرل والغرض المتضمن في القول لهذه الأفعال الكلامية هو "التقرير" الذي وضح سيرل مفهومه على أنه «إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به»[2] فهذه المجموعة الكلامية وإن تشابهت مع الخبر من الناحية الأسلوبية إلا أنها تختلف عنه "الغرض والمقصد"، وبالتالي أدت ملاحظاته الدقيقة إلى التمييز بين هذه الأصناف تمييزاً يقوم على أساس تداولي، وفيما يلي بيان ذلك:

1- الشهادة والرواية: اعتبر **القرافي** كلا من الشهادة والرواية خبراً وميز بينهما على اعتبارين[3]:

-نوع المُخْبَرْ عنه: فإذا كان الأمر المِخْبَرْ عنه عاماً فهو "رواية"، وإذا كان معيناً خاصاً فهو "شهادة".

-السياق الاجتماعي العام بنوعيه الرسمي وغير الرسمي: فإذا كان في مقام غير رسمي فهو " رواية"، أما كان في هيئة رسمية كأن يكون أمام القاضي فهو "شهادة" ويشترط القرافي في الشهادة توفر الذكورة والحرية وعدد معين من الشهود على خلاف الرواية[4]، أما فيما يخص الصيغة اللغوية لفعل الشهادة فقد حددها بالفعل" أشهد على صيغة المضارع" فلا تصح إلا به وهذا ما نستشفه من قول القرافي: «فإذا قال الشاهد: أشهد عندك أيها القاضي بكذا...كان إنشاء، ولو قال شهدت: لم يكن إنشاء.»[5] كما أنه لم يحدد الشهادة بصيغة فاعل أو فعيل، أو شاهد أو شهيد وهو ما يصنف ضمن نمط الإيقاعيات عند سيرل.

---

[1]-أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، ج1،2001، ص74.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص135.نقلا عن John Searle,ens et expression, op.cit,p52.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص117.

[4]- ينظر: أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق، ص 74.

[5]- المرجع نفسه، ج،4 ص 130.

وبمعايير **سيرل** نجد أن هذا النمط يتقاطع إلى حد كبير ما جاء به سيرل في **نمط الإنجاز*** للغرض المتضمن في القول، فمثلاً يتصور سيرل شخصين يرويان خبراً لكن أحدهما يرويه بوصفه شاهداً في المحكمة وبالتالي يعطي خبراً يؤدي معنى الشهادة ، والثاني يقدّمه على أنه خبر عادي. ووضح مسعود صحراوي الفرق بين تحليل كل من سيرل والقرافي للشهادة والرواية من جهتين:[1]

سيرل	القرافي
-يُضِيقُ من حركة هذا الفعل الكلامي ومجاله، فيربط مجاله بمفهوم ضيق هو الكيفية أداء الشهادة أو طريقة أداء الخبر، اللتان يجمعهما مصطلحه" نمط الإنجاز". -لا يسمي الخبر ويكتفي بالقول بأنه "خبر عادي".	-يُوَسِعُ حركة الفعل الكلامي إلى الآثار المتعلقة بالخبر وبنوع الْمُخْبَرْ عنه. -يذكر الخبر باسمه المتعارف عليه في حقل أصول الفقه ألا وهو "الرواية"

2-الدعوة والإقرار:

فرق الأصوليون بين الدعوى والإقرار، فالدعوى هي «خبرٌ عن حقٍ يتعلّق بالمخبر على غيره»[2]، أما القرار فهو «خبرٌ يتعلق بالمخبر ويضر به وحده»[1] والملاحظ من هذا التعريف شدة الشبه بين "الإقرار"

*وفحواه عند سيرل أن توافر شروط إنجازية معينة يُغير من هوية الفعل الكلامي ويكيّفه بطابع خاص. ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص137.

[1]- ينظر، المرجع نفسه، ص137.

[2]- أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق القرافي، ج4، ص 1191.

و"الشهادة"، فالإقرار هو شهادة غير أنها شهادة على النفس كقولنا أقر بأني كذا وكذا، أما الشهادة فهي شهادة على الغير كقولنا أشهد أن فلا صادق القول. وهي بمعايير سيرل تعود كذلك إلى نمط الإنجاز.

3-الوعد والوعيد:

اعتبر **القاضي عبد الجبار** (ت**415**هـ) أن الوعد والوعيد كليهما من الأخبار، فعرف الوعد على أنه «هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل»[2]، أما الوعيد فهو «كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل»[3] نلمح من خلال هذين التعريفين أن كلا من الوعد والوعيد يتفقان في أنهما يفيدان الفعل في المستقبل للمتكلم، غير أنها يختلفان في الآثار والنتائج المترتبة عنهما، إذ أن الوعد هو تحقيق منفعة للمخاطب أما الوعيد فهو تحقيق ضرر له.

4-الكذب والخلف:

تناول **القاضي عبد الجبار** ظاهرة الكذب والخلف بالدراسة والشرح في كتابه شرح الأصول الخمسة حيث عرف الكذب على أنه « كل خبر لو كان له مَخبَر لكان مَخبَره لا على ما هو به»[4] أما الخلف فهو «أن يخبر أنه يفعل فعلاً في المستقبل ثم لا يفعله»[5] فمثلاً يعدك شخصا بالذهاب معك إلى مكان ما ثم يتراجع عن ذلك فيكون بذلك قد حقق شرط الخلف، أي أنه خالف ما عاهد ووعد به. أما في الدرس التداولي الحديث فلم نجد ما يتعلق حديثاً مستقلاً عن "الكذب والخلف" إلا ما ورد في حديث

[1]- أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق القرافي، ص1191.
[2]- عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي، شرح الأصول الخمسة، ص134،135.
[3]- المرجع نفسه، ص134،135.
[4]- المرجع نفسه، ص135،136.
[5]- المرجع نفسه، ص135،136.

سيرل عن "الوعد غير المخلص" على خلاف علمائنا القدامى الذين أولو عناية هامة لهذين الفعلين الكلاميين باعتبارهما فعلين كلاميين يندرجان ضمن إطار تواصلي.

من خلال ما سبق عرضه يتضح أن الخلف يتعلق بالوعد أما الكذب فهو خبر عادي لا يُطابق مَخبَره، وبالتالي يكون الخلف سلوك سواء تعلق بالكلام أو بغير كلام كمن يعدك بالحضور ولم يحضر فهو فعل غير كلامي بينما من يعدك بأن لا يتفوه بالكلام ويتكلم فيكون بذلك قد حقق فعل كلامي، أما الكذب فهو فعل كلامي محض مخالف للخلف.

5-النفي:

يُعتبر "النفي" إحد أبرز الأفعال الكلامية التي عُنِيَ بها علماء الأصول خاصة وأنهم اعتبروه شطر الكلام كله كونه قسيم الإثبات في الخبر، فقد عرفه فخر الدين الرازي على أنه «القول المقتضي بتصريحه نسبةَ معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات»[1] وبالتالي يكون للنفي دلالة تداولية إنجازية تنفي خبراً أو فعلاً ما.

تتحقق إنجازية فعل النفي بأدوات يتم توظيفها في سياقات مقامية تواصلية متنوعة تجعله ينفرد بمعانٍ خاصة ذات قوى إنجازية، يقول في ذلك **الزركشي**(794هـ) « وأصلها "لا" "ما" لأن النفي إمَّا في الماضي وإمَّا في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبدا ولا أخف من ما فوضعوا الأخف للأكثر .ثم إنَّ النفي في الماضي إمَّا يكون نفيا واحداً مستمراً أو إمَّا أن يكون نفياً فيه أحكام متعددّة، وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام واختاروا أربع كلمات: "ما" "لم" "لن" "لا"، وأما "إن" و"لما" فليسا بأصلين. ف "ما" و"لا" في الماضي والمستقبل متقابلين، و"لم" و"لن" في الماضي والمستقبل متقابلين، الأمر في المستقبل و"الميم" "من" "ما" التي هي لنفي الأمر في الماضي، والجمع بينهما إشارة

[1]- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكر الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985 ص 149.

إلى أنّ في "لم" المستقبل والماضي، وقدّم اللام على الميم إشارة إلى أن لا هو أصل النفي ...أما "لما" فتركيب بعد تركيب، كأنه قال: "لم" و"ما" لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضا، ولهذا تفيد "لم" الاستمرار كما قال الزمخشري: إذا قلت: ندم زيد ولم ينفعه الندم أي حال الندم لم ينفعه ، وإذا قلت: ندم زيد لما ينفعه الندم أي حال الندم واستمرار عدم نفعه.»[1]، نستشف من خلال هذا القول أن أدوات النفي عديدة ومتنوعة الأمر الذي أعطى للنفي بعداً تداولياً تجاوز فيه الدلالة الحرفية وفتح الباب على تعددية المعنى، وبالتالي يبقى المجال مفتوح على السياقات والحيثيات الخارجية المتعلقة بالموقف النفسي والموقف النصي.

3-2 الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء:

استنبط الفقهاء والأصوليون من ظاهرة الخبر والإنشاء أفعالاً كلامية جديدة بانتهاج النهج التداولي وذلك من خلال البحث في« المقاصد والأغراض التي يُؤَوَل على أساسها كل من "الأمر" و"النهي" وغيرهما من الأساليب الإنشائية، وذلك باعتماد القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية التي تهدي إلى تلك المقاصد وتدلُّ عليها...»[2] ، ولقد كانت أولى خطوات البحث الأصولي التصدي لمفهوم الأمر والنهي الذي أورده علماء المعاني بل عدلو فيه واعتبروا أن الأمر هو« **استدعاء الفعل بالقول** ممن هو دونه، وعلى أن النهي هو **استدعاء الترك بالقول**»[3]، والملاحظ على هذين التعريفين أنهما يتشابهان مع ما أقره الدرس التداولي الحديث مع أوستين في تصنيفه للفعل الكلامي، إذ تشبه عبارتي" **استدعاء الفعل بالقول" و "استدعاء الترك بالقول"** الصنف الثاني من تصنيف أوستين ألا وهو: "**الفعل بالقول**".

[1]- بدر الدين بن محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص379.

[2]-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص148.

[3]- المرجع نفسه، ص148.

ومن منطلق أن الخطاب القرآني خطاب تشريعي كان لأسلوب الإنشاء مكانة مهمة عند الأصوليين لارتباطه بالأوامر والنواهي الشرعية، وقد أدرت تطبيقات هذين الأسلوبين إلى ابتداع وانشقاق فروع كلامية منبثقة ذات منحى تداولي تندرج تحت ما يسمى ب"الأفعال الكلامية" غرضها الإقناع والتأثير في سلوك المتلقي وتغييره كالوجوب والندب والإباحة...إلخ، وقد صرح مسعود صحراوي بأن جميع هذه الأصناف تندرج تحت صنفين لا ثالث لهما ألا وهما: "الإذن" في حالة الأمر و" المنع في حالة "النهي"، وفيما يلي تصور العلماء العرب لهذه الأصناف:[1]

–الإباحة: قد تفيد صيغة الأمر الإباحة ومثلوا لها بالقول: جالس الحسن أو ابن سيرين، واتفقوا على أنها ليست طلباً إلا أنها من الأغراض التي تستعمل فيها بعض صيغ الطلب مثل صيغة الأمر، والأمر بالقيام " إذنٌ" بالقيام، وإباحة القيام" إذنٌ" بالقيام والفرق بينهما أن الأمر إذنٌ ومعه طلب، والإباحة إذنٌ لا طلب معه[2].

–الإذن: إن الحديث عن فعل الإباحة عند الأصوليين جرهم للحديث عن فعل كلامي آخر ألا وهو "الإذن" ومنه تحدثوا عن الكراهة لأن المكروه مأذون فيه، وهو يقع موقع الضد من المندوب، ثم جرهم ذلك إلى الحديث عن "المحرم" وحجتهم في ذلك أن «النهي عن شيء أمر بضدّه»[3] فهو يقع بذلك موقع النقيض من "الأمر أو من "المباح" حسب تصنيف الأصوليين[4]، وبذلك يكون مصطلح الإذن أعلى وأشمل لتلك الأصناف.

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص151.

[2]–ينظر: المرجع نفسه ص152.

[3]– بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح تلخيص المفتاح، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، دط، 1948،ج2، ص 311.

[4]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص153.

نستنتج أن "الإذن "يختلف عن " النهي" مما يجعله باباً مستقلاً عنه، كما أن أفعال الندب والإباحة والوجوب يشملها الإذن وبالتالي يكون مأذون فيها على خلاف النهي التي تكون مباينة للإذن، وقد ذكر شهاب الدين القرافي فعلاً آخر يتعلق بفعل الإباحة ألا وهو " فعل التخيير"، فعلى الرغم من تشابههما الشديد غير أن بينهما فرق واضح يتمثل في جواز الجمع بين المباحين في الإباحة وامتناع الجمع بينهما في التخيير[1]، فهما يختلفان بذلك عن الآثار المترتبة عن كل منهما وهو ما يُعرف عند التداوليين المعاصرين من أمثال أوستين وسيرل بالفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري (Perlocutionary Act)، وبالتالي كل هذه الأفعال الكلامية المنبثقة عن فعل الإذن نجدها متجلية بوضوح عند كل من سيرل وأوستين والتي يمكن إدراجها ضمن صنف "الأمريات"، كما أن معيار التفريق بين هذه الأصناف حسب التداوليين هو مبدأ "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول" الذي وضعه سيرل.

-المنع:

عرف الأصوليون النهي بأنه «استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب»[2] واختلفوا في دلالة صيغته هل تقتضي التحريم أم تقتضي الكراهة؟. والحرام والمكروه حسب رأي **مسعود صحراوي** يدرج ضمن الفعل الكلامي" المنع" ويرى أن المنع أعم وأشمل من النهي وحجته في ذلك أن النهي غير غير دالٍ على التحريم بالضرورة[3](أي غير جازم في التحريم).

نستنتج أن المباح هو مأذون فيه ويقع ضد الممنوع، وأن الفرق بين المكروه والمحرم حسب معايير سيرل هو درجة الشدة المتضمن في القول، فالفعل المتضمن في القول في فعل الكراهة أقل شدة من

[1]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص155.

[2]- إبراهيم الشيرازي، شرح اللمع في أصول الفقه، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1988، مج 2،ص 291.

[3]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص159.

الغرض المتضمن في القول في التحريم، ومن هنا نستنتج أن الممنوع عند الأصوليين ينقسم إلى قسمين: ممنوع منعاً جازماً وهو المحرَّم وغير جازم وهو المكروه بنوعيه، كما ينبغي علينا الإشارة إلى أن التنزيه"* هي درجة أضافها الشاطبي إلى درجات المنع[1].

–التعجب: صنف جمهور العلماء العرب **التعجب** ضمن الإنشاء غير الطلبي وعرفوه على أنه «انفعال يحدث في النفس عما خَفِيَ سببه»[2] وقد اعتبر الأزهري أن التعجب هو« استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجّب منه عن نظائره، أو قلّ نظيره»[3].

وقد أضاف الأصوليون والمفسّرون والمتكلمون إلى مناقشات النحاة و البلاغيين مسألة أخرى ألا وهي مسألة "التعجب من أفعال الله تعالى خصوصاً الواردة في القرآن العظيم"، وانقسموا إزاءه إلى فريقين[4]:

–الأول يقول بالجواز: ومنهم الزركشي وقد جوَّز أن يقال: ما أعظم الله! باعتبار أنه تعظيم لله بشيء من صفاته.

–الثاني يردُّ هذا الرأي بأن التعجّب استعظام يصحبه الجهل(خَفِيَ سببه) والله منزه عن ذلك.

وقد أخذ المفسّرون والأصوليون بمصطلح **"التعجيب"** إذا كانت ألفاظ التعجب صادرة من الله تعالى وعلى هذا جرت عاداتهم، فقد فسّر صاحب كتاب التحرير والتنوير قوله تعالى «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى

*التنزيه معنى متفرع عن الكراهة وبالتالي تتفرع عنها نوعين: كراهة تنزيه وكراهة تحريم، والفرق بينهما حسب معيار سيرل درجة الشدة في الغرض المتضمن في القول، الغرض المتضمن في القول في فعل كراهة التنزيه أقل شدة من الغرض المتضمن في فعل "كراهة التحريم" .للاستزادة أكثر ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص160

[1]–ينظر: المرجع نفسه، ص159.

[2]–محمد بن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، 1995،ص62.

[3]–خالد الأزهري، شرح التوضيح على التصريح، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ج2، ص86،87.

[4]– بدر الدين بن محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج2، ص318،319.

ٱلنَّارِ»[1]، ومن هنا يمكننا القول بأن الأصوليون استنبطوا فعلاً كلامياً ثانٍ أطلقوا عليه اسم" التعجيب"، وقد عرفه مسعود صحراوي بأنه حمل المخاطب على التعجّب.[2]

–الاستفهام: إن ما يميز البحث الأصولي لهذه الظاهرة أنهم جعلوها متنقلة بين الخبر والإنشاء بحسب السياق وقصد المتكلم وغرضه من المخاطَب، فالاستفهام إذن عند الأصوليين على ضربين: استفهام خبري واستفهام انشائي، فالخبري "نفي وإثبات" والوارد للنفي يُسمى "استفهام إنكار"، والوارد للإثبات يسمى" استفهام تقرير" «لأنه يُطلب بالأول إنكار على المخاطَب وبالثاني إقرار به»[3]، أما الاستفهام الإنشائي فبدوره ينقسم إلى أقسام عديدة حصرها **مسعود صحراوي** في ستة أقسام وهي: التحذير، الطلب، النهي، التمني، التنبيه والدعاء[4].

أما **السيوطي(911هـ)** فقد أجمل هذه الأقسام دون تمييز الخبري منها من الإنشائي وأشار إلى كتاب "روض الأفهام في أقسام الاستفهام" للعلامة شمس الدين بن الصائغ الذي قال فيه أن العرب توسَّعت فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ...إلخ[5]، ومن بين المعاني التي تستعمل فيها صيغة الاستفهام مجازاً نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي مع التنويه إلى أن المعاني المجازية التي أحصاها السيوطي في كتابه اثنان وثلاثون معناً.[6]

وهناك نقطة مهمة ينبغي الإشارة إليها ألا وهي أن الأصوليين وعلماء التفسير قد اصطلحوا على الاستفهام باصطلاح" الاستخبار" فمنهم من جعله مساوياً للاستفهام حسب ما جاء في كتاب الإتقان

[1]– سورة البقرة، الآية 175.

[2]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص162.

[3]– بدر الدين بن محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج2، ص328.

[4]–ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص165.

[5]– ينظر: جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة دط، دس، ص576.

[6]–ينظر: المرجع نفسه، ص من 578 – 580.

في علوم القرآن للسيوطي ومنهم من فرق بينه وبين الاستفهام، فلاستخبار ما سبَقَ أولاً ولم يُفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[1].

-ألفاظ العقود والمعاهدات: نالت دراسة ألفاظ العقود والمعاهدات حيزاً واسعاً عند الفقهاء و الأصوليين كالقرافي والإسنوي وابن رشد والآمدي وذلك في مناقشاتهم الفقهية وتنظيراتهم الأصولية، على خلاف البلاغيين والنحويين الذين لم يعيروا إلى هذه الظاهرة حقها من الاهتمام والدراسة« فالبحث النحوي والبلاغي لم يعيرا تلك الظواهر من الاهتمام إلاَّ شيئاً يسيراً...لندرك الإهمال الذي تعرّضت له هذه الصيغ، لولا نفرٌ من الفقهاء والأصوليين كالقرافي والإسنوي وابن رشد والآمدي قد تناولوا بالبحث ظواهر من هذه الأفعال الكلامية في ثنايا تنظيراتهم الأصولية ومناقشاتهم الفقهية»[2]، ولعل هذا راجع إلى سعيهم لفهم ما جاء به القرآن الكريم من نصوص تتعلق بالمعاملات كالبيع والشراء، الطلاق والزواج...إلخ ومعرفة ما يرتبط بها من إجراءات كإبرام العقود أو فسخها، الربا في البيع...إلخ، وهذه الألفاظ لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، فمثلاً البيع يبق بلفظ" بعتك" ومن بين القضايا التي تناولها الفقهاء وعلماء الأصول بالدراسة نذكر ما يلي:

1- ألفاظ الطلاق: فمن بين الصيغ التي بُحثت باستفاضة في كتب الفقهاء والأصوليين الألفاظ التي " "تنشئ الطلاق وتُوقعه" أي التي بها يتحقق إنجاز الفعل الكلامي الطلاق. وقد صرح **أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي(520هـ-595هـ)** على أن «الطلاق يقع إذا كان بنية ولفظ صريح»[3]، ومن هنا نلمح ملامح الدرس التداولي التي تجلت في مبدأين أساسين ما: "مبدأ القصد(النية) ومبدأ الصراحة والكناية في اللفظ"، فقد اعتبر أوستين القصدية مبدأ هاماً من مبادئ الأفعال الكلامية به تتحدد الهوية

[1]- ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ،ص576.

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص166.

[3]- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6، 1983، ج2، ص74.

الإنجازية لأي فعل كلامي هذا باعتبارات أوستين، أما باعتبارات **سيرل** فقد ارتبطت القصدية بمعيارين هما: الغرض المتضمن في القول من جهة ودرجة الشدة من جهة أخرى. أما مبدأ الصراحة والكناية في اللفظ هو ما نجده متجلي بوضوح في صنفي الأفعال الكلامية: المباشرة وغير المباشرة، وهي باصطلاح **سيرل** تصنف ضمن" الإيقاعيات" باعتبار أن المتكلم يريد من خلال التلفظ بها إيقاع فعل وسلوك اجتماعي معين.

2-ألفاظ البيع: ناقش الفقهاء المسلمون والأصوليون فضلاً عن صيغ الطلاق الألفاظ التي يتم بمقتضاها عقود البيع ذلك أن فعل البيع لا يصح إلا بألفاظ خاصة تواضع عليها أهل اللسان العربي لتؤدي هذا الفعل الكلامي وهي الألفاظ التي وصفها ابن رشد بأنها «تلك التي صيغتها ماضية مثل أن يقول البائع: قد بعتك هذا الشيء»[1] وما يوضح هذا القول أكثر مقولة **الشريف الجرجاني** التي تنص على أن «صيغة ألفاظ العقود (من قبيل: بعتُ واشتريت، وزوجتُ وطلقت...) إنشائية إذا لم يتم وقوع فعلها في الماضي، فإن العلم بعدم وقوع فعلها في الماضي دلالة على كونها للإنشاء»[2].

ولا تتم عملية البيع حتى يقول المشتري: «قد اشتريت منك»[3]، وهو ما يسمى عندهم بالإيجاب و القبول وذلك ما اتفق عليه كبار الفقهاء كمالك والشافعي. فالإيجاب مثلاً هو أن يقول البائع: قد بعتك، والقبول أن يقول المشتري: قد اشتريت أي قبلت[4]، ومن بين الخلفيات التداولية التي نجدها متجلية في بحوثهم الفقهية حسب **مسعود صحراوي** أنهم ناقشوا ...مسألة انعقاد أو عدم انعقاد التي يقع فيها خطأ أو تغيير في صيغة الإيقاعيات مثل ما ذكره أبو **حامد الغزالي** إذ قال الوَّلي زوَّجت لك ، أو زوَّجت

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص169.

[2]- حاشية تحرير القواعد المنطقية، ص44.نقلا عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص167.

[3]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6،ج2، 1982، 170.

[4]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص171.

إليك صحَّ لأن الخطأ في الصيغة لم يُخل بالمعنى والغرض[1]، من هنا نستنتج أن علماء الأصول لم يعنوا بدرجة أولى بالصيغة إذا طرأ عليها ما يخل بأدائها الإنجازي فالعبرة إذن عندهم بالمعاني لا بالألفاظ.

وعلى هذا، عرفَ علماء العرب التداولية وتجلت مظاهرها في مباحث البلاغيين والفقهاء وعلماء الأصول، إذ تطرقوا إلى ما وصلت التداولية إليه من مبادئ ومعايير وأفكار إلا أنهم لم يصطلحوا عليها بمسمياتها الحديثة، كما أنهم لم يفردوها بمباحث خاصة وإنما نجد تجلياتها مبثوثة في دراساتهم. وقد توسعت دائرة البحث التداولي حتى شملت طوائف ثلاث شكلت الإطار الابستيمولوجي في البحث عن ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي؛ فالبلاغيون توسعوا في البحث في أسلوبي الخبر والإنشاء باعتبارهما مقصداً وغايةً في ذاتهما بحكم أن طبيعة النصوص التي يدرسونها تقتضي التنظير والتطبيق معاً مع اصطباغ البحث البلاغي بطابع وظيفي، أما الفلاسفة والمناطقة فقد استبعدوا التراكيب غير الخبرية وإن كانت مفيدة وسبب ذلك أن التراكيب الخبرية هي وحدها النافعة في العلوم، أما الأصوليون والفقهاء فقد تميز بحثهم لهذين الأسلوبين بالبعد المقاصدي واتخذوا من البحث فيهما أداةً لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية.

[1]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص171.

الفصل الثاني

الفعل الكلامي الأمر في القصص القرآني وأثره التّداولي

1/- الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام وأثرها التداولي

2/ الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة نوح عليه السلام وأثرها التداولي

3/- الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة موسى عليه السلام وأثرها التداولي

4/- مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام

5/-فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني

6/- فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي

توطئة:

تتميز لغة القرآن الكريم ببنية لغوية عالية الدقة ذات قيمة جمالية وبلاغية، نستشفها بوضوح في القصص القرآني، إذ تتميز هذه الأخيرة بمجموعة من السمات الفنية والأسلوبية كالتكرار والتأكيد، التشبيه والمجاز، التشويق والإثارة، التنويع في الأساليب الإنشائية والخبرية.

يبرز أسلوب الأمر في القصص القرآني بطابعه القوي والملهم، حيث يحث على اتّباع الأمثلة الحسنة وتجنّب الأخطاء التي ارتكبتها الأمم السّابقة.كما يتضمّن أسلوب الأمر في القصص القرآني أيضًا تأكيد العقائد والقيم الإسلامية الأساسيّة، مثل وحدانية الله والاستقامة والصّبر والإيمان والتّوبة.

ويُبنى التّركيب اللّغوي للأمر من[1]:

1-**الآمر**: وهو المتكلّم الذّي يصدر منه الأمر، وعلوُّ درجته شرطٌ في بقاء التركيب على دلالته.

2- **المأمور**: وهو المتلقي الذّي يتوجّه إليه الأمر، وانخفاض درجته شرطٌ في دلالة التركيب على الأمر.

3- **المأمور به**: وهو الفعل وما يتعلّق به الذّي يُطلب حصوله، وهو المقصود من التّركيب الطلبي ويكثر أن يكون معلَلاً وفي ذلك إقناعٌ للمأمور.

[1]- ينظر: محمد خان، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى، عين مليلة، ط1، 2004، ص191.

في هذا الفصل من الدراسة، سأتناول بالتحليل المقاربة التداولية لأسلوب الأمر التي نُسِجت به آيات القرآن التي تناولت قصة كل من: قصة إبراهيم ونوح وعيسى عليهم السلام، موظفةً الإجراءات التداولية المذكورة في الفصل الأول مع الإعتماد على كتب التفسير لتوضيح كيفية التطبيق.

1/-الأفعال الكلامية الأمريّة الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام:

1-الأمر:

1-قال تعالى:﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[1]

جاء الفعل الكلامي في هذه الآية متمثلاً في الفعل "اذكر" مستأنفاً بعد الآية ﴿**إِنَّا نَحنُ نَرِثُ ٱلْأَارضَ وَمَن عَلَيهَا وَإِلَينَا يُرجَعُونَ**﴾[2] ، والخطاب في هذه الآية موجّهٌ إلى المشركين الذّين ينكرون حقيقة الموت، فجاء هذا الخبر مؤكّداً بمؤكّدين الأداة "إنَّا" وضمير الفصل "نحن" الذّي أفاد التأكيد لا التخصيص، وذلك لدفع شكوك المشركين الذين ينكرون حقيقة الجزاء[3]، والتأكيد يعني « تمكين الشّيء في النفس وتقوية أمره وإزالة الشّكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد»[4]. **فالمحتوى القضوي** لهذه الجملة تقريري، يفيد إخبار المشركين بحقيقة الموت والجزاء، أمّا **المعنى المستلزم** من هذه الآية فيتمثل في تهديد المشركين بأن لا مفرَّ لهم.

وبالرجوع إلى بنية جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدّراسة، وهو الفعل التّوجيهي "**اذكر**" نجدها تتشكل من:

---

[1]- سورة مريم، الآية41.

[2]- سورة مريم، الآية40.

[3]- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ، ج5، ص 208.

[4]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة الإعرابية أسسها وعلومها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996، ص466،467.

1-فعل القول: جملة فعلية مكونة من محمول" الفعل اذكر" وموضوعه الفاعل، وهو ضمير مستتر تقديره "أنت يا محمد" +ومن اللواحق الجار والمجرور" في الكتاب" +مفعول به "إبراهيم" + "وان واسمها" +جملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو +"صديقاً" خبر كان الأول +"نبياً" خبرها الثاني. وأكد صفات إبراهيم -عليه السلام- بأداة التأكيد "إنَّ".

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المستتر "أنت" إلى الذات المخاطَبة وهو النبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- المستتر في الفعل "اذكر".

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية المتمثلة في إخبار محمد -صلى الله عليه وسلّم- في الكتاب العزيز أنَّ إبراهيم -عليه السلام- كان ملازماً للصدق مبالغاً فيه، جامعاً بين الصّديقيَّة والنبوَّة، ويترتب عن هذا الفعل دلالي:

أ-الاقتضاء: بتنبيه العرب إلى فضل إبراهيم عليه السلام، الذين يزعمون الانتساب إليه وبيان شرفه ومكانته عند الله عزَّ وجلّ.

ب-الاستلزام المنطقي: إن الله تعالى أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بذكر إبراهيم عليه السلام، لأنّه ما كان لا هو ولا قومه مُشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب. فإذا ما أخبر عليه السلام عن هذه القصة كان ذلك إخباراً عن الغيب ومعجزةً قاهرةً دالة على نبُوَّته.[1]

4-الفعل الإنجازي: ويتمثّل في الفعل الكلامي التّوجيهي "واذكر"، الذي تتكون حمولته الدلالية من:

[1]- ينظر: أبو عيد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج21، ص541.

أ–القوة الإنجازية الحرفية: أمر الله عزَّ وجل على وجه الاستعلاء نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نبأ إبراهيم وصفاته التي اتصف بها.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: إذعان قريش بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه.

ج– القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: تذكير الرسول صلى الله عليه بقصة إبراهيم عليه السلام لمواساته على ما لقيه من قومه، وتنبيه العرب على عدم اتّباع سُبل الضالين. فقد نزلت هذه الآية مناسبة لما قبلها، حيث بعد ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الأحزاب، تم تناول قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيراً للعرب بما كان عليه من توحيد، وتبييناً لهم أنهم يسلكون غير طريقه.[1]

وقد تكرر هذا الفعل الكلامي فعل الأمر مع الجار والمجرور، والمتمثل في الملفوظ " واذكر في الكتاب" مع تنوع المفعول به بين مريم وموسى واسماعيل وادريس عليهم السلام في أربعة موضع في القرآن الكريم. ففي سورة مريم قال تعالى ﴿وَٱذكُر فِى ٱلكِتَٰبِ مَريَمَ إِذِ ٱنتَبَذَت مِن أَهلِهَا مَكَانا شَرقِيّا ﴾[2]،وقال ﴿وَٱذكُر فِى ٱلكِتَٰبِ مُوسَىٰ إِنَّهُۥ كَانَ مُخلَصا وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا﴾[3]، وقال أيضاً ﴿وَٱذكُر فِى ٱلكِتَٰبِ إِسمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلوَعدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا﴾[4]، وقال ﴿وَٱذكُر فِى ٱلكِتَٰبِ إِدرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدّيقا نَّبِيّا ﴾[5]. الملاحظ في هذه الآيات أنَّ الله عز وجل أعقب الفعل الكلامي "اذكر" بقصة من قصص

[1]– ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420هـ، ج،7 ص 267.

[2]– سورة مريم الآية 16

[3]– سورة مريم الآية 51

[4]– سورة مريم الآية 54

[5]– سورة مريم الآية56.

الأنبياء ذاكراَ صفاتهم لتكون عبرةً لمن يتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم، ولتكون أيضاً حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على منكريه، ذلك أنه يعلم أخبار الأمم السابقة.

وقد احتوت هذه الآية على رابطين حجاجيين لغويين الأول هو حرف الاستئناف" الواو"، والثاني هو أداة التّوكيد" إنَّ" التي أكدت صفاته عليه السلام. فحرف الواو يمثل رابطاً حجاجياً يجمع بين القصتين — قصة عيسى وإبراهيم عليهما السلام- لمناسبة وقوع الردّ على المشركين بعد اختلاف الأحزاب، بدءاً من قوله تعالى: ﴿فَٱختَلَفَ ٱلۡأَحزَابُ مِن بَينِهِم فَوَيل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ ﴾[1] إلى قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحنُ نَرِثُ ٱلۡأَرضَ وَمَن عَلَيهَا وَإِلَينَا يُرجَعُونَ﴾[2]. وعُطف الفعل الكلامي "واذكر" على الفعل " وأنذرهم" في الآية التي قبلها ﴿أَنذِرهُم يَومَ ٱلحَسرَةِ إِذ قُضِيَ ٱلۡأَمرُ وَهُم فِي غَفلَة وَهُم لاَ يُؤمِنُونَ﴾ عسى باستماع قصة إبراهيم عليه السلام يقلعون عما هم فيه من قبائح لأنهم ينتمون إليه.

تكرر **المحتوى القضوي** لهذه الآية في قوله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾[3] مع تغيير الفعل الكلامي "اذكر" بالفعل "اتل"، فقد أردف الفعل اذكر بالكتاب ليكون إخباراً بالغيب في القرآن الكريم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بنبأ ابراهيم عليه السلام وقصته، أما الفعل "اتل" فجاء مردوفاً بالنبأ وهو مخصوص بالترتيل، والنبأ هو الخبر العظيم فتعبيره بقوله ﴿وَاتْلُ﴾ أي: اقرأ قراءة مُتتابعة[4]. **فالمحتوى القضوي** في كلا الآيتين متعلقٌ بقصة إبراهيم عليه السلام، غير أن **الأثر**

[1]- سورة مريم، الآية 37

[2]- سورة مريم، 40

[3]- سورة الشعراء الآية 69

[4]- ينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبو بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ج14،ص46.

المترتب عن الفعلين الكلاميين مغاير لاختلاف السياق المقامي. ففي الآية ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ كان المقام مقام إخبار العرب بقصة إبراهيم عليه السلام، تنبيهاً لهم على عدم اتباع طريق المشركين وإن كانوا آباءهم، وفي قصته عليهم السلام عظةٌ لهم. أما في الآية ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فعلى الرغم من إخبارهم بالقصة إلا أنهم أشد عناداً، وكان تغيير الأسلوب في الآيتين «لمزيد الاعتناء بأمر هذه القصة لأن عدم الإيمان بعد وقوفهم على ما تضمنته أقوى دليل على شدة شكيمتهم لما أنَّ إبراهيم عليه السلام جدهم الذي يفتخرون بالإنتساب إليه والتأسِّي به»[1]. وبالتالي، تأكيد الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بعدم الإيمان به لعدم تأثرهم بما ذكرته في الكتاب، وبما تلوته عليهم لشدة عنادهم وكفرهم.

أعَقَبَ سبحانه وتعالى بعد الفعل الكلامي " اتل" بذكر مجموعة من الحجج التي دارت بين إبراهيم عليه السلام وقومه، ومفادها إبطال ما هم عليه من ديانة، حيث صُدِرت باستفهام مباشر غرضه الاستنكار، الذي أفاد الإخبار بعدم الجدوى من عبادة آلهتهم. ثم انتقل إلى ذكر الحجج التي تخدم دعوته وفق سلم تصاعدي فكانت القيمة الحجاجية المترتّبة عنه إبطال واستنكار ما هم عليه، وفيما يلي عرض لهذا السلم:

[1]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج10،ص91.

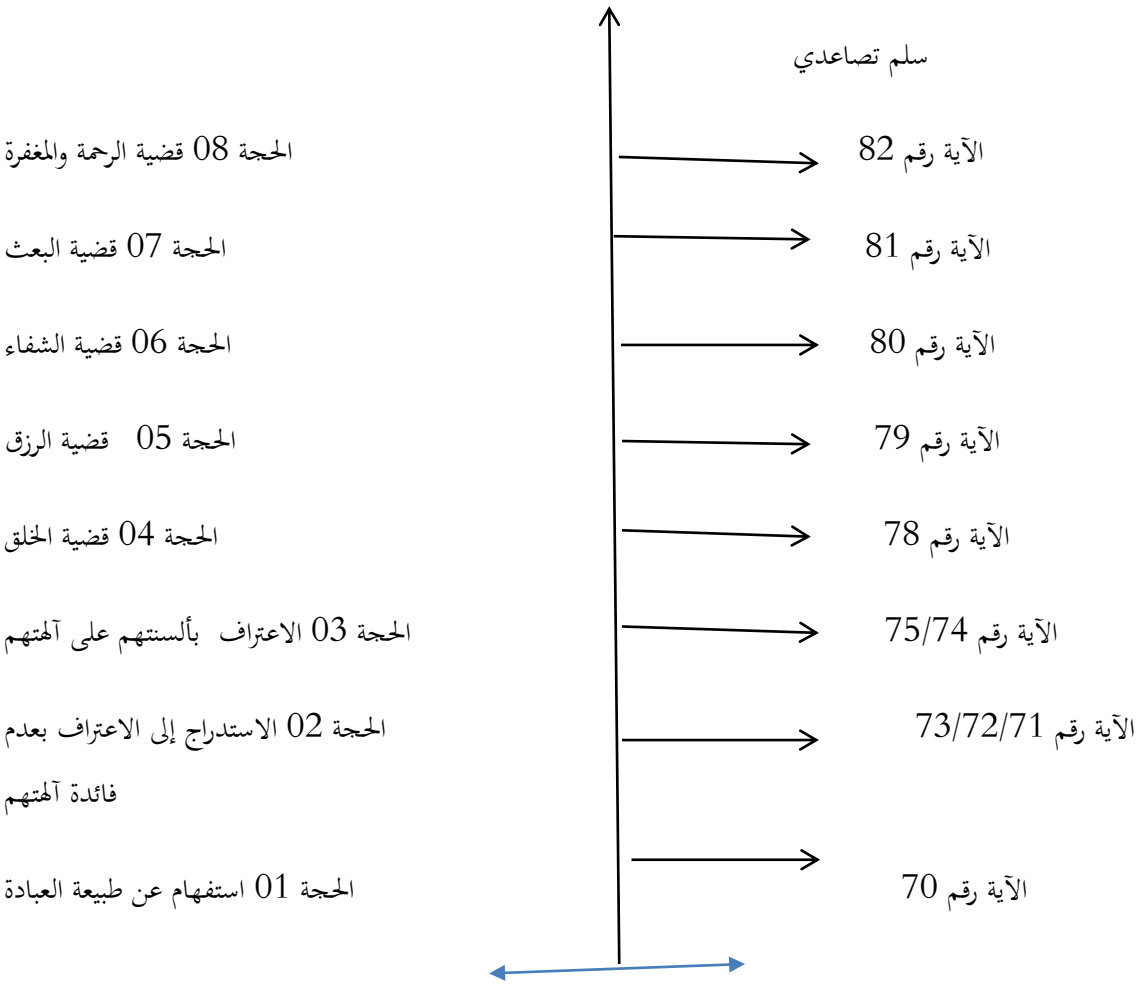

2-قال تعالى﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

[1]- سورة الأنبياء،الآية69.

لازال السياق في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام لما غلبهم بالحجّة والبرهان ودحُضت حججهم، عدلوا الى استعمال جاه ملكهم فأجمعوا على قتله حيا حرقاً فقالوا﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُم إِن كُنتُم فَٰعِلِينَ﴾.وجاءت هذه الآية مفصولة عن قبلها لأنها وقعت جواباً لقولهم حَرِّقُوهُ، ويجوز أن تكون أيضاً جملة إستئنافية ناشئة عن محذوف دلَّ عليه تقدير الكلام وهو« قالُوا حَرِّقُوهُ فَرَمَوْهُ في النّارِ»[1] ، وقد استعمل النظم لفظ حَرِّقوه مبالغةً في وصف الفعل الشنيع.

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي التّوجيهي المخصوص بالدّراسة من الفعلين" قل" و"كوني" من:

1- فعل القول: تتكون جملة فعل القول من: الفعل قل+ العنصر الاشاري ضمير المتكلم "نا" في محل رفع الفاعل+ حرف النداء "يا"+ المنادى+ فعل الأمر "كون+ اسم كان وخبرها+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ الجار والمجرور.

2-العناصر الإحالية: الضمير المتكلم المتمثل في العنصر الإشاري "نا" في فعل الأمر "قلنا"، الذي أفاد العظمة ويحيل إلى ذات المتكلم وهو الله عز وجل الذي أمر النار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، كما أن العنصر الإشاري الشخصي المستتر" أنتِ" يحيل إلى النار.

3-المحتوى القضوي: يتمثل **المحتوى القضوي** للآية في أمر الله عز وجل النار بعدم إيذاء إبراهيم عليه السلام. وقد فسر صاحب تفسير غريب القرآن قوله تعالى ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ « أي وسلامةً؛ ولا تكوني بردًا مُؤْذِيًا مضرًّا»، كما خصص الله تعالى أمره على إبراهيم فقط، وعبر عن الإبقاء على حياته بحرف الاستعلاء "على". وعقب ذكره ب "سلاماً" حتى

[1]- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، دط، 1995، ج4، ص162.

لا يؤذيه بردها، ولإظهار عجائب قدرته في الخلق إذ صَّير النار برداً وسلب منها طبعها من الحر ليكون ذلك حجة على هلاكهم، خاصة وأنهم رأوا قدرته عزّ وجل. ويترتّب عن هذا المحتوى القضوي:

أ–الاقتضاء: خرق العادة بتحويل النار إلى برد وسلب منها طبعها من الحر.

ب–الاستلزام المنطقي: تدارك قوم إبراهيم عليه السلام لخطئهم وتصحيحه، غير أنّهم واصلوا في طغيانهم في الكفر.

4– الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي "كوني"، الذي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: أمر الله عزَّ وجل على وجه الاستعلاء النار بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم. وقد ذهب صاحب تفسير محاسن التأويل إلى أن الأمر هنا مجازٌ عن التّسخير.[1] وقد صُدِرَ الفعل الكلامي "كوني" بالفعل "قلنا" معقوباً بنداءٍ مبني على الضم في محل نصب. والمعروف أن المنادى يأتي منصوب ، وهنا يكشف لنا النص القرآني الغاية من الرفع دون النصب لأنَّ النار المخاطَبَة من طرف عز وجل مقصودة لأنّه «لَوْ لَمْ يَقُلْ عَلى إبْراهِيمَ لَما أحْرَقَتْ نارٌ بَعْدَها ولا اتَّقَدَتْ»[2].

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: إذعان قوم إبراهيم بعد رؤية عجائب قدرة الله في الصنع أمام أعينهم.

[1]– ينظر:جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، دت، ص427.

[2]– أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ، ج7، ص451.

إنَّ أمر الله تعالى النار وندائها على وجه القصد وتصييرها برداً يثير **تساؤلا وهو: كيف بردت النار وهي نار؟** أجاب الزمخشري عن هذا السؤال وقال «نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والاشتعال كما كانت والله على كلّ شيء قدير. »[1]. هنا نجد انتهاكاً لقواعد غرايس في **مبدأ الكيف**، لأن العقل يعرف أنّ النار لا تتحول إلى برد وأن الماء هو الذي يطفئ النار. غير أنه عز وجل جاءهم بهذه الحجة القوية أمام أعينهم ليعرفوا قدرة الله وعظمته أنّه خالق الكون وحده وليتدبروا في دينه.

2-التهديد والتحذير:

قال تعالى:﴿فَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[2]

جاءت هذه الآية لتخفيف الحزن والأسى على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد حكى عزّ وجل ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصله من المشركين ليعلم أن الجهالين كانوا على هذه السيرة المذمومة وأنّه ليس هو النبي الوحيد الذي لاقى ذلك من قومه فضرب له مثل إبراهيم عليه السلام الذي لاقى من أبيه الضرب والشّتم.

وقد جاءت أيضاً في سياق الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه المتمثل في قوله تعالى﴿إِذْ فَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَٰأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَٰأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ

[1]-محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتَّبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1987، ج3، ص126.

[2]- سورة مريم، الآية 46

ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. صُدر هذا الحوار بعنصر إشاري زماني "إذ" وهو «كلمّات تدّل على زمان يحددّه السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام »[2] فزمان المتكلّم هو زمان المحاججة إذ اعطى عليه السلام الأدلة الكافية لتغيير رأي المخاطَب وهو أبيه، مع ابتداء كل نصيحة بلفظ "يا أبت"، والنِّداءِ بِقَوْلِهِ يا أبَتِ أرْبَعَ مَرّاتٍ« تَكْرِيرٌ اقْتَضاهُ مَقامُ اسْتِنْزالِهِ إلى قَبُولِ الموْعِظَةِ لِأنَّها مَقامُ إطْنابٍ»[3]، فهذا النداء المقترن بالعنصر الإشاري الاجتماعي "يا أبت" تضمن بعداً نفسياً تمثل في حب إبراهيم لأبيه فمحاول عليه السلام بهذا اللفظ استمالة قلبه للتّوحيد، فلم يعامله على أساس أنه كافر بل حبه لأبيه لم يمنعه من تكرار دعوته للتوحيد رغم ما لقيه منه من بطشٍ وعنجهيّة.

وبعد النصائح والدلائل التي قدمها عليه السلام ،أجابه أباه باستفهام إنكاري لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، وندائه بإسمه "إبراهيم" دون "يا بُني" دليلٌ على قطع أواصل الرحمة والأبوة من طرف أبيه. واستعمال ضمير المخاطب "أنت" في نفس الآية افتضاه مقام التعجب من حال عدم إتباع آلهتهم، فكان هذا النداء تكملة لجملة الإنكار والتعجب ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾ « لِأنَّ المتَعَجَّبَ مِن فِعْلِهِ مَعَ حُضُورِهِ يقْصَدُ بِندائِهِ تَنْبِيهَهُ عَلى سُوءِ فِعْلِهِ كَأنَّهُ في غيبةٍ عن إدراك فعله فالمتكلم يُنزله منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده إليه »[4]. ثم شرط عليه مقسماً بأن إن لم يتراجع عن كفره بآلهتهم سيرجمه ويطرده وهو ما أوضحته العوامل

[1]- سورة مريم، الآيات 42-45.

[2]- محمود أحمد النحلة، آفاق البحث اللغوي المعاصر، ص19.

[3]- محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج16، ص114.

[4]- المرجع نفسه،ج،16، ص119

الحجاجية لام القسم+ إن الشرطية+ لم حرف الجزم+ الفعل المضارع المجزوم تنتهِ. وقوله ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ المتكون من اللام الواقعة في جواب القسم+ الفعل أرجم+ نون التوكيد الثقيلة+ الفاعل المستتر المقدر على "أنا " أي المتكلم آزر. أمّا الفعل الكلامي التوجيهي الأمر المتمثل في قوله" واهجرني" فجاء معطوفاً على جملة جواب القسم الذي تشكلت بنيته من:

1–فعل القول: تتكون بنية جملة فعل القول من واو العطف+ فعل الأمر اهجرني+ الضمير نون الوقاية + ياء المتكلم، أما **محتواه القضوي** فيتمثل في أمر آزر ابنه إبراهيم عليه السلام بهجرانه زمناً طويلاً.

2–العناصر الإحالية: إحالة إلى الذات المتكلمة بالهجران زمناً طويلاً، وهو ما يبيّنه العنصر الإشاري الياء في" ني"، أيضاً يحيل العنصر الإشاري الشخصي "أنت"، وضميرين الهاء في "تنته" والكاف في الفعل" أرجمنك" إلى النبي إبراهيم عليه السلام، والياء في "آلهتي" تحيل إلى المتكلم وهو آزر.

3–المحتوى القضوي: ويتمثل في أمر آزر ابنه بالهجران وتحذيره بالرجم إن لم يتراجع عن أقواله حول آلهتهم. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ– الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل التوجيهي "اهجرني"، التي تتكون حمولته الدلالية من:

ب–القوة الإنجازية الحرفية: أمر آزر ابنه إبراهيم عليه السلام بالرّحيل زمناً طويلاً وهجرانه، ففي قوله تعالى ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ قولان أحدهما: اهجرني بالقول، والثّاني بالمفارقة في الدار والبلد وهي أقرب للظاهر.[1]

[1]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420، ج21، ص546.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: أدى الفعل الكلامي التوجيهي الأمري غرضاً إنجازياً تمثل في تهديد آزر لإبنه إبراهيم عليه السلام، وتحذيره من عقوبتين: الأولى عاجلة وهي طرده من قومه وقطع مكالمته، والثانية آجلة وتتمثل في الرجم.

د–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: التحذير؛ فكان لتقديم العقوبة الثانية على الأولى بعدٌ نفسي على ذات إبراهيم عليه السلام، فمن حق الأب على ابنه ضربه وتوبيخه وهجره إن أخطأ تأديباً له، ولكن أَمَرَ آزر ابنه بهجرانه ولم يخبره بأنه هو من يهجره «دليلٌ على أنَّ هذا الهجران في معنى الطرد والخلع إشعاراً بتحقيره.»[1]. فآزر قابل ابنه ابراهيم بالفضاضة والغلظة والتّهديد غير أنَّه عليه السلام استعمل أسوب التلطف والمجاملة واللين حيث يقابل غلظة أبيه وشدته بسعة صدر داعياً إياه إلى طريق الرشاد.

3–الدعاء:

1–قال تعالى﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]

2–قال تعالى:﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]

تضمنت الآيتان أفعالاً كلامية توجيهية أمرية، جاءت في سياق مناجاة ابراهيم ربه فدعى وخصص، وذلك في مقام يعبر عنه الفعلان الكلاميان "ألحقني" و"هب"، فالآية الأولى جاءت في مقام المناجاة بعد أن قرر عليه السلام الهجرة فبعد أن أخبر قومه أنّه« اسْتَشْعَرَ قِلَّةَ أَهْلِهِ وعُقْمَ امْرَأَتِهِ، وثارَ ذَلِكَ الخاطِرُ في نَفْسِهِ عِنْدَ إزْعام الرَّحِيلِ لِأنَّ الشُّعُورَ بِقِلَّةِ الأهْلِ عِنْدَ مُفارَقَةِ الأوْطانِ يَكُونُ

[1]– محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج 16 ص، 130.

[2]– سورة الشعراء، الآية 83.

[3]– سورة الصافات، الآية 100.

أقْوى؛ لِأنَّ المرْءَ إذا كانَ بَيْنَ قَوْمِهِ كانَ لَهُ بَعْضُ السُّلُوِّ بِوُجُودِ قَرابَتِهِ وأصْدِقائِهِ.»[1]. فبعد أن عدّد النّعم الخمس التي أنعم الله تعالى بها عليه شرع في دعائه مُبتدئاً بسؤال الحكمة والنبوة، ثمّ ارتقى في مناجاته وطلب إلحاقه بالصالحين.

تشكلت بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي في قوله تعالى ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من:

1–فعل القول: المنادى "رب" مضاف لياء المتكلم حذف منه حرف النداء+ فعل الأمر "هب" فعل +اللام المتكلم والياء متعلقان بالفعل هب+ "حكما" مفعول به+ واو العطف + الفعل ألحقني وهو عطف على الفعل هب + نون الوقاية+ ياء المتكلم+ حرف الجر الباء+ اسم مجرور الصالحين متعلقان بألحقني. فالرابط الحجاجي الواو جمع بين دعوتين الأولى طلب كمال القوة النظرية، وذلك بإدراك الحق، والثانية طلب القوة العملية بأن يكون عاملاً بالخير وقد قدم سؤال الحكمة على الإلحاق بالصالحين لما أن القوة النظرية مُقَدَمَة على القوة العملية «لأنّه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن، لأنّ العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، وكما أن الروح أشرف من البدن، كذلك العلم أفضل من الصلاح. »[2]

2– العناصر الإحالية: إحالة إلى الذات المتكلمة وهو ابراهيم عليه السلام بسؤال الحكم والالحاق بالصّالحين، وهو ما يبينه العنصر الإشاري "لي" والياء في الفعل "ألحقني" .

[1]– محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ،ج 19، ص145.

[2]–محمود الصافي، الجدول في اعراب القران وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط3، 1995، ج10، ص 91.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في دعاء ابراهيم عليه السلام ربه بسؤال الحكم والإلحاق بالصالحين، فَيَكُونُ بذلك قد سَأَلَ بُلُوغَ دَرَجاتِ الرُّسُلِ أُولِي العَزْمِ نُوحٍ وهُودٍ وصالِحٍ والشُّهَداءِ والصّالِحِينَ فَجَعَلَ الصّالِحِينَ آخِرًا؛ لِأَنَّهُ يَعُمُّ، فَكانَ تَذْيِيلًا[1]. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

4- الفعلان الإنجازين: ويتمثلان في الفعلين الكلاميين التوجيهيين "هب" و"الحقني"، التي تتكون حمولتهما الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعلين الكلامين التوجيهيين على معناهما الحرفي الذي سيق لهما وتعدّوه إلى معنى الدعاء، وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى من نبيه عليه السلام إلى ربه عز وجل باستوهابه الحكم ثم إلحاقه بالصالحين. وقد فسر الحكم على أنه الحكمة والنبوة[2] مصداقا لقوله تعالى ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3]. وفسر ابن كثير لفظ حكماً على أنّه « طلب المعرفة بالله عزّ وجل وبحدوده وبأحكامه»[4].

ثم سأل عليه السلام بقاء الذكر الحسن في الأمم والأجيال الآتية من بعده «وهذا يتضمّن سؤال الدّوام والختام على الكمال وطلب الثّناء عليه وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته لأنّ الثناء عليه يستدعي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوه من زكاء نفسه. واللّسان مقصودٍ به الكلام والصدق وهنا كناية عن المحبوب المرغوب فيه لأنّه يرغب في تحققه ووقوعه في نفس الأمر وسأل أن يكون من المستحقين الجنة خالداً فاستعار اسم الورثة إلى أهل الإستحقاق لأن

[1]-ينظر: محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، ص145.

[2]- ينظر: محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، 145.

[3]-سورة يوسف، الآية 22.

[4]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ،ج4، ص 133.

الوارث ينتقل إليه الملك الشيء الموروث بمجرد موت المالك السابق»[1]. ولما لم يكن للجنة ما للكون تعين أن يكون الوارثون المستحقون من وقت تبوُّؤ أهل الجنة الجنة وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]

ثم بعد ذلك تدرّج إلى سؤال المغفرة لأبيه قبل سؤال أن لا يخزيه الله يوم القيامة «لأنّه أراد ألاّ يلحقه شيء يومئذ شيء ينكسر منه خاطره لأنّه إذا جيء بأبيه مع الضالين لحقه انكسار ولو كان قد أُستجيب له بقية دعواته كان هذا آخر شيء تخوف منه إلحاق مهانة نفسية من جهة أصله لا من جهة ذاته»[3] ،وجملة ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعليلٌ لطلب المغفرة لأبيه فيه إيماء إلى أنه سأل له مغفرةً خاصةً وهي مغفرة أكبر الذنوب والشّرك الله.

أما **المحتوى القضوي** في الآية الثانية ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ فمفاده سؤال ابراهيم عليه السلام ربه عز وجل بأن يهبه الولد الصالح ،وهو ما دل عليه تقدير الكلام رب هب لي ولَدًا صالِحًا مِنَ الصّالِحِينَ، وخصص دعوته بصفة الصلاح للولد وهو ما بينه الرابط الحجاجي "من" ولم يطلق الدعوة على العموم فقط وسبب ذلك « أنّه لما أخبر قومه أنه مهاجر استشعر قلَّة وعُقم امراته، وثار ذلك في الخاطرُ في نفسه عند إزعام الرَّحيل لأنّ الشُّعور بقلَّة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى، لأنّ المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السُّلو بوجود قرابته وأصدقائه»[4]، والملاحظ أن إبراهيم عليه السلام قد تدرّج في الدعاء فبعد أن طلب الصلاح لنفسه طلب الصلاح من الله تعالى

[1]- محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، 146.

[2]- سورة المؤمنون،الآية11.

[3]- محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، 146.

[4]- المرجع نفسه، ج23، ص 60 .

لذريته وقد قيّد دعاءه هذا بالصلاح. فاستجاب الله سبحانه وتعالى ووهبه اسماعيل عليه السلام وذلك عند هجرته.

4-الإذن والاستسلام:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّى أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]

تضمنت هذه الآية فعلين كلاميين توجيهيين مباشرين جاءا في سياق حوار إبراهيم وإبنه ذبيح الله إسماعيل عليهما السلام، وكان أمره -سبحانه وتعالى -بالذبح ابتلاء لنبيه، وليس المقصود منه التشريع حتى يظهر عزمه وثباته على طاعة ربه، والحكمة من هذا الابتلاء أنه نُزل في صورة منام وليس في صورة وحي«إِكْرامًا لِإبْراهِيمَ عَنْ أنْ يُزْعَجَ بِالأمْرِ بِذَبْحِ ولَدِهِ بِوَحْيٍ في اليَقَظَةِ لِأنَّ رُؤى المَنامِ يَعْقُبُها تَعْبِيرُها، إذْ قَدْ تَكُونُ مُشْتَمِلَةً عَلى رُمُوزٍ خَفِيَّةٍ، وفي ذَلِكَ تَأْنِيسٌ لِنَفْسِهِ لِتَلَقِّي هَذا التَّكْلِيفِ الشّاقِّ عَلَيْهِ وهو ذَبْحُ ابْنِهِ الوَحِيدِ.»[2]

وصُدِّر كل فعل كلامي توجيهي أمري بفعل النداء "يا بُني "و "يا أبت" للدلالة على تلك الرابطة القوية بين الأب وابنه، فكلا من الندائين أُردفا بصفتي الأبوة والابن لترقيق وتحنين خبر الذبح وجواب الامتثال له، خاصة وأنّ المقام هنا مقام مشاورة بين الأب وابنه وهو ما دلت علية القرينة اللغوية "فانظر ماذا ترى"، والنظر هنا نظر العقل بمعنى التأمل وليس نظر الحواس البصر وكان عرض ابراهيم -عليه السلام -على إبنه عرض إختيار لا إجبار «لِيَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَجَلَدَهُ وَعَزْمَهُ مِنْ صِغَرِهِ عَلَى

[1]- سورة الصافات، الآية102.

[2]- محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج23، ص 151.

طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَةِ أَبِيهِ. »[1]. والملاحظ أن جواب إسماعيل عليه السلام كان بفظ "افعل ما تؤمر" ولم يقل اذبحني فكان بذلك جوابه جامعاً بين الإذن بذبحه وتعليله امتثالاً لأمر الله تعالى، فكان هذا الجواب أبلغ من حيث الناحية اللغوية من قوله اذبحني.

تتشكل بنية جملة الفعلين الكلاميين التوجيهيين " فانظر" وافعل " من:

1-فعل القول: الرابط الحجاجي حرف العطف الفاء الذي افاد الاستئناف+ العنصر الإشاري الزماني "لما" بمعنى حين+ الفعل بلغ + فاعله ضمير مستتر تقديره هو+ مع الظرفية+ العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المتصل الهاء+ المنادى+ ياء المتكلم+ الرابط الحجاجي إنَّ الذي أفاد تأكيد الرؤيا الذبح + العنصر الإشاري ياء المتكلم+ الرابط الحجاجي حرف العطف الذي ربط المسبب بالسبب+ اسم الإستفهام ماذا+ المنادى "يا أبت" +اسم الموصول ما+ الفعل تؤمر+ حرف الاستقبال السين+ + الفعل تجد+ نون الوقاية+ الفاعل ضمير مستتر تقديره انت+ الرابط الحجاجي إن الذي يفيد الشرط+ الجار والمجرور.

2-العناصر الإحالية: تشير العناصر الإشارية الشخصية الهاء في قوله تعالى "معه" إلى اسماعيل عليه السلام، والياء في قوله "يا بني" و"إني" والضمير المستتر في الفعل ستجدني إلى شخص إبراهيم عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: تمثل **المحتوى القضوي** في هذه الآية في الشطر الأول منها أمر إبراهيم عليه السلام إبنه للنظر فيما رآه في المنام، وفي جواب إسماعيل عليه السلام في الشطر الثاني من الآية تضمن فعل القول الأمر "افعل" دلالة الإذن بالذبح. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 24.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعلين الكلاميين التوجيهيين "انظر" و"افعل" التي تتكون حمولتهما الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: إن اسناد فعل القول للعامل الحجاجي الفاء الفصيحة في الفعل "فانظر" يظهر تقدير الكلام على محذوف أنه إذا علمت هذا- أي خبر الرؤيا- فانظر ماذا ترى وبذلك يكون قد فتح باب المشورة «لَمْ يُقُلْ لَهُ ذَلِكَ عَلى وجْهِ المؤامَرَةِ في أمْرِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، ولَكِنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ ما عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ»[1]، أما فيما يخص فعل الأمر في جواب اسماعيل عليه السلام المتمثل في الملفوظ " افعل" فحمل قوى الإذن بالذبح والاستسلام لأمر الله تعالى.

وبالنظر الى جملة الفعل الكلامي نجدها توفرت على **شروط الملائمة** التي بموجبها يتحقق الفعل الكلامي وهي:

1-شرط المحتوى القضوي: توفر القضية التي يعبر عنها جملة الفعل الكلامي وهي حوار ابراهيم مع ابنه حول رؤيا الذبح.

2-الشرط التمهيدي: فإبراهيم عليه السلام قادر على تحقيق الرؤيا، غير أنه ليس واضحاً للمتكلم من أن المتلقي وهو اسماعيل عليه السلام أنه سيتقبل الخبر وينجز المطلوب.

3-شرط الإخلاص: تحقق هذا الشرط بقبول كلا من إبراهيم وابنه وسعيهما في تطبيق ما أُمر به في الرؤيا، بحيث ترك الاختيار لإبنه لإختبار صدق إيمانه. أما **الشرط الأساسي،** الذي مفاده محاولة حث المتلقي على إنجاز فعل معين فلم يتحقق لأن المخاطَب وهو إبراهيم عليه السلام لم يحاول التأثير في المتلقي ليتقبل الأمر ليسمح له بتنفيذ ما أُمِر به.

[1]- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بم محمد الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج3، ص548.

5-التحريض:

قال تعالى:﴿فالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُواْ ءَالِهَتَكُم إِن كُنتُم فَٰعِلِينَ﴾[1]

جاء خطاب الأمر في هذه الآية على لسان قوم إبراهيم عليه السلام بعد أن غلبهم بالحجة وبان عجزهم استعملوا القوة، واخلف في القائل رأي الحرق فقيل هو النمرود وقيل رجل من الأكراد إسمه هِينُونُ[2]، والتحريق مبالغة في الحرق ومعناه التقطيع بالنار[3]؛ أي حرقاً متلفاً.

إن أسناد فعل القول إليهم جميعاً دليل على أنهم أيدوا رأي القتل بالحرق، ولم يذكر النظم القرآني في هذه الآية أنهم أرادوا قتله بغير حرق على خلاف سورة العنكبوت التي ذُكر فيها أمر المشاورة بين القوم في طريقة القتل ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِۦٓ إِلاَّ أَن قَالُواْ ٱقتُلُوهُ أَو حَرِّقُوهُ﴾[4] ، وعُطف الفعل "انصروا" على الفعل حرِّقوه وكأن انتصارهم هو قتل ابراهيم والخلاص منه فلو قُدم فعل الانتصار على فعل الحرق لكان الإنتصار المرتبط بفعل الحرق متحققاً، ولكن قُدم فعل الحرق وعطف عليه فعل الانتصار للإشارة أن عملية الحرق تمت غير أنهم لم ينتصروا وهو ما يبنه قوله تعالى ﴿وَٱنصُرُواْ ءَالِهَتَكُم إِن كُنتُم فَٰعِلِينَ﴾؛أي «انْصُرُوها بِالِانْتِقامِ مِن هَذا الَّذِي فَعَلَ بِها ما فَعَلَ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ لِلنَّصْرِ.»[5]. وتتكون جملة الفعل الكلامي إذن من:

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 68.

[2]- ينظر :أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص412.

[3]-ينظر: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السامعاني التيمي، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1997، ج3، ص390.

[4]- سورة العنكبوت، الآية 24.

[5]- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج 3، ص 490.

1-فعل القول: الفعل قال+ العنصر الإشاري واو الجماعة الفاعل+ فعل الأمر حرّقوه+ واو الجماعة فاعل+ الضمير الهاه في محل نصب المفعول به+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ فعل الأمر انصروا+ الفاعل المتمثل في الواو+ مفعول به+ العامل الحجاجي الأداة إن الشرطية+ فعل الشرط "كنتم"+ التاء في كنتم اسم كان وفاعلين خبرها.

2-العناصر الإحالية: تحيل العناصر الإشارية الشخصية في هذه الآية إلى طرفين هما: إبراهيم عليه السلام وقومه. فالهاء في الفعل حرّقوه تعود إليه عليه السلام، أما الواو في الفعل قالوا واو الجماعة، و في الفعلين حرّقوه وانصروا تحيل إلى قوم إبراهيم عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في إجماع القوم على قتل إبراهيم حرقاً، ويظهر من خلال سياق الآية ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيدا فَجَعَلنَٰهُمُ ٱلأَخسَرِينَ﴾[1]، أي أنهم تآمروا عليه ودبروا له هذه المكيدةً ،وأشار التعبير «بِأداةِ الشَّكِّ وفِعْلِ الكَوْنِ واسْمِ الفاعِلِ إلى أنَّ أذاهُ لا يَسُوغُ، ولَيْسَ الحامِلُ عَلَيْهِ إلّا حِيلَةً غَلَبَتْ عَلى الفِطْرَةِ الأُولى السَّلِيمَةِ »[2]. ويترتب عن هذا الفعل لدلالي:

أ-الاقتضاء: استعمال قومهم وجاه ملكهم في الخلاص من إبراهيم.

ب-الاستلزام المنطقي: عجزهم واستمرارهم في عنادهم.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعلين الكلاميين التوجيهيين "حرّقوه وانصروا" الذي تتكون حمولتهما الدلالية من:

[1]- سورة الأنبياء، الآية 70.

[2]-إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ج 12، ص 444.

أ–القوة الإنجازية الحرفية: حافظ الفعلين الكلاميين على معناهما الحرفي الذين سيق لهما؛ أي الأمر بالحرق ليتحقق مرادهم وهو نصرة آلهتهم بموت إبراهيم عليه السلام.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: التحريض على القتل.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: تتضح من خلال قوله تعالى ﴿إِن كُنتُم فَٰعِلِينَ﴾ جواباً على قولهم ﴿قالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُواْ﴾ وهو فشل مكيدتهم وخيبة أملهم في قتله عليه السلام.

د–القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: إظهار عظمة الله تعالى في خلقه.

6–النصح الإرشاد:

قال تعالى ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]

لا زال المحتوى القضوي للآيات في سياق حوار إبراهيم مع قومه حيث دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وبأن يُخلصوا له العبادة وذلك بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، واتقاء غضبه من وذلك بترك نواهيه وما يغضبه من المعاصي كي لا يحل عليكم عذابه. ثم نبههم بأن الأصنام والأوثان التي يعبدونها لا تنفع ولا تضرّ ليتذكروا ويفسقوا من غفلتهم.

وتتكون بنية جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة من:

1–فعل القول: ابتدأت جملة الفعل الكلامي بالعامل الحجاجي حرف العطف الواو وانتصاب ابراهيم بالعطف على نوحاً، ومناسبة هذا العطف التنبيه إلى عِظم قدرة الله عز وجل على الإنجاء من

[1]– سورة العنكبوت ،الآية 16.

النار والماء[1] + العامل الحجاجي "إذ" الظرفية المتعلقة بالفعل المقدر أرسلنا التي تفيد بدل الاشتمال من ابراهيم + فعل الماضي+ الرابط الحجاجي حرف الجر اللام والإسم المجرور+ فعل الأمر+ واو الجماعة في محل رفع الفاعل+ المفعول به+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ فعل الأمر+ العنصر الشخصي المتمثل في الضمير الهاء+ اسم الإشارة ذا+ لام البعد+ "حرف الخطاب كم"+ إن الشرطية+ فعل الماضي كن+ التاء اسم إن+ تعلمون خبر إن.

2-العناصر الإحالية: تعود واو الجماعة في الفعلين التوجيهين " أعبدوا" و"اتقوه" على قوم إبراهيم، أما الهاء في الفعل اتقوه فتحيل إلى ذاته عز وجل.

3-المحتوى القضوي: يشير المحتوى القضوي للآية من خلال حرفية الفعلين الكلاميين التوجيهيين إلى خطاب الأمر الصادر من إبراهيم عليه السلام والموجه إلى قومه، ثم علل دعوته هذه بأن الأصنام التي يعبدونها لا تعبد ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني مصداقاً لقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا تَعبُدُونَ مِن دُونِ **ٱللَّهِ** أَوثَنا وَتَخلُقُونَ إِفكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ **ٱللَّهِ** لاَ يَملِكُونَ لَكُم رِزقا﴾[2] . ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-الإقتضاء: بطاعة الله بإخلاص العبادة له وخوفه.

ب-الإستلزام المنطقي: يستلزم عن الفعلين التوجيهيين " اعبدوا الله واتقوه" الإشارة إلى الإتيان بالواجبات والامتناع عن المحرمات.[3]

[1]-ينظر: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج20، ص224.

[2]- سورة العنكبوت، الآية 17.

[3]- ينظر: أبو حفص سراج الدين بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد بن عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998،ج15، ص327.

4-الفعل الكلامي الإنجازي: ويتمثل في الملفوظين "اعبدوا" واتقوه" اللذين جاءا في خطاب إبراهيم عليه السلام مع قومه، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: نصح إبراهيم لقومه وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

ب-القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: ذكر سبحانه وتعالى هذه القصة مواساةً للرسول صلى الله عليه وسلم لما كان يلقاه من أذى قومه، وعطف قصته عليه السلام على قصة نوح لتذكيره بما لقيه أوَّل الرسل نوح عليه السلام.

7-الوعظ:

قال تعالى ﴿فل سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرضِ فَٱنظُرُواْ كَيفَ بَدَأَ ٱلخَلقَ ثُمَّ ٱللَّه يُنشِئُ ٱلنَّشأَةَ ٱلۡأَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىء فَدِير﴾[1]

تضمنت هذه الآية ثلاثة أفعال كلامية تمثلت في الملفوظات "قل" و" سيروا" و"فانظروا" ، التي جاءت في سياق الإخبار عن أمر -سبحانه وتعالى- لرسوله إبراهيم عليه السلام بأن يأمر منكرو البعث والمشركين بالسير في الأرض ليروا ويتدبروا قدرة الله في خلقه، فكانت هذه الآية عبارة عن « اعتراض انتقالي من الإنكار عليهم ترك الاستدلال بما هو بمرأى منهم إلى إرشادهم للاستدلال بما هو بعيدٌ عنهم من أحوال إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم وخلف بعضها عن بعض...فلذلك أمر الله رسوله أن يدعوهم إلى السير في الأرض ليشاهدوا آثار خلق الله الأشياء من العدم... فالسير في الأرض وسيلةٌ جامعة لمختلف الدّلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة... »[2].

[1]- سورة العنكبوت، الآية 20.

[2]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، مج20، ص230.

وقد اختلف المفسرون في الطرف الموجه إليه الخطاب فمنهم من رأى بأن الخطاب في هذه الآية موجه إلى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– كالقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن أما الشوكاني في تفسيره فتح القدير فقد جمع بين القولين .

والملاحظ أن ترتيب أفعال الأمر جاء وفق نظام دقيق، فصُدِرَت جملة الفعل الكلامي بفعل القول الذي جاء على صيغة فعل الأمر "قل" للتنبيه، وتعظيم شأن الأمر، وتحفيز الناس على الاستكشاف والبحث في عجائب الخلق والتأمل في آيات الله في الكون ، ثم أعقبه بفعل" السير" دون المشي أو السعي، لأن السير له هدفٌ وغرضٌ كما في قوله تعالى ﴿فَلَمّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ[1]﴾ ؛ فالسير هنا محدد بوجهتين ممتد من مدين إلى مصر وهو ليس مشياً. وقد وقد يكون معنى السير هو السير لفترة طويلة للعبرة والاتّعاظ كما في قوله تعالى﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمّ انْظُرُوا﴾ المعنى للسير في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، وقال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمّ اللّه يُنشِئُ النّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنّ اللّه عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. أما المشي فهو مجرد الانتقال ويكون مصاحبا للسكينة والوقار وعدم الإسراع مصداقا لقوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً﴾ وقوله أيضا قال تعالى ﴿ولَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[2].

[1]– سورة القصص، الآية 29.

[2]– سورة الإسراء،الآية37.

فقوله تعالى ﴿سيروا فى الأرض﴾ يكشف لنا حقيقة علمية متعلقة بالأرض والخلق، **فإذا ما تساءلنا هل نحن نسير على الأرض أم في الأرض؟** الإجابة عن هذا السؤال جاءت في قوله تعالى﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمّ انْظُرُوا﴾؛ لأننا نعيش داخل الأرض نسير فيها على أرضها وغلافها الجوي من فوقنا.

وأعقب فعل السير في الأرض بالنظر؛ والنظر هنا ليس نظر البصر فقط وإنما النظر فيما خلقه الله في الكون والتأمل في تنوع خلقه لمعرفة حكمة الله في خلقه. إذن النظر هنا نظر التأمل والاعتبار.

وفي آية أخرى قال تعالى ﴿ثم انظروا﴾[1]، فالرابط الحجاجي ثم أفاد العطف والتراخي كأنه سبحانه يقول لنا :سيروا في الأرض للاستثمار، ثم انظروا نظرة التأمل والاعتبار، ولا مانع من الجمع بين الغرضين[2]. ثم جاء قول تعالى ﴿كَيفَ بَدَأَ ٱلخَلقَ ثُمَّ ٱللَّه يُنشِئُ ٱلنَّشأَةَ ٱلأخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىء قَدِير﴾[3] للدعوة إلى النظر والتأمل في كيفية بدء الخلق وظهوره في الكون، كما تشير إلى الإيمان بالحياة الآخرة وذيل الآية إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِير بالعامل الحجاجي "إن" للتأكيد على قدرة الله وعظمته في خلق كل شيء وتدبير الأمور. هنا يتجسد **مبدأ الطريقة** لغرايس؛ أي طريقة خلق الله الكون.

1-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المستتر "أنت" للفعل قل العائد على إبراهيم عليه السلام، والعنصر الإشاري الشخصي المتمثل في "واو: الجماعة تحيل إلى قوم إبراهيم عليه السلام.

[1]- سورة الأنعام، الآية 11.

[2]-ينظر: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي –الخواطر، مطابع أخبار اليوم، دط، دت، ج،18 ص 11119

[3]- سورة العنكبوت، الآية20.

2-المحتوى القضوي: يتمثل المحتوى القضوي للآية في إرشاد إبراهيم عليه السلام قومه لاستدلال بما هو بِما هو بَعِيدٌ عَنْهم مِن أحْوالِ إيجادِ المِخْلُوقاتِ «فَلِذَلِكَ أمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أنْ يَدْعُوَهم إلى السَّيْرِ في الأرْضِ لِيُشاهِدُوا آثارَ خَلْقِ اللَّهِ الأشْياءَ مِن عَدَمٍ، فَيُوقِنُوا أنَّ إعادَتَها بَعْدَ زَوالِها لَيْسَ بِأعْجَبَ مِنِ ابْتِداءِ صُنْعِها»[1]، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: بأنَّ أسرار بدء الخلق مكتوب في الأرض.

ب-الاستلزام المنطقي: الدعوة إلى البحث في أسرار بداية الخلق من خلال السير والتنقيب والبحث في الأرض

3-الأفعال الإنجازية: وتتمثل في الملفوظات الآتية: " قل"، "سيروا"، "انظروا" التي تتكون حمولتها الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: أمر إبراهيم عليه السلام قومه على سبيل الإرشاد بأن يسيروا في الأرض ليروا عظمة الله في خلقه حتى يتعظوا ويتراجعوا عما هم فيه من كفر وطغيان.

ب-القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: النصح والارشاد.

ج-القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: الدعوة إلى الاتعاظ والاعتبار.

د-القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: مواساة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- على ما لقيه من قومه ووعظ قومه.

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج20، ص230.

هـ–القوة الإنجازية المستلزمة الرابعة: هذه الأفعال الكلامية التوجيهية تحمل دلالات تعليمية وتوجيهية، حيث تدعو الناس إلى التأمل والتدبر في خلق الله والإيمان بالحياة الآخرة وقدرة الله على كل شيء.

بعد عرضنا لقصة إبراهيم عليه السلام لاحظنا قلة ورود الأفعال الكلامية الأمرية الموجهة من إبراهيم عليه السلام إلى قومه، ولعل ذلك راجعٌ إلى الرسالة التي حملها وهي الدعوة إلى دين جديد، فاستعمل أساليب اللين والمنطق لإذعان المتلقي وبالتالي التأثير في نفسه واتباع دينه فيكون بذلك قد تحقق كلا من **مبدأ التأدب ومبدأ التأثير لغرايس**.

كما لا حظنا في تتبعنا لقصة إبراهيم في الذكر الحكيم أنَّه اتخذ المنهج الاستقرائي الاستدلالي في طريق البحث عن الله ينطلق فيه من الحواس إلى الفكر ومن الشك إلى اليقين، ولعل من أبرز مظاهر هذا المنهج نجدها متجلية في حوار إبراهيم عليه السلام مع المولى –عز وجل– ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. فظاهر فعل القول في هذه جملة يوحي إلى ذهن القارئ أن إبراهيم عليه السلام يشك في مسألة إحياء الموتى، غير أن المقصود من هذه الآية يخالف البنية التركيبية الحرفية لهذا القول، فجاء في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل أنَّ إبراهيم «لم يشك في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك

[1]– سورة البقرة، الآية 260.

السؤال، ويدل على ذلك قوله: كيف، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه»[1]، إذن سؤاله عليه السلام أستلزم عنه يقينه عليه السلام بقضية الحياة والموت.

ويستمر الخطاب التفاعلي بين إبراهيم عليه السلام وربه بقوله ﴿أَوَ لَم تُؤمِن﴾، فالإستفهام هنا بالعامل الحجاجي "كيف "« إنَّما هو سُؤالٌ عَنْ شَيْءٍ مُتَقَرِّرِ الوُجُودِ عِنْدَ السّائِلِ والمِسْؤُولِ، فالِاسْتِفْهامُ هُنا عَنْ هَيْئَةِ الإحْياءِ المُتَقَرِّرِ عِنْدَ السّائِلِ أيْ بَصِّرْنِي كَيْفِيَّةَ إحْيائِكَ لِلْمَوْتى وإنَّما سَألَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَنْتَقِلَ مِن مَرْتَبَةِ عِلْمِ اليَقِينِ إلى عَيْنِ اليَقِينِ»[2]، بمعنى أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يعاينه معاينةً محسوسة لكيفية الإحياء ليرتقي إلى عين اليقين وقد أوضح ابن قيم الجوزية –رحمه الله– الفرق بين هذين الدرجتين فقال« عِلْمُ الْيَقِينِ. وَهُوَ قَبُولُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ. وَقَبُولُ مَا غَابَ لِلْحَقِّ. وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا قَامَ بِالْحَقِّ. وعين البقين وَهُوَ الْمُغْنِي بِالِاسْتِدْلَالِ عَنْ الِاسْتِدْلَالِ وَعَنِ الْخَبَرِ بِالْعِيَانِ وَخَرْقُ الشُّهُودِ حِجَابَ الْعِلْمِ... وحق اليقين هُوَ إِسْفَارُ صُبْحِ الْكَشْفِ ثُمَّ الْخَلَاصُ مِنْ كُلْفَةِ الْيَقِينِ ثُمَّ الْفَنَاءُ فِي حَقِّ الْيَقِينِ. »[3].

ومعنى الاستدلال هنا هو الإدراك والشهود، ولتوضيح هذا القول أكثر نسوق المثال الآتي: إن علمنا بالجنة والنار هو علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وبُرِّزَت الجحيم للغاوين وشاهدهما الخلائق فذلك عين اليقين، وإذا ما أُدخل أصحاب الجنة الجنة وأصحاب النار النار فذلك

[1]– أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن علي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ، ج1، ص 133.

[2]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1415،1هـ، ج2، ص26،27.

[3]– محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410هـ، ج 2، ص 378–400.

حق اليقين[1]. والدرجة الأخيرة لا ينالها إلا الرسل كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار، وموسى عليه السلام كلم الله من وراء الحجاب بلا واسطة.

إن جواب إبراهيم عليه السلام ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ **يستلزم عنه** نفي القول بعدم الإيمان وإنما قال ما قال لأنه كان حائراً في كيفية الإحياء فاستجاب الله لسؤاله فقال له ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾، هنا يستلزم ارتقاء إبراهيم عليه السلام من مصاف علم اليقين إلى عين اليقين.

والملاحظ أن الصيغة التي بدأ بها الحوار جعلت من السياق التواصلي دافعاً لإنتاج خطاب لاحق « فلا يحصل تواصل أو إدراك قصد دون تفاعل تعاوني منسق»[2]، وهنا يتحقق **مبدأ التعاون والقصدية** وانتهاك **لمبدأ الطريقة** المتجلي في قوله تعالى ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[3] .

1-العناصر الإحالية: تباين الدلالة المضمرة للفاعل بين إبراهيم عليه السلام والله عز وجل، ويترتب عنها:

[1]- ينظر: محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996، ج2، ص 418-419-420.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، ط1، مارس 2004، ص43.

[3]- سورة البقرة، الآية260.

أ-**الاقتضاء:** يتعلق بالترتيب المنطقي للأحداث في الآية فعندما يقول إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى﴾، يتبع ذلك الاقتضاء الطبيعي للسؤال من قِبَل الله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾. وبعد أن يعبر إبراهيم عن إيمانه، يأخذ الله إبراهيم -عليه السلام- بتوجيهه ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، ثم يطلب منه وضع قسم من الطيور على الجبال وأخيرًا يدعوها لتأتيه سعيًا، هذا التسلسل الزمني يتبع الاقتضاء المنطقي للأحداث.

ب- الاستلزام المنطقي: يتعلق **بالعلاقة السببية بين الأحداث** في الآية، فعندما يطلب إبراهيم من الله أن يُرَى كيف يحيي الموتى، يتبع ذلك استلزاماً من قِبَل الله بسؤاله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ فيمكن فهم ذلك على أنه ردٌ من الله تعالى يشير فيه إلى أن الإيمان، هو الشرط الأساسي لأن يُظهِرَ الله هذه العجائب.

2-الأفعال الإنجازية: وتتمثل في الملفوظات "خذ" و "صُرهن" و" اجعل"، ففعل الأمر التوجيهي "خذ" نجده مقروناً بالعامل الحجاجي الفاء الذي يعطي توجيهًا مباشرًا لإبراهيم بتنفيذ الأمر المذكور، ويُؤكِد أنه هو الشخص المستهدف لهذا الأمر، أما الفعل الكلامي الثاني "فصرهن" فجاء هو الآخر مقروناً بالعامل الحجاجي الفاء الذي يُؤكد على ضرورة تنفيذ الفعل وتعطي أمراً مستمراً بالمواصلة في إكمال العملية، أما العامل الحجاجي" ثم" في الفعل التوجيهي (اجعل) أفاد العطف بالترتيب والتراخي بمعنى التتابع والتوالي بين الأفعال، فعملت على ربط الفعل التوجيهي "اجْعَلْ" بالفعل السابق "فَصُرْهُنَّ"، ويشير إلى ترتيب الأفعال الموجهة إليه عليه السلام بتنفيذ الأمر الثاني بعد الانتهاء من الأمر الأول. وتتكون حمولة الدلالية لهذه الأفعال الكلامية التوجيهية من:

أ-**القوة الإنجازية الحرفية:** حمل الفعل الكلامي التوجيهي "خذ" قوة إنجازية مباشرة صريحة، حيث يتعين على إبراهيم القيام بالفعل المطلوب وأخذ الطيور على وجه اللزوم والتنفيذ الفوري.

والفعل التوجيهي "صرهن" حمل أيضاً قوة إنجازية حرفية، مباشرة حيث يوجه إبراهيم بتنفيذ الفعل المحدد، أما الفعل الثالث "اجعل" فحمل قوة إنجازية حرفية إذ يعبر الفعل عن أمر مباشر لإبراهيم بالقيام بالعمل المطلوب، وهو وضع جزء من الطيور على كل جبل على وجه إلزامية التنفيذ والتحقيق الفوري للفعل بعد الأمر.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة: حملت الأفعال الكلامية التوجيهية الثلاثة فضلاً عن حرفيتها دلالة تعليمية توجيهية لإبراهيم عليه السلام في القيام بالعمل.

8–التعجيز:

قال تعالى﴿ أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبرَٰهِـمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَن ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلمُلكَ إِذ قَالَ إِبرَٰهِـمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَٰهِـمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأتِى بِٱلشَّمسِ مِنَ ٱلمَشرِقِ فَأتِ بِهَا مِنَ ٱلمَغرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهدِى ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية في سياق المناظرة التي جرت بين إبراهيم عليه السلام والملك النمرود، التي استُهْلت بملفوظ استفهامي ﴿ أَلَم تَرَ﴾، فالسائل هنا حين استفهم لا ينتظر رداً من المتلقي ولكن ما يهمه هو «إحداث التفاعل بينه بين المتلقي وتحقيق مبدأ الإفادة، فالخطاب الإنشائي لا يصف الواقع إنما يدفع إلى التأثير فيه وتغييره، والأساليب الإنشائية هي أبرز مظاهر اللغة التي تعرب عن حيويتها. »[2]، ففي هذا الاستفهام تعجيب من محاججة النمرود في الله

[1]– سورة البقرة، الآية 258.

[2]– خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص16.

عز وجل وكفره به لذا « قد يعتمد المتكلم إلى أن يُصدر كلامه بالسؤال قصداً منه إلى التشويق إليه لأنه أمرٌ عظيم أو عجيبٌ أو ما إلا ذلك من المعاني التي تُصاحب معنى التشويق»[1].

وقد فسر صاحب تفسير فتح القدير أن الاستفهام في هذه الآية أن « هَمْزَةُ الِاسْتِفْهامِ لِإنْكارِ النَّفْيِ، والتَّقْرِيرُ المنفِيُّ :أيْ ألَمْ يَنْتَهِ عِلْمُكَ أوْ نَظَرُكَ إلى هَذا الَّذِي صدَرَتْ مِنهُ هَذِهِ المحاجَّةُ.».[2] وفي قوله ﴿ إِذ قَالَ إِبرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأتِى ﴾ استلزم قول النمرود المكابرة والاستعظام، فأجابه عليه السلام بقوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأتِى بِٱلشَّمسِ مِنَ ٱلمَشرِقِ فَأتِ بِهَا مِنَ ٱلمَغرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهدِى ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإعراض إبراهيم عليه السلام من أن الإحياء والإماتة ليس من الحجج التي يُحتج بها لعلمه بمكابرة خصمه وانتقل إلى مالا يستطيع خصمه انتحاله.[3]

وقد جاء الفعل الكلامي التوجيهي "فأت" مقرونا بالعامل الحجاجي حرف العطف الفاء للإيذان بتعلق الكلام بما قبله، واستعمال التعبير لفظ الجلالة "الله" دون "ربي" خلافا لما سبق لبعث المهابة والخشية منه عز وجل، كما استعمل التعبير القرآني الفعل المضارع المتمثل في الملفوظ" يأتي" للدلالة على التجدد والاستمرار، فالإتيان بالشمس من المشرق أمر متجدد كل يوم، والباء أفادت التعدية، أما العامل الحجاجي "من" فقد أفاد ابتداء الغاية. كانت هذه أهم مكونات الجملة الإسنادية للفعل الكلامي التوجيهي.

[1]- ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012، ص129.

[2]- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، ج1، ص 318.

[3]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج3، ص33.

1-العناصر الإحالية: يحيل الاسم الموصول " الذي " إلى النمرود ويعود تعريف هذا الطاغية بالاسم الموصول دون التصريح بإسمه إلى تحقيره وإهماله، لأن اسمه لا يهم المخاطبين في شيء لحصول الإفادة والعبرة دون الحاجة إلى معرفته[1]، أما العنصر الاشاري الشخصي الهاء في "ربه" يحيل إلى إبراهيم عليه السلام وإضافة ضمير الرب إلى ضميره عليه السلام تشريفاً وتكريماً له، وبأنه ناصره ومؤيده في هذه المحاججة.

والملاحظ تنويع النظم القرآني بين لفظتي "رب" والله، فالأولى ذكرت في حديث إبراهيم عن ربه وجاءت لفظة" رب" مضافة إلى ضمير "الهاء" في الملفوظ "ربه" والياء في الملفوظ " ربي" وكلاهما يدلانه على تشريفه عليه السلام «والتعبير بلفظ الجلالة دون لفظ الرب وإظهاره صريحاً ليريب المهابة والخشية ،والتذكير بالقدرة المطاقة المؤتى جل شأنه، مع ما في هذا المسلك من تلوين للأسلوب والنأدى به عن الوقوع في التكرار»[2].

2-المحتوى القضوي: يتمثل **المحتوى القضوي** للآية في المناظرة التي جرت بين إبراهيم -عليه السلام- والنمرود، واستعماله عليه السلام الحجج والاستدلالات لإقناع الطرف الثاني وتغيير رأيه. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-**الاقتضاء:** يتمثل في تنبيه الشخص الذي يناقش إبراهيم في ربه بأن الله هو القادر على إحياء الأموات وإعادة الحياة إليهم، بناءً على قول إبراهيم ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾؛ ويُشير الإقتضاء هنا إلى أن الرد الذي يأتي من الله سيكون متعلقًا بالقدرة الإلهية على الحياة والموت

[1]- ينظر: الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطلعة الأمانة، مصر، ط1، 1191، ص 193.

[2]- الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص 194.

ب- **الاستلزام المنطق** : يتمثل في هذه الآية في **العلاقة اللازمة** بين الجملتين تبعًا للمنطق والقواعد اللغوية. ففي هذه الآية يشير إلى أن إبراهيم يقدم مثالًا لإظهار القدرة الإلهية على إحياء الأموات، حيث يطلب من الشخص الآخر إحضار الشمس من الشرق إلى الغرب، وهذا يعتبر مستحيلًا من الناحية المنطقية. ومن ثم ينتج استلزام منطقي أن الله هو القادر على أمور لا تمكنها القوى البشرية.

3-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي "فأت" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: حمل الفعل الكلامي التوجيهي "فأت" قوة إنجازية غير مباشرة ، حيث أمر أبراهيم عليه السلام النمرود بالإتيان بالشمس من المغرب وهو يعلم أنه لا يستطيع ذلك على سبيل التعجيز، وهنا نجد انتهاكاً لمبدأ تداولي من بادئ غرايس وهو **مبدأ الكيف**.

ب-القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: التعجيز وتحقير النمرود.

ج-القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: الإشارة إلى قوة الله وقدرته على إحداث الأمور التي تتعارض مع القوانين الطبيعية والقوى البشرية.

2/-الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة نوح عليه السلام:

1-التحذير والوعيد:

قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي في هذه الآية في سياق دعوة نوح قومه إلى عبادة الله وتوحيده المتمثل في الملفوظ" اعبدوا"، الذي صُدر بالنداء" يا قوم" مُذكراً إياهم بوحدة القربى وعلاقة النسب ليسمعوه،

[1]- سورة الأعراف، الآية 59.

فكان قوله عليه السلام لَهُمُ ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ «إبْطالٌ لِلْحالَةِ الَّتِي كانُوا عَلَيْها، وهي تَحْتَمِلُ أنْ تَكُونَ حالَةُ شِرْكٍ كَحالَةِ العَرَبِ، وتَحْتَمِلُ أنْ تَكُونَ حالَةَ وثَنِيَّةٍ بِاقْتِصارِهِمْ عَلى عِبادَةِ الأصْنامِ دُونَ اللَّهِ تَعالى»[1]، ثم علل أمره بقوله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فلم يترك لهم حرية الإختيار وبين لهم عاقبة تكذيبهم، وأثبت بقوله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ أن العبودية لله ونفاها عن الآلهة وبين أن المعبود هو الله عز وجل وليس الإله وإلا لكانت كل الأصنام آلهة.

كما يستلزم عن هذه الآية التأكيد على عدم وجود آلهة أخرى تستحق العبادة إلى جانب الله. وتُعَدُّ بذلك هذه العبارة جزءًا من وسيلة الحجة والإقناع التي استخدمها النبي نوح عليه السلام، ثم بين عاقبة كفرهم بقوله تعالى على لسان نوح ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فاستلزم عن هذا القول تحذير النبي نوح لقومه من وقوع عذاب عظيم في يوم القيامة، وإشعارهم برحمته لهم وشفقته عليهم .

هنا يتجلى **مبدأ الكم والإفادة**، إذ نجد أن إفادة المخاطب تتجاوب وفق حاجته، فعندما قال ﴿مالكم من إله غيره﴾ يتضح لنا أن **الإفادة** تكون حسب الحاجة والموضوع المطروح، وبالنسبة لإدراج العبارة ﴿أنا أخاف عليكم﴾ في قوله فإنه لا يعتبر خرقًا للمبدأين السابقين، بل هو موقف يُناسب توظيفه في الخطاب نظرًا لتوافقه مع المقاصد المطلوبة من الخطاب.

والملاحظ في منهج دعوة نوح قومه تصدير كل خطاب بالملفوظ" يا قوم" وهي اسم مضاف إلى ياء متكلم محذوفة، هذا التكرار يعكس القدرة التواصلية وكفاءته اللغوية في انتقاء المعجم المناسب، فابتعد عن الرهيب والزجر والوعيد إلى أسلوب اللين واللطف.

[1]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج 8، ص188.

تتشكل بنية الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة من:

1-فعل القول افتتحت جملة فعل القول بلام التوقع لتشويق السامع إلى ما سيتم الإشارة إليه، وهي جواب لقسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوح+ "وأرسلنا نوحا" فعل وفاعل ومفعول به+ "إلى قومه" جار ومجرور متعلقان بأرسلنا + الفاء عاطفة في "فقال+ أداة نداء وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة+ "اعبدوا" فعل أمر والواو فاعله+ "الله" مفعوله+ ما نافية+ ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم+ "من" حرف جر زائد+ "إله" مبتدأ مؤخر+ "غيره" صفة لإله+ إن واسمها+ جملة أخاف خبرها+ "عليكم" جار ومجرور متعلقان بأخاف+ "عذاب" مفعول به+ "يوم" مضاف إليه+ "عظيم" صفة.

2-العناصر الإحالية: النون في أرسلنا تحيل إلى الله عز وجل وجاءت بصيغة ضمير إشاري شخصي جمع للعظمة، الهاء كضمير في "قومه" تدل على ذات النبي نوح، وياء المتكلم المحذوفة في " قوم" والظاهرة في "إني" تعود إلى المخاطب النبي نوح عليه السلام، فأضاف عليه السلام القوم إلى ضميره لاستجلاب عطفهم لاهتدائهم، أما الواو في الفعل التوجيهي "اعبدوا" فتحيل إلى قوم نوح عليه السلام، "يوم" عنصر إشاري يفيد الزمان.

هنا يتحقق **مبدأ التعاون لغرايس** باعتبار الإحالة عمليّة تعاونيّة لأنها تستهدف تمكين المخاطَب من التعرّف على الذّاتِ المقصودة، وذلك عن طريق إمداد المخاطَب بكلّ المعلوماتِ عن الذّات المقصودة، وهذه المعلومات لا يمكننا الوصول إليها إلى بالرجوع إلى كتب التفاسير لمعرفة ماهيتها وكتب النحو لمعرفة وظيفتها أهي فاعلة أم وقع عليها فعل الفاعل.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية بعث النبي نوح لقومه برسالة وهدف واضح، وهو دعوتهم لعبادة الله وحده، مؤكداً على وحدانية الله وأنه وحده المخصوص بالعبادة، وتحذير قومه من عذاب

يوم عظيم، وهذا التحذير نابع عن قلقه الشديد لمصيرهم في هذا اليوم. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ–الاقتضاء: يقتضي هذا الخطاب إنكار قوم نوح لدعوته وثباتهم على الكفر. ويتجلى الاقتضاء في قصة نوح عليه السلام كتوجيه ضروري وحاسم لتصحيح المسار وإيقاظ الوعي الديني في قلوب الناس، مما يعكس رحمة الله ورغبته في إرشاد البشرية إلى الطريق المستقيم.

ب–الاستلزام المنطقي: يتجسد في **علاقة السبب بالنتيجة،** فإن نتيجة ارسال نوح عليه السلام إنما كان لسبب دعوة قومه إلى التوحيد والعبادة الكاملة لخالقهم، أيضا نتيجة حصول خوف نوح عليه السلام على قومه كان بسبب حصول الاعراض والتكذيب من طرف قومه، هذا الربط بين المقدمات ونتائجها هو ما يسميه **بيرمان بالحجة التداولية** « وهي الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث، وذلك بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة. »[1]. أيضا نلمح وجود نوعين من العلاقة الحجاجية حدثت ضمن العلاقة الخطابية وهي:[2]

–علاقة أفقية: وهي درجة التقارب أو التباعد بين المتخاطبين ، فقد تصطبغ بالحميمة أو الألفة، أو بالمسافة وأهم متغيراتها أنها تحيل على الجانب المعرفي والعاطفي للعلاقة كالتضامن الذي يتعلق بالتقارب، أو الانتماء إلى مجموعة قومية ، أما **العلاقة العمودية:** وهي علاقة المملوك بمالكه، أو العبد بربه لكونه مرسلاً من عند الله. وفي قصة نوح عليه السلام تتحقق هذين العلاقتين، **فالعلاقة الأفقية** تتجسد في علاته عليه السلام مع قومه وهذه العلاقة حددها النسب إليهم وهو ما دل عليه الملفوظ" يا قوم". أما **العلاقة العمودية** فتتجسد في علاقة الرسول بربه.

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص481.

[2]– ينظر: عبد الزهرة إسماعيل آل سالم، حجاجية القصص القرآني قصة نوح أنموذجا، كلية الآداب، العدد 107، ص 77.

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" اعبدوا" الصادر من نوح عليه السلام والموجه إلى قومه ، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي عن دلالته المباشرة إلى معنى النصح والارشاد.

ب-القوة المستلزمة الأولى: تحذير الكفار ووعيدهم، وتنبيه الأمة بأن لا يقتدوا بمن خالف الحق من الأمم السالفة.

ج-القوة المستلزمة الثانية : التَّنْبِيهُ عَلى أنَّ «إعْراضَ النّاسِ عَنْ قَبُولِ هَذِهِ الدَّلائِلِ والبَيِّناتِ لَيْسَ مِن خَواصِّ قَوْمِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بَلْ هَذِهِ العادَةُ المَذْمُومَةُ كانَتْ حاصِلَةً في جَمِيعِ الأُمَمِ السّالِفَةِ».[1]

د-القوة المستلزمة الثالثة: كانت هذه القِصَصَ دلالة عَلى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ لِأَنَّهُ «عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ أُمِّيًّا وما طالَعَ كِتابًا ولا تُلْمِذَ عَلى أُسْتاذٍ، فَإذا ذَكَرَ هَذِهِ القِصَصَ عَلى الوَجْهِ مِن غَيْرِ تَحْرِيفٍ ولا خَطَأٍ، دَلَّ ذَلِكَ عَلى أنَّهُ إنَّما عَرَفَها بِالوَحْيِ مِنَ اللَّهِ، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى صِحَّةِ نُبُوَّتِه».[2]

هـ-القوة المستلزمة الرابعة: مواساةً للنبي صلى الله عليه وسلم ولتأسيه بمن قبله من الرسل.

إن دعوة نوح عليه السلام لقومه قد قوبلت بالرفض والانكار من طرف قومه واعتبروا دعوته لهم مجادلة فقالوا ﴿فَالُوا يَا نُوحُ فَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِفِينَ﴾ لذلك كانت «الدعوة إلى الله تعالى في أمسّ الحاجة إلى الصبر والتحمل وعدم

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج14، ص 293.

[2] -المرجع نفسه، ج14، ص293.

اليأس... وأيضا فإن الدعوة للجديد تحتاج إلى التدرج والتلقين المستمر والرعاية الدائمة شأن تربية الطفل الصغير، فإنه يحتاج إلى مداومة الرعاية وتنوعها حتى يتأقلم مع الحياة.»[1]، هذا التدرج في الدعوة نستشفه في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝﴾[2].كما نلمح هنا وجود تعارض حجاجي بين دعوة نوح عليه السلام وقومه، غير أن المعجم اللغوي للنبي نوح عليه السلام اتسم بالرقة واللين على خلاف قومه الذين استعملوا قاموساً لغوياً عدوانياً.

2-المشاورة:

قال تعالى ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[3]

تضمنت هذه الآية ثلة من الأفعال كلامية جاءت في سياق دعوة نوح عليه السلام قومه، حيث خاطب الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يقص ويخبر كفار مكة بنبأ نوح عليه السلام وكيف كانت عاقبة تكذيبهم إياه، وذلك لتحذيرهم وتخويفهم من العذاب الأليم على كفرهم؛ فوجه الشبه إذن بين قوم نوح وقوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتمثل في اعراضهم عن دعوته صلى الله عليه وسلم وصم آذانهم فلم يقبلوا النصح ولم يستجيبوا للحق فكانت عاقبتهم وخيمة.

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير،ج14، ص77 .

[2]- سورة الأعراف، الآية 61،62.

[3]- سورة يونس، الآية71.

وفي خطاب النبي نوح عليه السلام لين وترقيق واستمالة للعواطف، ودليل ذلك توظيف للملفوظ " يا قوم"، أيضاً عدوله عن أسلوب التأكيد وتقرير حقيقة أنهم ضاقوا بدعوته وطال مقامه عندهم إلى أسلوب الشرط المتمثلة في قوله ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ للمحافظة على أواصل القرب والتواصل مع قومه، أيضاً لتلطيف الحوار وتغيير سياق الدعوة من الترهيب إلى الرغيب والتحبيب وهي استراتيجية في الخطاب استخدمها النبي نوح في دعوته لقومه.

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة من:

1-فعل القول: تتكون بنية جملة للفعلين الكلاميين الانجازيين التوجيهيين المخصوصين بالدراسة وهما" فأجمعوا" و "اقضوا" من: حرف النداء يا+ قوم المنادى+ ياء المتكلم المحذوفة+ إن الشرطية+ كان فعل الشرط+ وجملة كبر مقامي خبرها+ حرف العطف+ الاسم المعطوف+ لفاء حرف عطف أفادت الربط+ الجار والمجرور+ الفاء التفريع لأن هذا الفعل تفريع عن قوله تعالى ﴿عَلى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾+ فعل الأمر أجمعوا+ واو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ مفعول به+ واو المعية+ مفعول معه+ ثم وهو عامل حجاجي حرف عطف يفيد التراخي+ لا الناهية+ يكن فعل مضارع مجزوم بلا+ أمركم اسم يكن+ غمة خبر يكن+ العامل الحجاجي "ثم" الذي افاد التراخي + فعل الأمر اقضوا + إلي فاعل.

2-العناصر الإحالية: إن إضافة ياء المتكلم إلى النداء " يا قوم" يحيل إلى أواصل القرب بين نوح عليه السلام فما خاطب عليه السلام قومه إلا صدر كلامه بهذا الملفوظ، والعنصر الإشاري الواو في فعل الأمر أجمعوا وأقضوا يحيل إلى قوم نوح عليه السلام، والملاحظ أن قوم نوح لم يعرفوا باسم محدد كقوم عاد وثمود وهو ما دلت عليه كل خطابات النبي نوح الموجه إلى قومه كقوله تعالى ﴿ لَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]. وقوله أيضاً ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية المعبر عنها في الآية وهي التباس قوم نوح في اتخاذ القرار اتجاه نوح عليه السلام، ويترتب عن المحتوى القضوي:

أ-المعنى العرفي: اقتضاء تردد كل من قوم نوح في اتخاذ القرار، والتباس الأمر على نوح وعلى قومه في تنفيذ القرار.

ب-المعنى المستلزم الأول: دعوة قوم نوح إلى الإيمان.

ج-المعنى المستلزم الثاني: التحدي لما يقررون والتهيؤ لما يقضون.

د-الاستلزام المنطقي: يتحقق في هذه الآية **شرط موافقة المبنى للمعنى**، فبعد أن لبث عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين لم يجد منهم إلا الإعراض والرفض، فكان خطابه في هذه الآية عاكساً لموقفه النفسي منهم« لذا كانت الآية بنفسها المديد وحروف العطف المتتالية وجملها الطويلة تعكس ضجره عليه الصلاة والسلام منهم وبهذا يتوافق المعنى والمبنى ويعكسان الحالة النفسية بأبلغ عبارة وأورع بيان». [3]

[1]- سورة الأعراف، الآية 59.

[2]- سورة الفرقان، الآية 39.

[3]-محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995، ج6، ص 166.

كما تتجلى **الاستعارة المكنية** في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، أي أدوا الأمر الذي اتفقتم عليه ولا تمهلونني، شبه الأمر الذي اجمعوا عليه بالدَّيْنِ ثم حذف المشبه به وأخذ شيئا من خصائصه وهو القضاء.

4–الفعلان الانجازيين: ويتمثلان في الملفوظين" أجمعوا" واقضوا" الصادرين من نوح عليه السلام والموجهين إلى قومه، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعلان الكلاميان التوجيهيان عن دلالتهما المباشرة الحرفية إلى: الفعل الكلامي فأجمعوا: حمل دلالة الدعوة إلى التشاور وتوحيد الرأي مع شركائهم؛ بمعنى :اعزموا عزماً أكيداً [1]. وبعد الإنتهاء من أمر التشاور وتحكيم الرأي أمرهم بتنفيذ ما عزموا عليه دون تردد كتحدي لهم معللاً موقفه هذا بعدم الاكتراث بما سيقومون به لأنه متوكل واثق في الله عز وجل وقدرته وهو ما يبينه قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

ب–القوة المستلزمة الأولى: التَّعْجِيزِ فنوح عليه السلام كان واثقاً بنصر الله له غير خائف من كيد قومه لأنه يعلم بأنهم وآلهتهم ليس بهم نفع ولا ضر إلا إن شاء الله.

ج–القوة الإنجازية الثانية: تنبيه مشركي قريش إلى خطئهم وتحذيرهم من الاستمرار في والعصيان فيحل بهم من العذاب ما حل بغيرهم[2].

د–القوة الإنجازية الثالثة: تأنيسٌ للرسول –صلى الله عليه– على ما لقيه من قومه.

3–الترغيب:

[1]– ينظر: حابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م،ج2، ص 493.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 494،495 .

قال تعالى﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[1]

جاءت هذه الآية على لسان نوح عليه السلام، بعد أن طغى قومه في كفرهم أمداً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نساءهم وهلكت مواشيهم وأموالهمٌ قال لهم﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾، ومعنى ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي « سَلُوهُ المَغْفِرَةَ مِن ذُنُوبِكُمُ السّابِقَةِ بِإخْلاصِ النِّيَّةِ»[2]، وعلل طلبه هذا بأن الله موصوف بالغفران وهي صفة ثابتةً تعهَّد بها لعباده المستغفرين، فأفاد التعليل بحرف" إنَّ" وأفاد ثبوت الصفة لله بذكر الفعل "كان"، وأفاد كمال غفرانه بصيغة المبالغة بقولهَ ﴿غَفَّاراً﴾ وهذا وعدٌ بخير الآخرة رُتب عليه وعد بخيرٌ الدنيا بطريق جواب الأمر وهو قوله تعالى ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[3].

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة من:

1-فعل القول: تتكون جملة فعل القول من: العامل الحجاجي حرف العطف الفاء + قلت فعل+ والعنصر الاشاري الشخصي ضمير المتكلم في محل رفع فاعل+ استغفروا فعل أمر مبني على حذف النون+ والواو فاعل+ ربكم مفعول به +إن واسمها وجملة كان خبرها+ واسم كان مستتر تقديره هو +غفارا خبرها .

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الشخصي المتمثل في ضمير المتكلم "أنا" في قلت إلى الذات المتكلمة وهو نوح عليه السلام، والواو في فعل أمر استغفروا تحيل إلى قوم نوح عليه السلام، العنصرين

[1]- سورة نوح، الآية 10.

[2]- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ، ج5، ص357.

[3]- سورة نوح، الآية 11.

الاشاريين المتمثلين في الضميرين "رَبَّكُمْ" الذي يشير إلى رب الخلق الذي هو ربهم ورب الناس جميعًا والضمير المتصل الهاء في "إِنَّهُ" الذي يشير إلى الله تعالى.

3-المحتوى القضوي: دعوة نوح لقومه بالاستغفار عن ذنوبهم حتى يحل عليهم الخير، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: طغيان قوم نوح وتكذيبهم برسالته.

ب-الاستلزام المنطقي: يتجلى المجاز في قوله تعالى ﴿يُرسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيكُم مِّدرَارا﴾ **وعلاقته محلية،** فقد أراد بالسماء المطر لأن المطر ينزل منها. وأيضاً وجود **العلاقة السببية؛** فالإستغفار كسبب للتوبة تكون نتيجته هطول الأمطار وغفران الذنوب وحلول الخير عليكم.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الملفوظ" استغفروا" الصادر من نوح عليه السلام والموجه إلى قومه، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي على معناه الحرفي الذي سيق له وحمل معنى الدعوة إلى الاستغفار بطريقة الترغيب.

ب-القوة المستلزمة الأولى: النصح والدعوة للتوبة :فدعوة نوح عليه السلام قومه للاستغفار والتوبة من ذنوبهم ومعاصيهم، هذا يعكس رحمة الله ورغبته في هداية الناس وتوبتهم إليه.

ج-القوة الإنجازية الثانية: التذكير بصفة الله عز وجل وهي الرحمة والمغفرة الإلهية.

والملاحظ في خطاب النبي نوح عليه السلام مع قومه أنه لم يخرج في سياق حواره مع قومه عن **مبادئ التأدب،** بل ساق الكلام وفق ما يقتضيه المقام دون أطناب أو تقصير .

4-الأمر:

قال تعالى ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1]

نزلت هذه الآية بعد قوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[2] وهذا بعد أن دامت دعوته قرابة ألف سنة إلا خمسين عاماً إلا أن قومه لم يؤمنوا فنهى عز وجل نبيه عن البأس والحزن عليهم لأنهم أفسدوا في الأرض وكفروا بدعته وبربه، وأمره بصنع السفينة لينجيه هو ومن آمن معه فقد حق عليهم العذاب وأعلمه بطريقة عذابه لهم من خلال أمره بصنع السفينة.

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي" اصنع" من:

1-فعل القول ابتدأت جملة فعل القول من الجملة بعامل حجاجي تمثل في حرف الواو الذي أفاد العطف على ما قبله+ فعل الأمر اصنع+ الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ مفعول به+ جار ومجرور+ العنصر الشخصي المتمثل في ضمير المتكلم نا مضاف إليه وجمع الأعين أفاد التعظيم لا التكثير+ حرف العطف الواو+ الاسم المعطوف في محل نصب الحال+ حرف العطف+ لا الناهية+ الفعل المضارع المجزوم+ الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ نون الوقاية+ والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به+ حرف الجر في+ الاسم الموصول الذين في محل جر الاسم المجرور+ فعل الماضي ظلموا+ الواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ أداة التوكيد إنَّ+ العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المتصل هم في محل نصب اسم إن+ مغرقون خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الواو.

[1]- سورة هود، الآية 37.

[2]- سورة هود، الآية 36.

2-العناصر الإحالية: تمثلت في العناصر الإشارية الشخصية التي تباينت بين المتكلم الله عز وجل وقوم نوح، والضميرين المتصلين في الملفوظين "أَعْيُنِنَا" و "وَحْيِنَا" يشير إلى الله تعالى، أما الضمير المتصل الواو فِي ﴿ **ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ** ﴾ فيحيل إلى الأشخاص الذين ارتكبوا الظلم والعدوان وعاقوا دعوة نوح وهم الكافرين والمعاندين لله، أمّا الضمير المتصل "إِنَّهُم" فهو يشير أيضًا إلى الأشخاص المذكورين في السابق، ويعني "إنهم" بسبب ارتكابهم الظلم وسيكون لهم مصير الغرق في الطوفان العظيم.

3-المحتوى القضوي: أمر الله عز وجل نبيه نوح عليه السلام بصنع السفينة للنجاة من الغريق لأنه قد حق عليهم العذاب، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

ا-الإقتضاء: : عدم إيمان قوم نوح وقضاء الأمر بحلول العذاب عليهم

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي" اصنع " الصادر من الله عز وجل والموجه إلى نبيه نوح عليه السلام، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: حافظ الفعل الكلامي على معناه الحرفي الذي سيق له وحمل معنى الأمر بصنع السفينة. إذن، الأمر هنا حقيقي لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى إذ لا سبيل من صيانة الروح من الغرق إلا به، فيجب كوجوبها، وقل للإباحة وليس لشيء.[1]

وقد أورد الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب هذا التساؤل ما إذا كان الأمر في قوله تعالى ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ أمر إيجاب أو أمر إباحة قال: «الأَظْهَرُ أَنَّهُ أَمْرُ إِيجابٍ؛ لِأَنَّهُ لا سَبِيلَ لَهُ إلى صَوْنِ رُوحِ نَفْسِهِ وأَرْواحِ غَيْرِهِ عَنِ الهَلاكِ إلّا بِهَذا الطَّرِيقِ، وصَوْنُ النَّفْسِ عَنِ الهَلاكِ واجِبٌ، وما لا

[1]- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ،ج6، ص 275.

يَتِمُّ الواجِبُ إلّا بِهِ فَهو واجِبٌ، ويَحْتَمِلُ أنْ لا يَكُونَ ذَلِكَ الأمْرُ أمْرَ إيجابٍ، بَلْ كانَ أمْرَ إباحَةٍ، وهو بِمَنزِلَةِ أنْ يَتَّخِذَ الإنْسانُ لِنَفْسِهِ دارًا لِيَسْكُنَها ويُقِيمَ بِها»[1].

ب–القوة المستلزمة الأولى: إرشاد الله عز وجل وتوجيه نبيه لكيفية صنع السفينة للنجاة من الغرق.

ج–القوة المستلزمة الثانية: جاء هذا الأمر لغاية تعليمية بكيفية صنع السفينة.

5–الوعظ والتذكير:

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[2]

جاءت هذه الآية في سياق حوار النبي صلى الله عليه وسلم وسبحانه تعالى، إذ قال له أنظر يا محمد كيف كانت عاقبة المكذبين – وهم قوم نوح عليه السلام– والخطاب ب"انظر" «يجوز أن يكون لكلِّ من يسمع فلا يُراد به مُخَاطَبٌ مُعيَّن ويجوز أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم فَخُصَّ بالخطاب تعظيما لشأنه بأنَّ الذين كذبوه يوشك أن يصيبهم من العذاب ما أصاب قوم نوح عليه السلام»[3]. والنظر هنا « نَظَرُ عَيْنٍ، نُزِّلَ خَبَرُهم لِوُضُوحِهِ واليَقِينِ بِهِ مَنزِلَةَ المشاهَد»[4] في حين يرى صاحب تفسير روح المعاني أن النظر يكون بالبصر والبصيرة والثاني أكثر عند الخاصة[5] لأن« هَذا

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب،ج17،ص344.

[2]– سورة يونس، الآية 73

[3]– محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج17، ص142.

[4]– محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج17، ص142.

[5]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج6، ص 115.

أمْر باهِر يَتَّعِظُ بِهِ مِن لَهُ بَصِيرَةٌ، سَبَّبَ عَنْهُ أمْرَ أعْلى الخَلْقِ فَهْمًا بِنَظَرِهِ إشارَةً إلى أنَّهُ لا يُعْتَبَرُ بِهِ حَقَّ الِاعْتِبارِ غَيْرُهُ»[1].

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي "فانظر" من:

1-فعل القول: تتكون جملة فعل القول من: فعل الأمر "أنظر"+ الفاعل المتمثل في الضمير المستتر " أنت"+ الرابط الحجاجي المتمثل في اسم الاستفهام" كيف" المبني في محل نصب خبر كان مقدم+ الناسخ" كان" فعل ماض ناقص+ " عاقبة" وهي اسم كان مرفوع+ "المنذرين" مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء.

2-العناصر الإحالية: تمثلت في العناصر الإشارية الشخصية المستترة العائدة إلى النبي نوح عليه السلام وهو ما يحيل إليه الضمير المستتر " أنت".

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية ذكر قصة نوح عليه السلام وتكذيب قومه له وبيان عاقبة تكذيبهم لهم، يترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: ثبات قوم نوح على كفرهم وتكذيبه ورفض الدعوة إلى الإيمان والتوبة بعد إنذارهم، فنجاه الله ومن معه في الفلك، وجعلهم خلفاءً بعد الطوفان على الأرض، في حين أغرق الله الذين كذبوا بآياته ورفضوا الهداية، وفي هذا الصدد يقول صاحب تفسير المحرر الوجيز« فهذه الآيَةِ بيان على أنَّهُ أغْرَقَ جَمِيعَ مَن كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ الَّتِي جاءَ بِها نُوحٌ عَلَيْهِ السَلامُ وهي مُقْتَضِيَةٌ أيْضًا أنَّهُ أنْذَرَهم فَكانُوا مُنْذَرِينَ. »[2].

[1]- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دط، دت، ج9، ص 122.

[2]- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج3، ص 133.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتجسد في علاقة ربط **السبب بالنتيجة،** فبسبب تكذيبهم لنوح عليه السلام والاعراض عن دعوته وتماديهم في الكفر رغم إنذارهم، أغرقهم الله عز وجل ليكونوا عبرة للمنذرين.

4–الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي " انظر" الصادر من الله عز وجل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل الأمر الحقيقي، لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي فضلاً عن دلالته الحرفية إلى معانٍ أحرى مستلزمة من سياق القصة وهي:

ب–القوة المستلزمة الأولى: الوعظ والتذكير بحال الأمم السابقة، والنظر في عاقبة المنذرين الذين كذبوا وذلك لكي يتوبوا ويعودوا إلى الطريق المستقيم قبل فوات الأوان فكانت بذلك داعيةً إلى توحيد الله عز وجل.

ج– القوة المستلزمة الثانية: التأكيد على العدالة والعقاب الإلهي.

د–القوة المستلزمة الثالثة: التحذير والتهويل، حيث قال صاحب تفسير مفاتيح الغيب أن هذه القصة« إذا سمعها من صدَّق الرسول ومن كذب به كانت زجراً للكافرين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثلُ ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمؤمنين على الثبات على الايمان، وليصلوا إلى مثل ما وصل إليه قوم نوح، وهذه طريقة في الترغيب والتحذير»[1]، فجرت هذه القصة على سبيل الحكاية عمن تقدم من الأمم السابقة لتكون أبلغ وسيق هذا الكلام لتهويل ما جرى عليهم وتحذير من كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم.

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص143.

هـ–القوة المستلزمة الرابعة: مواساة الرسول عليه الصلاة والسلام على ما لقيه من أذى من قومه وإظهارٌ لعناية الله عز وجل به.

6-الدعاء:

قال تعالى: ﴿فَالَ رَبِّ ٱنصُرنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾[1]

يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه نوح عليه السلام أنه لما طغا قومه في كفرهم ويئس من إيمانهم بعد ما أوحي ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2] دعا ربه قائلاً ﴿فَالَ رَبِّ ٱنصُرنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ فاستجاب الله له وأمره بصنع السفينة مصداقاً لقوله تعالى ﴿فَأَوحَينَا إِلَيهِ أَنِ ٱصنَعِ ٱلفُلكَ بِأَعيُنِنَا وَوَحيِنَا﴾[3]. ومعنى قوله ﴿ رَبِّ ٱنصُرنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ « انْتَقِمْ مِمَّنْ لَمْ يُطِعْنِي وَلَمْ يَسْمَعْ رِسَالَتِي.»[4] لأن دعائه في هذه الآية ليس بنص «وإنَّما هو ظاهِرٌ مِن قَوْلِهِ "بِما كَذَّبُونِ"، فَهو يَقْتَضِي طَلَبَ العُقُوبَةِ وأمّا النُصْرَةُ بِمَجْرَّدِها فَكانَتْ تَكُونُ بِرَدِّهِمْ إلى الإيمانِ. »[5]

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي "انصرني" من:

[1]– سورة المؤمنون، الآية 26.

[2]– سورة هود، الآية 36.

[3]– سورة المؤمنون، الآية27.

[4]– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964،ج12، ص134.

[5]– أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422، ج4، 141.

1-فعل القول: تتكون جملة الفعل الكلامي من: الفعل الماضي قال+ منادى رب+ فعل الأمر انصرني+ الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ نون الوقاية والياء في محل نصب مفعول به+ حرف الجر الباء+ الإسم المجرور كذبون.

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المحذوف ياء المتكلم إلى النبي نوح عليه السلام، والضمير المستتر في فعل الأمر "انصرني" يحيل إلى الله -عز وجل-،أمّا الفعل الماضي "كَذَّبُونِ" يُحال عليه بواسطة الضمير "بِمَا" ويشير إلى الأشخاص الذين يكذبون النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعوته.

3-المحتوى القضوي: استنجاد النبي نوح عليه السلام بعد طغيان قومه في الكفر وتماديهم في أذيته بالله تعالى وطلب النصر على الذين يكذبونه وينكرون رسالته .ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: تمادي قوم قوح في كفرهم ويأس نوح عليه السلام من دعوتهم.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتجسد في علاقة ربط السبب بالنتيجة، وهو ما يتجلى في تعليل أمره بطلب النصرة ربط الباء السببية بما الموصولة في قوله ﴿**بِمَا كَذَّبُونِ**﴾: **أي بسبب تكذيبهم** إياي انصرني بالذي كذبوني به وهو العذاب الذي وعدتهم إياه ضمن قول[1]﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] ، وسورة الشعراء الآية ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3].

[1]- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج 9، ص228.

[2]- سورة الأعراف، الآية59.

[3]- سورة الشعراء، الآية135.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي " انصرني" الصادر النبي نوح عليه السلام والموجه إلى الله عز وجل، فالأمر هنا غير حقيقي لأنه صادر من الأدنى إلى الأعلى. ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ- القوة الإنجازية الحرفية: حمل الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية معنى الدعاء ، إما الدعاء في مجمله بالنصرة أي: بالانتصاف منهم والانتصار عليهم وهو تغليب المعتدى عليه على المعتدي، أو دعاء عليهم يقتضي طلب العقوبة حسب تفسير المحرر الوجيز.

7-الإلتماس:

قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي في هذه الآية المتمثل في الملفوظ" فتربصوا" ضمن الشبه الخمس التي ادعاها قوم نوح عليه، وهي شبه متسلسلة مترابطة فيما بينها نوجها فيما يلي[2]:

الشبهة الأولى: ما هذا إلا بشر مثلكم ، الشبهة الثانية: ولو شاء الله لأنزل الملائكة ،الشبهة الثالثة: ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين ، الشبهة الرابعة: إن هو إلا رجل به جنة ، الشبهة الخامسة: فتربصوا به حتى حين. ومعنى قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي أن هذا الرجل مجنون فيما يزعمه من ادعاءه النبوة ومن أنه رسول من الله فاصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه[3]. وهذه الشبهة حسب صاحب تفسير مفاتيح الغيب «مِن بابِ التَّرْوِيجِ عَلى العَوامِّ، فَإنَّهُ عَلَيْهِ

[1]- سورة المؤمنون، الآية 25.

[2]- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ، ج5، ص 412.

[3]- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص 412.

الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ يَفْعَلُ أفْعالًا عَلى خِلافِ عاداتِهِمْ، فَأُولَئِكَ الرُّؤَساءُ كانُوا يَقُولُونَ لِلْعَوامِّ: إنَّهُ مَجْنُونٌ، ومَن كانَ مَجْنُونًا فَكَيْفَ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ رَسُولًا»[1].

والملاحظ في خطاب قوم نوح أنهم لم يقولوا أنّه "نبي" ولم ينادوه باسمه، بل اكتفوا بوصفه "رجلا" على خلاف أسلوبه معهم ؛ إذ كان يناديهم بلفظ" قوم". وهذا يدل على القطيعة والجفاء من طرفهم.

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي من:

1–فعل القول: تتكون جملة فعل القول في هذه الآية من: أداة النفي إن+ الضمير هو مبتدأ+ أداة الحصر إلا+ "رجل" خبر هو+ الجار والمجرور به+ جنة مبتدأ مؤخر+ العامل الحاجي الفاء حرف الذي أفاد الإستئناف+ فعل الأمر تربصوا+ الواو في محل رفع الفاعل+ الجار والمجرور به+ العامل الحجاجي "حتى" الذي يفيد الغاية+ الإسم المجرور حين.

2–العناصر الاحالية: " يُشير العنصر الإشاري الشخصي "هو" والهاء في "به" إلى شخص النبي نوح عليه السلام ، ويفيد العامل الحجاجي "الفاء" في الفعل الكلامي التوجيهي "فَتَرَبَّصُواْ" إلى الأمر بالانتظار والصبر، وذلك تجاه النبي نوح عليه السلام والسفينة التي بناها. ويحيل العامل الحجاجي "حتى " انتهاء الغاية الزمنية.، ويفيد العنصر الإشاري الزماني" حين" إلى فترة زمنية غير محددة فهي اسْمٌ لِلزَّمانِ غَيْرِ المِحْدُودِ.

3–المحتوى القضوي: بيان كيف يرد الظالمون والكفار دعوة الأنبياء الحق باتهامهم بما هم براء منه كالجنون وغيره من الإتهامات. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ–الاقتضاء: مجادلة قوم نوح واصرارهم على الكفر وعدم الاعتراف بنبوة نوح عليه السلام.

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص 271.

ب–الاستلزام المنطقي: جاء في قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾، يعني أن نوح عليه السلام هو رجل عادي ولكنه يحمل في داخله رسالة إلهية وسفينة تحمل النجاة والخلاص. بعد ذلك تأتي الجملة ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، وهي تدعو أفرد قوم نوح إلى الإنتظار والصبر على الدعوة والمواجهة مع نوح عليه السلام وسفينته، حتى يحين الوقت المحدد من قبل الله لحدوث الكارثة وتبين الحقائق «وفَرَّعُوا عَلى ذَلِكَ الحُكْمِ أمْرًا لِقَوْمِهِمْ بِانْتِظارِ ما يَنْكَشِفُ عَنْهُ أمْرُهُ بَعْدَ زَمانٍ: إمّا شِفاءٌ مِنَ الجِنَّةِ فَيَرْجِعُ إلى الرُّشْدِ، أوِ ازْدِيادُ الجُنُونِ بِهِ فَيَتَّضِحُ أمْرُهُ فَتَعْلَمُوا أنْ لا اعْتِدادَ بِكَلامِهِ».[1]

4–الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي " فتربصوا" الصادر من أحد أفراد قوم نوح والموجه إليهم ، فالأمر هنا غير حقيقي لأن الطلب جب بالتساوي بين الآمر والمأمور في الرتبة، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: حمل الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية معنى الإلتماس. أي التمسوا له بعض الوقت.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى : التحذير وبيان العاقبة للمشركين الذين كفروا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وبرسالته، وبأنه بشر مثلهم ووسموه بالجنون «فَلَمّا شابَهُوا بِذَلِكَ قَوْمَ نُوحٍ ومَن جاءَ بَعْدَهم ناسَبَ أنْ يُضْرَبَ لَهم بِقَوْمِ نُوحٍ مَثَلٌ تَحْذِيرًا مِمّا أصابَ قَوْمَ نُوحٍ مِنَ العَذابِ، وقَدْ جَرى في أثْناءِ الِاسْتِدْلالِ والِامْتِنانِ ذِكْرُ الحَمْلِ في الفُلْكِ فَكانَ ذَلِكَ مُناسَبَةً لِلِانْتِقالِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ حُسْنُ التَّخَلُّصِ»[2].

[1]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج18، ص 44.

[2]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج18، ص 40.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: السخرية والإستهزاء.

8–الدعوة إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير:

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي في هذه الآية في سياق حوار نوح عليه السلام وابنه، بعد أن قضي أمر الله وجل عليهم العذاب، نادى نوح ابنه بعاطفة الأبوة الركوب في السفينة، وجملة ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ «بيان لجملة نادى وهي ارشاد له ورفقٌ بِه، وأما جملة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ فهي معطوفة على جملة ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ لإعلامه بأنَّ إعراضه عن الرُّكوب يجعله في صَفِّ الكفار إذْ لا يكون إعراضه عن الرُّكوب إلاَّ أثراً لتكذيبه بوقوع الطوفان. فقول نوح عليه السلام لهُ ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ كِنايةٌ عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتَّحذير. وقد زاد ابنه دلالةً على عَدَمِ تصديقه بالطُّوفان قوله متهكِّما﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي ﴾ »[2].

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي "اركب" من:

1–فعل القول: تتكون جملة فعل القول من: أداة النداء "يا"+ المنادى المتمثل في الملفوظ" بُني"+ الضمير المتصل ياء متكلم+ فعل الأمر اركب+ الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ معنا ظرف متعلق باركب ونون الجماعة ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ لا الناهية+ وتكن فعل مضارع ناقص

[1]– سورة هود، الآية 42.

2– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص76.

مجزوم بلا واسمها مستتر تقديره أنت+ ومع ظرف مكان+ مضاف إليه مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: " يُشير العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المتصل "يا" إلى النبي نوح عليه السلام. ويحيل الضمير المستتر أنت في الفعل "اركب" إلى ابن نوح عليه السلام، ونون الجماعة إلى نوح عليه السلام ومن معه من الذين آمنوا.

3-المحتوى القضوي: تدل هذه الآية على الحوار الذي جرى بين نوح عليه السلام وابنه بعد أن حق العذاب وقُضي أمره، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: تمادي ابن نوح في الكفر والإصرار عليه وتكذيب أبيه، وعدم اتباعه سواء في دعوته أو في نصحه بركوب السفينة للنجاة.

ب-الاستلزام المنطقي: يتمثل في علاقة **ربط السبب بالنتيجة،** فبسبب حلول الطوفان، أمر نوح عليه السلام ابنه بالركوب إلى السفينة لغرض إنجائه من الغرق؛ إذن، سبب الأمر الموجه من الأب نوح عليه السلام إلى ابنه هو الطوفان، ونتيجته كانت عدم استجابة الابن لأمر أبيه وغرقه.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي " اركب"، الصادر من نوح عليه السلام والموجه إلى ابنه الكافر، فالأمر حقيقي لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى، غير أن هذا الأمر خرج عن معناه الحقيقي إلى معاني ضمنية مستلزمة. ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: حمل الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية معنى الأمر بالركوب إلى السفينة للنجاة من الغرق، وقد أكد أمره بالنهي عن معايشة الكفار لأن ذلك يُوجب الغرق المتمثل في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ب–القوة الانجازية المستلزمة الأولى: الدعوة إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير، وهو ما ذهب إليه صاحب تفسير التحرير والتنوير بقوله «وجُمْلَةُ ﴿يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا﴾ بَيانٌ لِجُمْلَةِ نادى وهي إرْشادٌ لَهُ ورِفْقٌ بِهِ»[2]، وأمّا جُمْلَةُ ﴿ولا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ﴾ فَهي مَعْطُوفَةٌ عَلى جُمْلَةِ ﴿ارْكَبْ مَعَنا﴾ لِإعْلامِهِ بِأنَّ إعْراضَهُ عَنِ الرُّكُوبِ يَجْعَلُهُ في صَفِّ الكُفّارِ إذْ لا يَكُونُ إعْراضُهُ عَنِ الرُّكُوبِ إلّا أثَرًا لِتَكْذِيبِهِ بِوُقُوعِ الطُّوفانِ[3].

3/–الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة موسى عليه السلام:

1– النصح والإرشاد:

قال تعالى ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[4]

تضمنت هذه الآية فعلاً كلامياً توجيهياً تمثل في الملفوظ "انظر"، الذي جاء في سياق حوار موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، إذ بعثه الله عز وجل إلى قومه بآيات بينات تدل على صدق

[1]– سورة هود، الآية 42.

[2]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص 76

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ج12، ص76.

[4]– سورة الأعراف، الآية 103.

نبوته ودعوته إلا أنهم استكبروا وعاندوا وأصروا على الكفر والضلال، فكان عقابهم أن أغرقهم في اليم. فالخطاب في هذه الآية موجه إلى « لِلنَّبِيِّ صَلّى اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ، أوْ لِكُلِّ مَن يَتَأتّى مِنهُ النَّظَرُ »[1]، والنظر هنا نظر العقل المؤدي إلى العلم والتدبر والبصيرة لا نظر العين[2].

إذن، فالأمر هنا تكمن قصديته في إنذار السامع أو متلقي الخطاب إلى أخذ العبرة من مصير فرعون وقومه، فيكون النصح والإرشاد له عن طريق التهديد، والوعيد، وبيان عاقبة المفسدين، وقد صُدِر فعل الأمر بالعامل الحجاجي الفاء للإفادة بالعطف مع الترتيب والتعقيب؛ أي: أن ظلمهم بنوح عليه السلام وآياته مستتبع لعاقبة هلاكهم والأمر بالنظر إليها.

وكذلك خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنذار والتهديد في قوله تعالى ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[3] ، الذي جاء في سياق حوار هود عليه السلام مع قومه عندما دعاهم إلى عبادة الله عز وجل وترك الأصنام، إلا أنهم عاندوا وتمردوا وطغوا في كفرهم، حاورهم بصيغة الأمر والقصد منه في هذا المقام التهديد والوعيد أيْ «فانْتَظِرُوا عاقِبَةَ أمْرِكم في عِبادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وفي تَكْذِيبِ رَسُولِهِ، وهَذا غايَةٌ في الوُثُوقِ بِما يَحِلُّ بِهِمْ وإنَّهُ كائِنٌ لا مَحالَةَ. »[4]

تتكون جملة الفعل الكلامي التوجيهي "انظر" من:

[1]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج5، ص 18.

[2]- ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 36.

[3]- سورة الأعراف، الآية 71.

[4]- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420هـ، ج5، ص 109.

1-فعل القول تتكون جملة فعل القول من: العامل الحجاجي حرف العطف الفاء الذي أفاد الترتيب والتعقيب+ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت+ "كيف" اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان +وعاقبة اسم كان والمفسدين نعت منصوبة.

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي " أنت" في فعل الأمر انظر إلى كل من يتأتى منه النظر، و «وَضَعَ المفْسِدِينَ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِمْ لِلْإِيذانِ بِأَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْإِفْسادِ»[1].

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية المتمثلة في بيان عاقبة الذين كذبوا برسل الله وبآياته، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: يتجلى الاقتضاء في قصة موسى عليه السلام في بيان العاقبة والعبرة من حال الأمم السابقة التي أفسدت في الأرض، والدعوة إلى النظر في هذه العواقب تحذيراً للمؤمنين من تكرار أخطاء الأمم السابقة، والإلتزام بالطاعة، والإقتداء بالأخلاق الحميدة.

ب-الاستلزام المنطقي: يتجسد في علاقة ربط **السبب بالنتيجة،** وهو ما توضحه الآية التي قبلها ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]. فبسبب خوفهم على مكانتهم ورئاستهم ظلموا وكفروا بآيات موسى وأفسدوا في الأرض فحل عليهم العذاب.

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" انظر" الصادر من الله عز وجل والموجه إلى لكُلِّ مَن يَتَأتّى مِنهُ النَّظَرُ، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

[1]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 5، ص 18.
[2]- سورة الأعراف، الآية 103.

أ–القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي عن دلالته المباشرة إلى معنى النصح والإرشاد عن طريق التهديد والوعيد.

ب–القوة المستلزمة الأولى: التحذير؛ أي تحذير متلقي الخطاب بصفة عامة من الإقتداء بمن سبقوهم من الشعوب والأمم الذين أتوا بالفساد والظلم والعصيان والدعوة إلى أخذ العبرة بما آل إليهم مصيرهم.

2–الإحتقار:

قال تعالى ﴿ فَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[1]

يتمثل **المحتوى القضوي** للآية في حوار المبارزة التي جرت بين موسى عليه السلام والسحرة حين خيروه بين الإلقاء الأول أو الثاني، وكان ابتدائهم بالتخيير في التَّقَدُّمِ «إظْهارًا لِثِقَتِهِمْ بِمَقْدِرَتِهِمْ وأنَّهُمُ الغالِبُونَ، سَواءٌ ابْتَدَأ مُوسى بِالأعْمالِ أمْ كانُوا هُمُ المُبْتَدِئِينَ»[2] غير أن جواب موسى عليه السلام أظهر ثقته بالله عز وجل وتحقيراً لهم بعدم المبالاة بهم فقال عليه السلام ﴿أَلْقُوا﴾ «اسْتِخْفافٌ بِأمْرِهِمْ إذْ مَكَّنَهم مِن مُباداةِ إظْهارِ تَخْيِيلاتِهِمْ وسِحْرِهِمْ؛ لِأنَّ اللَّهَ قَوّى نَفْسَ مُوسى بِذَلِكَ الجَوابِ لِتَكُونَ غَلَبَتُهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أنْ كانُوا هُمُ المُبْتَدِئِينَ أوْقَعَ حُجَّةٍ وأقْطَعَ مَعْذِرَةٍ. »[3].

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة من:

[1]– سورة الأعراف، الآية 116 .

[2]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 48.

[3]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 48.

1-فعل القول من: فعل الماضي قال والفاعل ضمير مستتر تقديره هو+ فعل الأمر ألقوا المبني على حذف النون+ العامل الحجاجي حرف العطف الفاء+ الظرف لما الذي حمل معنى حين مبني في محل نصب+ الفعل الماضي ألقوا مبني على الضم المقدر على الألف والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ فعل الماضي سحروا والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ المفعول به أعين+ الناس مضاف إليه+ فعل الماضي استبهروهم والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل والعنصر الإشاري الشخصي ضمير متصل في محل نصب المفعول به+ بسحر جار ومجرور+ عظيم نعت .

2-العناصر الإحالية: تنوعت الإحالة في العناصر الإشارية الشخصية بين السحرة والنبي موسى عليه السلام، فالضمير المتصل الواو في ألقوا وسحروا والضمير المتصل هم في استبهروهم يحيل إلى السحرة، أما الضمير المستتر في قال فيحيل إلى النبي موسى عليه السلام.

3-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" ألقوا" الصادر من موسى عليه السلام والموجه إلى السحرة، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي عن دلالته المباشرة الإلتماس إلى معنى الإحتقار؛ إذن، موسى عليه السلام كان على يقين تام وثقة بتأييد الله له لذا منحهم الأولوية في الإلقاء احتقاراً لما سيأتون به.

1-فحص مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام:

بعد تتبع وتحليل الأفعال الكلامية الأمرية في قصص الأنبياء، ينكشف لنا عن **تحقق شرط المحتوى القضوي** لهذه الأوامر المتمثلة في قضية دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقومهم للإيمان بالله وتوحيده. فكل أقطاب الخطاب كانوا على علم بالقضية غير أنهم نكروها وكذبوها.

أما بخصوص **الشرط التمهيدي**، فقد تحقق من طرف الأنبياء فقط لأنهم كانوا قادرين على تبليغ رسالة ربهم ودعوة أقومهم لمدة طويلة دون كلل أو ملل، بينما لم يتحقق هذا الشرط من طرف أقومهم لأنهم لم يستجيبوا لأوامرهم، بل أعرضوا عن دعوتهم وأصروا على كفرهم. وكان غير واضح من أن قوم نوح سيكونون قادرين على إنجاز الفعل الموجه لأن كل أوامره قُبلت بالرفض وهو ما يوضحه قوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]. أيضاً قوم إبراهيم عليه السلام لما لم تبق لهم حجة عدلوا إلى الجدال والمناظرة واستعملوا قوة ملكهم وجاههم وهو ما يتجلى في قوله تعالى ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[2].

–شرط الإخلاص: ويتحقق عندما يكون المتكلم« مخلصاً وصادقاً" في أداء الفعل الإنجازي فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل مالا يستطيع»[3]، فنوح عليه السلام وسائر الأنبياء لم يتكلموا إلا بما أوحي إليهم من ربهم مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[4]

–الشرط الأساسي: ويتحقق هذا الشرط عندما يحاول المتكلم التأثير في المتلقي لينجز الفعل، وقد تحقق هذا الشرط في خطابات الأنبياء إلا أن الأفعال الكلامية التوجيهية الأمرية باءت بالفشل فلم

[1]– سورة هود، الآية 36.

[2]– سورة الأنبياء، الآية 68.

[3]– علي محمود حجي الصراف،في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في المعجم السياقي، ص52،53.

[4]– سورة النساء، الآية 163.

تتلق القبول من طرف القوم رغم تنوع وتعدد أساليب دعوته، فالنبي نوح –عليه السلام– مثلاً حاول حث قومه على العبادة والطاعة والتوحيد محاولا التأثير فيهم بأسلوب الترغيب واللطف والتحبيب والإلحاح، لكن قومه لم يتأثروا ولم يتغيروا وأصروا على عنادهم في الكفر فكانت عاقبتهم الهلاك. كذلك الأمر بالنسبة لكل من النبيين إبراهيم وموسى عليهما السلام.

كما نجد اتجاه المطابقة غير متحقق في قصص الأنبياء، وذلك أن دعوة الأنبياء لم تتحقق في ظل إصرار قومه على الكفر، وبالتالي لم تتطابق رسالة الله عز وجل ودعوتهم مع الواقع .

2–فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني:

1– في الخطاب الموجه من إبراهيم عليه السلام إلى ابنه:

أ–المعايير المقالية: وهي المعايير التي تتعلق بالجانب الشكلي لبنية الفعل، وقد تحققت في الخطاب التوجيهي الأمري الصادر من النبي إبراهيم والموجه إلى ابنه اسماعيل عليهما السلام، نوضحه فيما يلي:

1–**اشتمال الجمل على فعل إنجازي توجيهي:** تضمن خطاب إبراهيم عليه السلام مع ابنه فعليين كلاميين توجيهيين أمريين تمثلا في الملفوظين " فانظر" و"افعل"، الأمريين اللذين حملا قوى المشاورة والإذن، فالفعل الكلامي الأول تضمن دلالة مشاورة إبراهيم لإبنه اسماعيل عليهما السلام في قضية الذبح وهوما يوضحه قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿فَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّى أَرَىٰ فِى

ٱلمَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ فَٱنظُر مَاذَا تَرَىٰ﴾[1]، أما الفعل الكلامي الثاني فجاء في جواب ابنه عليه السلام بالإذن لأبيه بالذبح والاستسلام والخضوع والطاعة لأمر الله عز وجل وهو ما يوضحه قوله تعالى على لسان اسماعيل عليه السلام﴿ فَالَ يَٰأَبَتِ ٱفعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ **ٱللَّهُ** مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

2– **وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** وقد تحقق هذا الشرط، فالفاعل في هذا الخطاب هو نفسه المتكلم وهو إبراهيم عليه السلام أما الطرف الموجه إليه الخطاب فهو ابنه إسماعيل عليه السلام.

3–**زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر:** إنَّ خطاب إبراهيم عليه السلام ومع ابنه كان خطاباً مباشراً يقتضي حضور طرفي الخطاب في زمان ومكان واحد

ب–المعايير المقالية: تحققت هذه المعايير في خطاب إبراهيم عليه السلام لابنه وبالتالي نجح الفعل اللغوي في تحقيق غايته، إذْ إنّ الشروط المقالية الواجب توفرها تحققت في الخطاب سنوضحها في النقاط الآتية:

– وجود هناك إتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ حتى يتحقق الفعل المتلفظ به، فكلا من إبراهيم وابنه –عليهما السلام– يعلمان أن رؤيا الذبح هي حق من الله عز وجل وجب تنفيذها، وكانت الحكمة من هذا المحتوى القضوي أنه جاء في صورة منام ولس بوحي «إكْرامًا لِإبْراهِيمَ عَنْ أنْ يُزْعَجَ بِالأمْرِ بِذَبْحِ ولَدِهِ بِوَحْيٍ في اليَقَظَةِ لِأنَّ رُؤى المَنامِ يَعْقُبُها تَعْبِيرُها، إذْ قَدْ تَكُونُ مُشْتَمِلَةً عَلى رُمُوزٍ خَفِيَّةٍ، وفِي ذَلِكَ تَأْنِيسٌ لِنَفْسِهِ لِتَلَقِّي هَذا التَّكْلِيفِ الشّاقِّ عَلَيْهِ وهو

[1]– سورة الصافات، الآية 102.

[2]– سورة الصافات، الآية 102.

ذَبْحُ ابْنِهِ الوَحِيدِ.»[1]، فكان جواب إسماعيل –عليه السلام– الإستسلام لمشيئة الله عز وجل والإذن لأبيه بالذبح؛ هذا يعكس قوة الإيمان بالله عز وجل وطاعته.

– **تحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق في ظروف ملائمة وبواسطة أشخاص مناسبين** وهو ما يظهر في قوله تعالى﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾[2]. فالفظ "أسلما" معناه أن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام «اسْتَسْلَما لِأَمْرِ اللَّهِ فاسْتِسْلامُ إبْراهِيمَ بِالتَّهَيُّؤِ لِذَبْحِ ابْنِهِ، واسْتِسْلامُ الغُلامِ بِطاعَةِ أبِيهِ فِيما بَلَغَهُ عَنْ رَبِّه»[3].

– **قيام الطرفي الخطاب بدورهم دوره على أكمل وجه** وهو ما يدل عليه إنجازية الفعلان الكلاميان "افعل" في قوله تعالى ﴿فَالَ يَٰأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾[4] الذي ترتب عنه إنجازية الطاعة والخضوع لأوامر الله عز وجل، والفعل الكلامي "وتله" في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾[5] ترتب عنه تحقق فعل الذبح غير أن رحمة الله شملت إبراهيم عليه السلام وفداه الله بذبح عظيم.

– **تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل**، فكلا من إبراهيم وابنه عليهما السلام ثبتا على تحقيق فعل الذبح ولم يتراجعا عنه؛ إذن تحقق ثبات الموقف المشاركين مع عدم تحقق إنجاز الفعل الذبح، فقد أفدى الله عز وجل ابراهيم بكبش عظيم مكان ابنه

[1]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج23، ص 151.

[2]– سورة الصافات، الآيات103-105.

[3]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج23،ص152.

[4]–سورة الصافات، الآية 102.

[5]– سورة الصافات، الآية 103.

اسماعيل وهو ما يوضحه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[1] .

– تحقق شرط وجود " أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي ليؤدي فعله بصفة مرضية وهو ما نلمحه في خطاب إبراهيم عليه السلام لابنه حيث صدر نداءه بلفظ "يا بُنَيَّ" المتصلة بياء النسبة ولفظ يا "أبت" الصادر من ابنه إسماعيل عليه السلام الدال على القرب العاطفي.

2– في خطاب آزر مع ابنه إبراهيم عليه السلام:

أ–المعايير المقالية: يمكن توضيح المعايير المقالية المتعلقة بالجانب الشكلي لبنية الفعل من خلال التحليل النموذجي للخطاب التوجيهي الأمري القائم بين إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر:

1–اشتمال الجمل على فعل كلامي توجيهي: اشتمل الخطاب التوجيهي الموجه من آزر إلى إبراهيم عليه السلام على فعل كلامي توجيهي تمثل في الملفوظ" هجرني" الذي حمل دلالة تهديد آزر لابنه إبراهيم عليه السلام بعقوبة طرده من قومه وهجره أمداً بعيداً.

2–وجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم: لم يتحقق هذا الشرط، فالآمر في هذا الخطاب هو آزر أب إبراهيم عليه السلام الآمر بفعل الهجران وهو نفسه المتكلم، غير أن فاعل هذا الفعل ومنفذه هو ابنه إبراهيم عليه السلام، وبالتالي لم يتحقق هذا الشرط في خطاب آزر الموجه إلى ابنه.

3– زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر: فخطاب آزر لابنه إبراهيم عليه السلام كان خطاباً تواصلياً مباشراً بينهما يقتضي الاشتراك في نفس الزمان والمكان، فنداء آزر خاطب ابنه بالنداء "يا

[1]– سورة الصافات، الآيات 103–107.

إبراهيم" مع حضوره غايته «تَنْبِيهَهُ عَلى سُوءِ فِعْلِهِ كَأَنَّهُ في غَيْبَةٍ عَنْ إدْراكِ فِعْلِهِ، فالمتَكَلِّمُ يُنْزِلُهُ مَنزِلَةَ الغائِبِ فَيُنادِيهِ لِإرْجاعِ رُشْدِهِ إلَيْهِ، فَيَنْبَغِي الوَقْفُ عَلى قَوْلِهِ يا إبْراهِيمُ»[1].

ب–المعايير المقامية: لم تتحقق هذه المعايير في خطاب آزر مع ابنه إبراهيم عليه السلام وذلك بسبب اختلال في بعض الشروط، وفيما يلي توضيح لهذه الشروط في خطاب آزر مع إبراهيم عليه السلام:

1–**عدم وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ حتى يتحقق الفعل المتلفظ به؛** وذلك أن قوم إبراهيم وأبيه آزر قد وجدوا آباءهم متواضعين على عبادة الأوثان بدليل قوله تعالى على لسان قوم إبراهيم في ردهم على إبراهيم ﴿فَالُواْ وَجَدنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[2] ، بينما إبراهيم عليه السلام جاء بدين جديد يخالف ما عهدوه وتواضعوا عليه.

2–لم يتحقق شرط تطبيق هذا الإتفاق لا في ظروف ملائمة فكان مقام الخطاب مقام العناد وإصرارٍ على الكفر والطغيان فيه، **ولا بواسطة أشخاص مناسبين** وهم الطرف الثاني الموجه إليهم الخطاب وهم آزر وقومه.

3–**عدم تحقق شرط قيام الطرف المخاطِب بأداء دوره على أكمل وجه** وهو ما يوضحه الفعلان الكلاميان التوجيهيان " واهجرني" و"لأرجمنك" فأمر آزر ابنه بالهجران الذي جاء بمعنى الطرد والخلع

[1]– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ص 119.

[2]– سورة الأنبياء، الآية 53

إشعاراً بتحقيره[1]، بينما قام الطرف المخاطَب وهو النبي إبراهيم بدوره على أكمل وجه حيث قابل قسوة بيه وعناده بلينٍ ولطفٍ مُصدراً كل نصيحة بلفظ" يا أبت" لاستمالة قلبه وتليينه.

4-تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل، فقد تحقق هذا الشرط **بالسلب** بالنسبة لآزر فقد ثبت على موقفه في العناد والإصرار على الكفر وصد نصائح ابنه، **وبالإيجاب** بالنسبة لموقف إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه فقد بقي ثابتاً رغم ما لقيه من فضاضةٍ وغلظةٍ وقسوةٍ.

5-**عدم تحقق شرط وجود " أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي** فلم يحافظ آزر على علاقة الأبوة وهو ما يوضحه قوله تعالى على لسان قول آزر لابنه إبراهيم عليه السلام ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[2]. بينما **تحقق هذا الشرط عند الطرف المخاطَب**- أي الطرف الفعل اللغوي وهو إبراهيم عليه السلام- وهو ما توضحه تصديراته لخطاباته بلفظ النداء "يا أبت"، فقد حافظ عليه السلام في خطاباته على علاقة القرب وأواصل المحبة بين الابن وأبيه.

3- في الخطاب الذي جاء على لسان قوم إبراهيم عليه السلام:

أ-المعايير المقالية: يمكن تفسير المعايير اللغوية والشكلية المتعلقة ببنية الفعل من خلال تحليل الخطاب التوجيهي الأمري الذي جرى على لسان قوم إبراهيم عليه السلام:

[1]- ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج16، ص130

[2]- سورة مريم، الآية 46.

1-**اشتمال الجملة على فعل كلامي توجيهي**: احتوى الخطاب التوجيهي الأمري الصادر عن قوم إبراهيم عليه السلام على فعلين كلاميين توجيهيين وهما حرِّقوه" و "انصروا" اللذين أشارا إلى التحريض على القتل.

2-وجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم: تم استيفاء هذا الشرط، حيث إن الفاعلين في هذا الخطاب هم قوم إبراهيم عليه السلام، وهم نفسهم المتحدثين وهو ما يوضحه الفعل ﴿قالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

3- زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر: فخطاب قوم إبراهيم عليه السلام كان خطاباً تواصلياً مباشرًا يشمل وجودهم في نفس الزمان والمكان، حيث تجلى ذلك من خلال مشاورتهم في مسألة قتله والحوار الذي جرى بينهم.

ب-المعايير المقامية: لم تتحقق هذه المعايير في الخطاب الذي جاء على لسام قوم إبراهيم عليه السلام بسبب عدم استيفاء بعض الشروط، ويمكن توضيح هذه الشروط عبر التحليل التالي للخطاب الذي ورد بين قومه عليه السلام:

1-**وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في الخطاب**: وهو اتفاقهم وتواضعهم على عبادة الأوثان التي كان آباءهم يعبدونها من قبلهم مصداقا لقوله تعالى ﴿قَالُواْ وَجَدنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[1] .

2-**لم يتحقق شرط تطبيق هذا الإتفاق لا في ظروف ملائمة ولا بواسطة أشخاص مناسبين**- وهم النمرود وقوم إبراهيم عليه السلام، فكانت عاقبة إصرارهم على الكفر الهلاك.

[1]- سورة الأنبياء، الآية 53.

3-**لم يقم الطرف المخاطِب بأداء دوره على أكمل وجه** وذلك أن قومه عليه السلام قابلوا نصحه لهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح بالعصيان والإجماع على قتله حرقاً للتخلص منه، بينما قابل عليه السلام عنادهم بتكرير الدعوة ونصحهم، وبالتالي لم تتم عملية التبليغ.

4-**تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون في الخطاب ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل**، فقوم إبراهيم عليه السلام ثبتوا على كفرهم وإجماعهم على قتله عليه السلام إلى غاية إنجاز الفعل وإضرام النار العظيمة، غير أن فعل الحرق لم يتحقق لأن الله عز وجل دعا النار بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم. أما إبراهيم عليه السلام فقد بقي ثابتاً في دعوته لهم رغم ما لقيه منهم من عنادٍ وغضاضةٍ إلى غاية إجماعهم على فعل القتل بالحرق.

5-**لم يتحقق شرط وجود" أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي** بدليل إجماعهم على فعل القتل الشنيع، بينما **تحقق هذا الشرط من طرف النبي إبراهيم عليه السلام** وهو ما نلمحه من ثبات موقفه في دعوتهم إلى عبادة الله عز وجل وترك الأوثان.

4- في خطاب قوم نوح مع بعضهم البعض:

أ-المعايير المقالية: تحققت هذه المعايير في الخطاب الذي جرى بين قوم نوح مع بعضهم البعض ودليل ذلك تحليلنا لبنية الفعل من خلال استخدام التحليل النموذجي للخطاب التوجيهي الأمري الذي جرى بين قوم نوح عليه السلام، وفيما يلي تحليلٌ لأهم الشروط الواجب تحققها لينجح الخطاب:

1-اشتمال الجملة على فعل كلامي توجيهي: وقد تحقق هذا الشرط في خطاب قوم نوح عليه السلام مع بعضهم البعض حينما نعتوه بالجنون فقالوا (إِن هُوَ إِلَّا رَجُلُ بِهِۦ جِنَّة فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ

حَتَّىٰ حِينٍ﴾[1] ، فقولهم "فتربصوا" هو فعل كلامي توجيهي أمري حمل دلالة التماس الوقت له حتى تظهر حقيقته، فكان خطابهم هذا مستأنفاً عن كلام وهو« أَنْ يَقُولُوا لِقَوْمِهِمْ: اصْبِرُوا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا حَقًّا فَاللَّهُ يَنْصُرُهُ وَيُقَوِّي أَمْرَهُ، فَنَحْنُ حِينَئِذٍ نَتَّبِعُهُ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاللَّهُ يَخْذُلُهُ وَيُبْطِلُ أَمْرَهُ، فَحِينَئِذٍ نَسْتَرِيحُ مِنهُ»[2].

2-تحقق شرط وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم: فالمتلفظ بالفعل الكلامي التوجيهي الأمري هو أحد أفراد قوم نوح وهو نفسه من سيقوم بفعل التريث والتماس الوقت مع قومه.

3-تحقق شرط زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر: فخطاب قوم نوح عليه السلام كان تواصلاً مباشرًا يقتضي حضور أطراف العملية التواصلية ومشاركتهم في نفس الزمان والمكان، ومما يُظهر واقعية هذا الاتصال هو الأمر الذي جاء على لسان أحد أفراد القوم للبقية بالتربص به، واستخدام اسم الإشارة " هذا" في قولهم ﴿ما هَذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكم﴾[3] المنصرف إلى نوح عليه السلام الذي يقتضي «أَنَّ كَلامَ المَلَأِ وقَعَ بِحَضْرَةِ نُوحٍ في وقْتِ دَعْوَتِهِ، فَعَدَلُوا مِنَ اسْمِهِ العَلَمِ إلى الإشارَةِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَهم تَصْغِيرُ أمْرِهِ وتَحْقِيرُهُ لَدى عامَّتِهِمْ كَيْلا يَتَقَبَّلُوا قَوْلَهُ»[4]، أيضاً يظهر تحقق هذا الشرط في قوله تعالى ﴿فَقالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ما هَذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكم﴾[5]، فالخطاب هنا خاطب به بعضهم بعضاً «والمَلَأُ هُمُ القَوْمُ ذَوُو السِّيادَةِ والشّارَةِ، أيْ فَقالَ عُظَماءُ القَوْمِ لِعامَّتِهِمْ»[6].

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 25.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص 132.

[3]- سورة المؤمنون، الآية24.

[4]-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج18، ص44.

[5]- سورة المؤمنون، الآية24.

[6]- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج18، ص44.

ب–المعايير المقامية: لفحص مدى تحقق شروط المعايير المقالية وجب توفر شروط هذه المعايير في الخطاب التوجيهي الذي جرى بين أفراد قوم نوح، وفيما يلي تحليل لهذه الشروط:

1–**وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ** وهو اتفاقهم حول صد دعوة نوح عليه السلام وتكذيب الدعوة بعد تكذيب الداعي بدليل ما جاء في قوله تعالى ﴿فَقالَ المَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ما هَذا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكم يُرِيدُ أنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكم ولَوْ شاءَ اللَّهُ لَأنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهَذا فى آبائِنا الأوَّلِينَ﴾[1] .

2–**تحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق** بواسطة الطرف الثاني الموجه إليه الخطاب وهم قوم نوح عليه السلام.

3–**تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل،** فإصرار قوم نوح وعنادهم على الكفر ثبتوا عليه إلى غاية هلاكهم بالغرق، أيضاً ثبات نوح عليه السلام في دعوته لهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فيكون بذلك قد تحقق شرط ثبات الموقف مع عدم تحقق إنجاز فعل الدعوة.

4–عدم تحقق شرط وجود" أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند المنفذ الفعل اللغوي: يمكننا توضيحه ذلك من خلال الآية الكريمة التي وردت في خطاب قوم نوح عليه السلام ﴿إِن هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّة فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِين﴾، يظهر هذا الخطاب أنهم لم يُشيرُوا إلى نبوة نوح عليه السلام أو حتى يُنادوه باسمه، بدلاً من ذلك أشاروا إليه بمصطلح "رجل"، مما يُظهر القطيعة والجفاء من طرفهم وعدم تقديرهم له وعدم تقبلهم لرسالته، وعلى العكس من ذلك فإن نوح عليه السلام في

[1] – سورة المؤمنون، الآية 24.

دعوته لهم استخدم نوح عليه السلام لفظ "يا قوم" الذي يُظهر القرب والاتصال معهم، مما يُظهر تحقق هذا الشرط في دعوته لقومه.

5- في الخطاب الموجه من النبيين نوح وإبراهيم عليهما السلام لقومهما:

أ-المعايير المقالية: لفحص مدى تحقق هذه المعايير في خطاب الأنبياء لأقوامهم وجب علينا تحليل هذا الخطاب التوجيهي وفق هذه المعايير:

1-اشتمال الجمل على فعل إنجازي توجيهي والمتمثل في الملفوظين "أعبد" "فأت" الموجهين من إبراهيم عليه السلام إلى قومه والنمرود، أما الملفوظات "اعبدوا"، "فأجمعوا"، "أقضوا"، استغفروا" الموجة من نوح عليه السلام إلى قومه.

2- **تحقق شرط كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** فالمتلفظ بهذه الأفعال الكلامية التوجيهية الأمرية هو نفسه المتكلم وهو النبيان نوح وإبراهيم عليهما السلام، غير أن هذا الفعل وجب تنفيذه من طرف قوم النبيين، وبالتالي لم يتحقق هذا الشرط في الخطابات الموجه من النبيين نوح وإبراهيم عليهما السلام.

3-زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر: فخطابات الأنبياء كانت موجة إلى أقوامهم مباشرة في زمن الحاضر كقول نوح عليه السلام ﴿ فَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1]، فهذا الخطاب يظهر مواجهة نوح عليه السلام لقومه وجهاً لوجه وخطابه لهم مباشرة، أيضاً في المناظرة التي جرت بين إبراهيم عليه السلام والنمرود تكشف لنا زمن وقوعها وهو زمن المتكلم الحاضر.

[1]- سورة نوح، الآية 02.

ب–المعايير المقامية: لفحص مدى تحقق شروط المعايير المقالية وجب توفر شروط هذه المعايير في الخطاب التوجيهي الذي جرى النبيان نوح وإبراهيم عليهما السلام وأقوامهما، وفيما يلي تحليل لهذه الشروط:

1-**عدم وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ حتى يتحقق الفعل المتلفظ به،** فكل كلام الأنبياء قُوبل بالرفض والصد مصداقاً لقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[1] .

2-**لم يتحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق في ظروف ملائمة–** ظرف العناد والإصرار على الكفر- **ولا بواسطة أشخاص مناسبين** –وهو الطرف الثاني الموجه إليه الخطاب وهم أقوام الأنبياء.

3–قيام الطرف المخاطِب بدورة على أكمل وجه وهو ما يوضحه قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارًا﴾[2]. بينما لم يقم الطرف الثاني الموجه إليه الخطاب- وهم الأقوام بدورهم بشكل صحيح وملائم في قبول دعوتهم وبالتالي لم تتم عملية التبليغ .

4– تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل، فالنبي نوح عليه السلام مثلاً رغم عنادهم وإصرارهم على الكفر إلا أنه لبث في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ فتحقق ثبات الموقف المشاركين مع عدم تحقق إنجاز الفعل.

5-**عدم تحقق شرط وجود " أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي، بينما تحقق هذا الشرط عند المتلفظ بالفعل اللغوي** وهو ما نلمحه في خطابات الأنبياء المصدرة بلفظ "يا

[1]- سورة نوح ،الآية07.

[2]- سورة نوح، الآية 05.

قوم" المتصلة بياء النسبة ولفظ يا "أبت" الدال على القرب العاطفي ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، وقوله أيضا على لسان إبراهيم ﴿ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[2] ، فالخوف حالة نفسية شعورية اختلجت نفس الأنبياء صلوات الله عليهم لأنه يعلمون علم اليقين عاقبة تكفير قومهم وما كان إلحاحهم عليهم للأيمان إلا خوفاً عليهم من عاقبة أعمالهم.

6- الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى نبيه نوح عليه السلام:

أ-المعايير المقالية: لفحص مدى تحقق الشروط المقالية في الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى نبيه نوح عليه السلام وجب تحليل الخطاب التوجيهي الأمري الصادر جل جلاله إلى نبيه عليه السلام المتمثل في قوله تعالى ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[3] ، وفيما يلي تحليلٌ لهذا الخطاب وفق الشروط المقالية:

1-**تحقق شرط اشتمال الجملة على فعل إنجازي** توجيهي أمري تمثل في الملفوظ" اصنع" الذي حمل دلالة الأمر على وجه الاستعلاء بصنع السفينة.

2-**عدم تحقق شرط وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو نفسه المتكلم،** فالمخاطِب في هذا الخطاب هو الله عز وجل الآمر على وجه الاستعلاء نبيه نوح عليه السلام بصنع السفينة، ففاعل هذا الفعل اللغوي "اصنع" هو المخاطَب الموجه إليه الخطاب وهو النبي نوح وليس المتكلم.

[1]- سورة الأعراف، الآية 59.

[2]- سورة مريم، الآية 44.

[3]- سورة هود، الآية 37

3-**زمن الفعل المتكلم هو زمن الحاضر**: جاء فعل الأمر موجهاً إلى نوح عليه السلام عن طريق الوحي، فالفعل الكلامي التوجيهي يكون بذلك داخلٌ في الموحى به «فدَلَّ عَلى أنَّ اللَّهَ أوْحى إلَيْهِ كَيْفِيَّةَ صُنْعِ الفُلْكِ كَما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ :ووَحْيِنا، ولِذَلِكَ فَنُوحٌ – عَلَيْهِ السَّلامُ – أوَّلُ مَن صَنَعَ الفُلْكَ ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَعْرُوفًا لِلْبَشَرِ وكانَ ذَلِكَ مُنْذُ قُرُونٍ لا يُحْصِيها إلّا اللَّهُ تَعالى»[1].

ب-المعايير المقالية: تحققت هذه المعايير في خطاب الله عز وجل لنبيه نوح عليه السلام، حيث تم تحقيق جميع الشروط وبالتالي نجاح الفعل اللغوي في تحقيق غايته وهو صنع السفينة للنجاة، غير أن الفعل اللغوي الحامل إلى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته فشل في خطاب نوح عليه السلام لقومه، فالخطاب التوجيهي الأمري الصادر من الله عز وجل إلى نبيه نوح عليه السلام جاء بعد أن أيقن نوح عليه السلام بعدم إيمان قومه مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2]، وفيما يلي توضيح لهذه الشروط:

1-تحقق شرط وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في الخطاب حتى يتحقق الفعل المتلفظ به، فالنبي نوح عليه السلام يعرف أن خطاب الأمر من الله عز وجل بصنع السفينة واجب التنفيذ على وجه الإلزام لا رجوع فيه وما عليه إلا التنفيذ.

2-**تحقق شرط تطبيق هذا الفعل اللغوي وفي ظروف ملائمة وبواسطة أشخاص مناسبين:** فقد تحقق شرط تنفيذ هذا الفعل اللغوي التوجيهي "اصنع" من قبل النبي نوح عليه السلام في ظروف مناسبة وهي ظروف النجاة من الطوفان.

3-قيام الطرف المخاطِب وهو النبي نوح عليه السلام بأداء دوره على أكمل وجه في دعوته لقومه وهوما يوضحه قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً

[1] – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص 66.

[2] –سورة هود، الآية 36.

وَنَهَارًا﴾[1]، بينما لم يقم قومه عليه السلام بدورهم بشكل صحيح وملائم في قبول دعوته وبالتالي لم تنجح عملية التبليغ، فكان نتيجة فشل هذا التبليغ خطاب الله عز وجل على وجع الاستعلاء نبيه بصنع السفينة للنجاة من الهلاك الذي لا مفر منه.

4-**تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل،** فقد تم إنجاز فعل صنع السفينة من طرف نوح عليه السلام وبقاء قومه ثابتين على كفرهم فحل عليهم عذاب الله.

5- **تحقق شرط وجود " أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي** ليؤدي فعله بصفة مرضية وهو ما نلمحه في خطابات النبي نوح عليه السلام المصدرة بلفظ "يا قوم" المتصلة بياء النسبة، هذا النداء يَنُمُ عن القرب العاطفي والاهتمام بشأنهم ومثال ذلك قوله تعالى ى﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] ، فالخوف حالة نفسية شعورية اختلجت نفس النبي نوح عليه السلام لأنه يعلم علم اليقين عاقبة تكفير قومه وما كان إلحاحه عليهم للأيمان إلا خوفاً عليهم من عاقبة أعمالهم.

7- الخطاب الموجه من نوح الى ربه عز وجل:

أ-المعايير المقالية: لفحص مدى تحقق الشروط المقالية في الخطاب التوجيهي الأمري الصادر من النبي نوح عليه السلام والموجه إلى الله جلاله المتمثل في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا

[1]- سورة نوح، الآية05.

[2]-سورة الأعراف، الآية 59.

كَذَّبُونِ﴾ [1] وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط المقالية، وفيما يلي تحليل لهذا الخطاب وفق الشروط المقالية:

1-**اشتمال الجملة على فعل إنجازي توجيهي** تمثل في الملفوظ" انصرني" الذي خرج عن دلالته المباشرة إلى معنى الدعاء.

2-**عدم تحقق شرط وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم**: المتكلم- وهو النبي نوح عليه السلام- خاطب جل جلاله ودعاه لنصرته؛ ففاعل فعل النصرة هو الله عز وجل.

3-**زمن الفعل هو زمن المتكلم المخاطب**: جاء دعاء نوح عليه السلام بعد أن ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

ب-المعايير المقامية: لفحص مدى تحقق هذه المعايير في هذا الخطاب التوجيهي وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط المقامية:

1-**وجود اتفاق بين المشاركين في عملية التواصل** وهو عدم إيمان قوم نوح عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى في ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

2-**تحقق شرط تطبيق هذا الفعل اللغوي** من طرف الله عز وجل وذلك بالاستجابة لدعاء نبيه عليه السلام وأمره بصنع السفينة.

[1]- سورة المؤمنون،الآية 26.

[2]- سورة هود، الآية36.

[3]- سورة هود الآية 36.

3-قيام الطرف المخاطِب وهو نوح عليه السلام بأداء دوره على أكمل وجه في دعوته لقومه، وقد سبق وأن عرضنا لهذه النقطة.

4-**تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه نوح عليه السلام ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل**، فقد ثبت عليه السلام في دعوته لقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ودعائه عليه السلام بطلب النصرة من الله عز وجل جاء بعد أن ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]. وعلى الرغم من حلول العذاب على قومه نلمح ثبات موقف نوح في دعوته لابنه حيث قال﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

5- **إن شرط وجود " أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي:** لا يمكننا تطبيقه على النص القرآني بالتفصيل الدقيق- بمعنى تحديد الأفكار والمشاعر والنوايا خاصة وأن مفذ الفعل اللغوب في هذا الخطاب هو الله عز وجل. وبدلاً من ذلك يمكنا فحص هذا الشرط من منظور القصدية عند منفذ الفعل اللغوي، فاستجابة الله عزّ وجل لدعاء نبيه كان لنصرته على قومه.

8- الخطاب الموجه من النبي موسى عليه السلام إلى السحرة:

أ-المعايير المقالية: لفحص مدى تحقق الشروط المقالية في الخطاب التوجيهي الأمري الصادر من النبي موسى عليه السلام والموجه إلى السحرة المتمثل في قوله تعالى﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3].وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط المقالية، وفيما يلي تحليل لهذا الخطاب وفق الشروط المقالية:

[1]- سورة هود، الآية 36.

[2]- سورة هود، الآية 42.

[3]- سورة الأعراف، الآية 116.

1-**اشتمال الجملة على فعل أنجازي توجيهي تمثل في الملفوظ" ألقوا"** الذي حمل دلالة الاحتقار؛ وذلك أن جوابه ب "ألقوا" بعد تخييره في الإلقاء بين الأول والثاني دليلٌ على ثقته عليه السلام بالله عز وجل وتحقيراً لهم بعد المبالاة بهم وبما يصنعون.

2-عدم تحقق شرط وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم: وذلك أن المتلفظ بفعل الإلقاء هو النبي موسى عليه السلام بينما الطرف الثاني الموجه إليه الخطاب هو من ينجز فعل الإلقاء.

3-**زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر**: وذلك استناداً إلى المقام وهو مقام المواجهة بين الطرفين الذي يستدعي حضور كلا من موسى عليه السلام والسحرة في نفس المكان والزمان.

ب-المعايير المقامية: لفحص مدى تحقق هذه المعايير في هذا الخطاب التوجيهي وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط المقامية:

1-عدم وجود اتفاق عرفي متعارف عليه بين المشاركين في عملية الخطاب: فالسحرة وبقية القوم متعارفين على عبادة الآلهة، بينما النبي موسى عليه السلام عبد الواحد الأحد ودعا إلى عبادته وتوحيده.

2-نتيجة **لعدم وجود اتفاق بين طرفي الخطاب** حدثت المبارزة بين موسى عليه السلام والسحرة مصداقا لقوله تعالى ﴿**فَالُوٓاْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦**﴾[1].

3-**تحقق شرط قيام الطرف المُخاطِب بأداء دوره على أكمل وجه** والمتمثل في دعوة موسى عليه السلام فرعون وقومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، غير أن الطرف المخاطَب لم يقم بدوره في قبول

[1]- سورة الأعراف،الآيات115 ،116.

الرسالة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[1].

4-تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون في الخطاب ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل وهو ما نلاحظه في إصرار السحرة على مبارزة موسى عليه السلام مصداقا لقوله تعالى قوله تعالى ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾[2]. أيضاً ثبات موقف موسى عليه السلامُ أثناء إلقاء السحرة لعصيهم وحبالهم رغم ما اختلجه من خوفٍ جراء تحوله عصاه إلى حية تلقف حبالهم وعصيهم فقال له عز وجل ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[3].

5-تحقق شرط وجود "أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي بدليل منح موسى عليه السلام أولوية الإلقاء للسحرة يقيناً ووثوقاً بالله عز وجل وتحقيراً بعدم لمبالاة بهم، أيضاً نلمح مشاعر الخوف التي اختلجت نفس موسى عليه السلام عند تحول عصاه لحية مصداقا لقوله تعالى﴿ قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[4].

9- في الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى محمد صلى الله عليه وسلم:

جاء الخطاب في القصص القرآني موجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على ضربين:

[1]- سورة يونس، الآية75.

[2]- سورة الأعراف، الآية113،114.

[3]- سورة طه- الآية 21.

[4]- سورة طه، الآية 21.

أولاً–خطاب مباشر: وهو خطابٌ من الخاص إلى العام، حيث تضمنت القصص القرآنية رسالة مباشرة وواضحة من الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الرسالة تحمل فيها توجيهات وتعاليم مخصصة للنبي ومجتمعه.

جاء الخطابُ مباشراً للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الفصل التطبيقي في خمس آيات وهي: قال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[1] وفوله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾[3]. وقوله أيضاً سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] . وقد تحققت كل من الشروط المقالية والمقامية في هذا الخطاب ما عدا شرط كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم، وذلك أن المتكلم في هذه الخطابات هو الآمر–وهو الله عز وجل، أما منفذ هذا الأمر فهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[1]– سورة مريم، الآية41.

[2]– سورة البقرة، الآية 285.

[3]– سورة يونس، الآيات71–73.

[4]– سورة العنكبوت، الآية 20.

وعلى الرغم من أن الخطابات كانت مباشرة في الآيات السابقة، إلا أنها في نفس الوقت خطابات ضمنية موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولأمته إما تحذيراً لقومه على أفعالهم، أو وعظاً لهم، أو مواساةً له عليه السلام على ما لقيه من قومه.

ثانيًا: الخطاب الضمني: حيث تم توجيه هذه الرسالة من خلال ذكر قصص الأمم السابقة، وذلك بهدف توجيه تحذير وتهديد قوم النبي صلى الله عليه وسلم ولكل شخص يتلقى هذا الخطاب، وهذا النوع من الخطاب يكون صالحًا لزمان النبي وقومه، وأيضًا صالحًا للأزمنة التي تليه إلى أن تقوم الساعة. وقد جاء هذا الضرب من الخطاب في هذا الفصل التطبيقي في آيتين وهما: قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. وقوله أيضاً ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

8-فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي:

تحققت خصائص الأفعال الكلامية التوجيهية الأمرية في القصص القرآني من حيث أنها **دالة، وإنجازية، وتأثيرية** في كل من الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى أنبياءه، وفي خطاب موسى عليه السلام للسحرة مصداقا لقوله تعالى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[4]. بينما **فشلت الأفعال الكلامية في تحقيق تأثيرها في المتلقي** رغم وضوحها في الخطابات الموجه من الأنبياء إلى أقوامهم بسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر وهو ما يوضحه قوله

[1]- سورة الأعراف، الآية 59.
[2]- سورة العنكبوت، الآية 20.
[3]- سورة العنكبوت، الآية 16.
[4]- سورة طه، الآية 70.

تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[1]. وقوله تعالى على لسان آزر ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[2].

أيضاً من حيث **القصدية**، فإلحاح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أقوامهم كان لغاية تغيير حالهم من الكفر إلى الإيمان، وإنقاذهم من عذاب الله، مستعملين في خطاباتهم ألفاظ وعبارات متعارف عليها بين قوامهم، أما بخصوص خاصية **الحالية والمناسبة** فكانت خطابات الأنبياء مناسبة للمقام حتى يتحقق الفهم وبالتالي القصد من الخطاب.

من خلال ما سبق، يتضح أن أسلوب الأمر هو أحد الأساليب اللغوية المستخدمة في القصص القرآنية كأداة فعالة للتوجيه الأخلاقي، يستخدم لنقل الأوامر والتوجيهات إلى الناس.

يتميز هذا الأسلوب بقوة التعبير والإيقاع، مما يعزز من تأثيره وإقناعه للمستمعين. ومع ذلك، فإن عناد أقوام الأنبياء وإصرارهم على الكفر حال دون تحقيق إنجازيته باستثناء موقف المنازلة بين – موسى عليه السلام– والسحرة، وكذلك في الخطاب الموجه من– الله عز وجل– إلى أنبيائه، ويُعد الفعل الكلامي الأمر في القصص القرآني وسيلة فعالة للتأثير على القرّاء والمستمعين، حيث يسهم في نقل القيم والمبادئ والتوجيهات الإلهية بطريقة مباشرة .

[1]– سورة المؤمنون، الآية 26.

[2]– سورة مريم، الآية46.

الفصل الثالث

الفعل الكلامي النهي في القصص القرآني وأثره التداولي

1/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام

2/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة نوح عليه السلام

3/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة عيسى عليه السلام

4/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في صالح عليه السلام

5/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة موسى عليه السلام

6/-الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة محمد صلى الله عليه وسلم

7/-فحص مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام

8/-فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني

9/-فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي

توطئة:

يندرج أسلوب النهي تحت صنف التوجيهيات في الدرس التداولي الحديث، وتحت مُسمى الأساليب الإنشائية في الدرس البلاغي القديم. يهدف هذا الفصل إلى تقديم دراسة تحليلية لنماذج النهي في القرآن الكريم، إذ يُعد النهي – شأنه شأن الأمر – من أساليب الطلب، حيث يشتركان في المرتبة الزمنية والدلالية. إذ يُعد النهي – شأنه شأن الأمر – من أساليب الطلب، حيث يشتركان في المرتبة الزمنية والدلالية. فالأمر هو طلب حدوث الفعل، بينما النهي هو طلب الكف عنه. ومن الناحية التركيبية، يؤدي الأمر وظيفته الدلالية بصيغة الفعل "افعل" وفروعها، وبلام الأمر المقترنة بالفعل المضارع بصيغة "لتفعل"، وكذلك باسم الفعل والمصدر الذي يأتي بديلاً عن التلفظ بالفعل. أما تركيب النهي فله وجه واحد، وهو استخدام 'لا' الناهية مقترنة بالفعل المضارع.

إن المتأمل في القرآن الكريم يلاحظ بوضوح تنوع الأساليب اللغوية، ويبرز من بينها أسلوب النهي بشكل خاص. فهذا الأخير لا يفيد في القصص القرآني مجرد الكف عن الفعل، بل هو صياغة فنية متقنة تتحد مع قوة البيان والتأثير فيظهر كآلية ربانية تسعى لتوجيه الإنسان إلى الخير والاعتدال وذلك من خلال إبراز السلبيات والمخاطر المحتملة في الممارسات الضارة.

يعتمد أسلوب النهي على استخدام كلمات موجزة ذات تأثير عاطفي قوي، تنبعث منه رسائل توجيهية تحث المتلقي على التفكير والتأمل في سلوكه، فيعمل على إبراز العواقب السلبية للأفعال المرفوضة مع إظهار البدائل الإيجابية التي يمكن اتباعها.

وفي هذا السياق يظهر خطاب النهي في القصص القرآني كوسيلة تربوية تقوم بدعوة الإنسان إلى التأمل في تصرفاته، والنظر في تأثيرها على حياته وحياة الآخرين، فالنهي بذلك جزءً لا يتجزأ من رسالة الإصلاح والهداية التي يحملها القرآن الكريم.

1/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام:

1/-النهي :

1- قال تعالى: ﴿ بَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾[1].

تضمن هذا التركيب اللغوي فعلاً كلامياً تمثل في الملفوظ" لا تموتن"، الذي جاء في سياق وصية إبراهيم عليه السلام لابنه إذ قال ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبرَٰهِـمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ [2] ، وكانت نهاية وصيته نهيه عن الموت من غير الاسلام ﴿ بَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ أي «ألزموا الإسلام وداوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا»[3]، فأتى بلفظ وجيزٍ بليغٍ يتضمن المقصود؛ والملاحظ أن النهي في ظاهر الكلام يقع على الموت لأن الموت ليس أمراً اختيارياً إلا أن حقيقة النهي تتمثل في عدم ترك الاسلام والثبات عليه حتى الموت.

وقد بيَّن الزمخشري معنى هذه الآية ووضحها بقوله «فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا، كقولك: لا تصلّ إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته. فإن قلت: فأي نكتة في إدخال حرف النهى على الصلاة وليس بمنهى عنها؟ قلت: النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، فكأنه قال: أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة. وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام

[1]- سورة البقرة الآية 132.

[2]- سورة البقرة، الآية 132.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ج2ص136.

موت لا خير فيه، وأنه ليس بموت السعداء، وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم. وتقول في الأمر أيضا: مت وأنت شهيد. وليس مرادك الأمر بالموت. ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت اعتداداً منك بميتته، وإظهاراً لفضلها على غيرها، وأنها حقيقة بأن يحث عليها.»[1]

وقد دل نداء إبراهيم عليه السلام بنيه بهذه الصيغة " يا بني" على شدة قربهم من نفسه، ورفقاً وشفقةً عليهم حتى لا يظلوا عن ملته، ومضمون الملة التي وصى: أي أن الله جل جلاله وهو ربكم الذي اختيار لكم الدين الكامل وهو دين إبراهيم فهو دينكم ودين الخليقة من بعده هو فأخلصوا الإسلام لله رب العالمين.[2]

تتكون جملة الفعل الكلامي "لا تموتن" من:

1-فعل القول: افتتحت جملة **فعل القول** بالعامل الحجاجي المتمثل في حرف العطف الفاء الرابطة لجواب شرط مقدّر تقديره " إذا كان الأمر كذا"+ لا الناهية الجازمة+ "تموتنّ" فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل رفع الفاعل ونون التوكيد الثقيلة لا محل لها من الإعراب+ "إلا" عامل حجاجي أفاد الحصر+ والواو الحالية+ "أنتم" عنصر إشاري شخصي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ+" مسلمون" خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: تحيل كل من الواو في " لا تموتن"، والعنصر الإشاري الشخصي" أنتم" إلى ذرية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام.

[1]- محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1987،الكشاف للزمخشري.، ج1 ص191، 192.

[2]- محمد أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت،ج1، ص416.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية المتمثلة وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه ويعقوب بأن يلتزموا بالإسلام، وعدم مفارقته حتى الموت. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: يتجلى الاقتضاء في وصية إبراهيم عليه السلام في **تذكير** بني إسرائيل بوصية جدهم، و **تعريضٌ بهم** لإعراضهم عن الإسلام «فعَطْفُ يَعْقُوبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ هُنَا إِدْمَاجٌ مَقْصُودٌ بِهِ تَذْكِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِوَصِيَّةِ جَدِّهِمْ فَكَمَا عَرَّضَ بِالْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْ دِينٍ أَوْصَى بِهِ أَبُوهُمْ عَرَّضَ بِالْيَهُودِ كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمَّا انْتَسَبُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يَعْقُوبُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ نَسَبِهِمْ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ لِتُقَامَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِحَقِّ اتِّبَاعِهِمُ الْإِسْلَامَ. »[1]

ب-الاستلزام المنطقي: ويتجلى في علاقة ربط " **المُسبب بالسبب" وهو استلزام "الشرط"**؛ بمعنى أن الاستلزام المنطقي يشير إلى أن الشرط الازم لحدوث حدث الموت هو أن يكون الشخص مسلماً لأن «الِامْتِناعَ عَنِ الِاتِّصافِ بِتِلْكَ الحالِ يَسْتَتْبِعُ الِامْتِناعَ عَنِ المَوْتِ في تِلْكَ الحالِ.»[2]

وتتحدد علاقة ربط **المُسبب بالسبب** في هذه الآية في **المُسبب** الأول للموت وهو الله تعالى، فهو القادر على الإحياء والموت، ثم **المُسبب** الثاني في النصح والإرشاد وهما إبراهيم ويعقوب عليهما السلام اللذين يوصيان أبناءهم بالإيمان والاستسلام لله، والبقاء على حال الاسلام حين الموت، أما **السبب** فيتجلى في الالتزام بالإيمان والاستسلام لله قبل الوفاة، **مما يعني أن الشرط الضروري** للموت هو أن يكون الشخص مسلمًا ومؤمنًا بالله ومطيعًا له.

وقد حدث فعل التخاطب ضمن العلاقة الخطابية الأفقية المتمثلة في درجة الألفة والمحبة والخوف من الإنزياح عن دين الله، أيضاً إن وصايا هذين النبيين لأبنائهما أتت كتوجيهات رسمية

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج1، ص728.

[2]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ج1، ص387.

وهامة لضمان استمرار الإيمان والعبادة في الأجيال اللاحقة، والحفاظ على التوحيد والاستقامة في الدين.

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تموتن" الصادر من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام والموجه إلى أبناءهما عليهما السلام، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: نهى النبيان إبراهيم ويعقوب عليهما السلام في هذه الآية أبناءهما عن الاتصاف بخلاف حال الاسلام وقت الموت « وقع النهي في ظاهرِ الكلام على الموت وإنما نَهُوا في الحقيقة عن ترك الإسلام لئلَّا يصادفهم الموت وهم عليه فإنه لابد منه وتقديره: لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بالشرك والكفر بالله»[1]. وفضلاً عن دلالته الحرفية خرج هذا الفعل الكلامي التوجيهي إلى معاني أخرى مستلزمة:

ب-القوة المستلزمة: " الوعظ" بالموت " و"التذكير به" وذلك «أنَّ المرْءَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ يَمُوتُ ولا يَدْرِي مَتى، فَإذا أمَرَ بِأمْرٍ لا يَأْتِيهِ المَوْتُ إلّا وهو عَلَيْهِ فَقَدْ تُوَجِّهَ مِن وقْتِ الأمْرِ دائِبًا لازِمًا.»[2]

2- قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [3]

اشتملت هذه الآية على فعل كلامي توجيهي تمثل في الملفوظ "لا تكفر"، الذي جاء في سياق أمر الله تعالى للمؤمنين بذكره وشكره، ونهيه عن الكفر بنعمته وجحدها. فلما فرغ الله تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان النهي عن الكفر، والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب، فمن أطاع الله

[1]- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، ج3، ص .344

[2]- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ،ج1،ص 213.

[3]- سورة البقرة الآية 152

فقد شكره ومن عصاه فقد كفر[1]. والكفرانُ مراتب: أعلاها جحد النّعمة وإنكارها ثم قصدُ إخفائها، ثم السّكوت عن شُكرها غفلةً وهذا أضعف المراتب وقد يُعرضُ عن غير سوء قصدٍ لكنّه تقصير[2]. ومن هنا نخلص إلى أن الآية الكريمة تضمنت ثلاث جمل: جملة الأمر بالذّكر، وجملة الأمر بالشّكر، وجملة النّهي عن الكُفران «فبُدئ أولاً بجملة الذكر لأنه أُريد به الثّناء العامُّ والحمد له تعالى، وذُكر له جَوابٌ مُترتّبٌ عليه، وثنى بجملة الشكر لأنه ثناء على شيء خاص وقد اندرج تحت الأوّل فهو بمنزلة التوكيد، فلم يحتج إلى جواب، وختم بجملة النهي لأنه لما أمر بالشكر لم يكن اللفظ ليدل على عموم الأزمانن ولا يُمكن التّكليف باستحضار الشّكر في كل زمان، فقد يُذهل الإنسان عم ذلك في كثير من الأوقات. ونهى عن الكفران لأن النهي يقتضي لامتناع من المنهي عنه في كل الأزمان وذلك ممكن لأنَّه من باب التُروك»[3]. فأردف عز وجل الأمر بهذا النهي ليُفيد عموم الأزمان، وحذف ياء المتكلم تخفيفاً لتُناسب الفواصل وهذه سمة من سمات الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وقد وعد الله عز وجل شاكريه بمزيد من الخير مصداقاً لقوله تعالى﴿ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[4].

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي " لا تكفرون" من:

1-فعل القول: ابتدأت جملة فعل القول بالعامل الحجاجي "الفاء" التي أفادت التعليل، الرابطة لجواب شرط مقدر تقديره إن تذكروني أذكركم+ فعل الأمر " اذكروا" المبني على حذف النون والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ فعل المضارع" اذكر" المجزوم + الضمير كم المتصل في محل نصب

[1]-ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، دط، 1992، ج1، ص 316.

[2]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج 2، ص51.

[3]- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420هـ، ج2، ص 51.

[4]- سورة إبراهيم، الآية 07

المفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره " أنا"+ العامل الحجاجي حرف الواو الذي أفاد العطف+ فعل الأمر "اشكروا" المبني على حذف النون+ العامل الحجاجي الواو الذي أفاد العطف+ لا الناهية الجازمة+ "تكفروا" الفعل المضارع المجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ نون الوقاية+ الياء المحذوفة في محل نصب مفعول به.

2-العناصر الإحالية: تشير العناصر الإشارية الشخصية الياء في الفعلين " اذكروني" و "اشكروا لي" إلى الله عز وجل، والضمير "كم" يشير إلى الناس المخصوصين بالذكر، أما نون الجماعة المحذوفة في الفعل" لا تكفرونِ" فتحيل إلى النفوس البشرية.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في حث المؤمنين بأهمية ذكر الله وشكره والاستمرار فيه وعدم الكفر به، وتشجيهم بالالتزام بهذه القيم وعدم الانقياد للشك بخصوص وجوده وعبادته. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: يتحدد في العلاقة المتبادلة بين الله عز وجل والمؤمنون، إذ يتعين على المؤمنين أداء أفعال معينة كالذكر والشكر والطاعة وفي مقابل ذكر يعدهم الله بأن يستجيب لهم ويذكرهم.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتجلى في **العلاقة الشرطية** لمتبادلة بين الأحداث والأفعال، وهو ما يوضحه العامل الحجاجي "حرف الفاء" الرابط لجواب شرط مقدر تقديره "إن تذكروني أذكركم".

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تكفرون" التي تتكون حمولته الدلالية من:

-القوة الإنجازية الحرفية: حافظ الفعل الكلامي في هذه الآية على معناه الحرفين فالنهي هنا نهيٌ حقيقي لأنه صُدِرَ مِنْ مَنْ هو أعلى وهو الله عز وجل وموجه إلى من هو أدنى وهو عباده المؤمنين، والفائدة من إرداف الأمر بهذا النهي ليُفيد عموم الأزمان.[1]

3- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾[2]

تمثل الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية في الملفوظ "لا تشرك"، الذي جاء في سياق حكي الله تعالى في كتابه الذكر الحكيم قصة إبراهيم في تفويضه لبناء الحرم الشريف.

وبالرجوع إلى جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة وهو "لا تشرك" نجدها تتشكل من:

1-فعل القول: ابتدأت جملة الفعل الكلامي بالرابط الحجاجي "الواو" الذي أفاد الإستئناف+ "إذ وهي ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب مفعول به لفعل محوف تقديره اذكر+ الفعل الماضي "بوأنا" المبني على السكون ونون ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ الجار والمجرور لإبراهيم لام العلة وإبراهيم مفعول أول لبوئنا+ المفعول به "مكانَ" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "البيت" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ العامل الحجاجي المتمثل في "أن" التفسيرية ولا الناهية الجازمة+ الفعل المضارع " تشرك" المجزوم ب لا وعلامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ الباء حرف جر والياء المتكلم ضمير متصل في محل جر اسم المجرور+ "شيئا" مفعول لأجله وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الزماني "إذ" إلى الحدث الذي وقع في الماضي وهو بناء بيت الله الحرام، وتشير نون الجماعة في الفعل بوأنا إلى عظمة الخالق، أما العنصر الإشاري الشخصي

[1]- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، 1415هـ، ج1، 417.

[2]- سورة الحج، الآية 26.

المتمثل في الضمير " أنت" فيحيل إلى النبي إبراهيم عليه السلام، ولفظة البيت تدل على المكان الذي تم فيه البناء وهو الكعبة .

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية أمر الله عز وجل نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت الحرام وتطهيره ونهيه عن الشرك. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: ضرورة إقامة وبناء بيت الله الحرام لتحقيق العبادة الخالصة وإقامة شرائع الله.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **العلاقة الشرطية** بين بناء البيت وفعل عدم الشرك بالله، لأن «أَصْلُ الدِّينِ هو نَفْيَ الإشْراكِ بِاللَّهِ فَعُلِمَ أنَّ البَيْتَ جُعِلَ مَعْلَمًا لِلتَّوْحِيدِ بِحَيْثُ يُشْتَرَطُ عَلى الدّاخِلِ إلَيْهِ أنْ لا يَكُونَ مُشْرِكًا، فَكانَتِ الكَعْبَةُ لِذَلِكَ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ، لِإعْلانِ التَّوْحِيدِ»[1]

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الملفوظ "لا تشرك" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: نهى الله عزَّ وجل على وجه الاستعلاء نبيه إبراهيم عليه السلام بعدم الشرك به، وأمره بتطهير البيت للطائفين والقائمين والركع السجود؛ فالنهي هنا حقيقي لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى، وقد خرج هذا النهي إلى معانٍ أخرى مستلزمة حسب الطرف الموجه إليه الخطاب وقد اختلف المفسرون فيه:

ب-القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: من المفسرين من ذهب إلى أن المقصود بالخطاب هو إبراهيم عليه السلام[2]، فجاءت هذه الآية «طعنٌ على من أشرك من قُطان البيت، أي هذا كان الشَّرط على أبيكم فمن بعده أنتم فلم تفُوا بل أشركتم»[1].

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج17، ص 241.

[2]- ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج12، ص 37. وينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: ومن المفسرين من ذهب إلى أن المخصوص بالخطاب هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والغاية من الآية «تقريعٌ وتوبيخٌ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أوّل يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فَذَكَرَ تعالى أنّه بوأ إبراهيم مكان البيت، أي: أرشده إليه وسلَّمه له وأذن له في بنائه. »[2]. والأمر الذي لا يتخلف فيه اثنان أن عدم الشرك بالله هو أصل الدين وركن من أركانه، فالبيت الشريف هو معلمٌ للتوحيد بحيث يُشترط على الداخل إليه أن لا يكون مُشركاً ، وكانت الكعبة أول بيت وُضع للناس لإعلان التوحيد وهو ما يُبينه قوله تعالى في سورة آل عمران في قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكا وَهُدى لِّلعَٰلَمِينَ﴾[3].

وما نلاحظه في الآية توظيف مصطلح "التبوئة" بدل " المكان" على الرغم من حملها نفس الدلالة، إلا أنه وظف هذه لفظة دون سواها لغرض توضيح عمق المعنى والمقصد، فكان بذلك سمةً من سمات الإعجاز في النظم القرآني، فالتّبْوئَة: هي الإسكان [4]، وقد تقدم ذكره في سورة يوسف في قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلَأرضِ يَتَبَوَّأُ مِنهَا حَيثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجرَ ٱلمُحسِنِينَ ﴾[5] ، ومنه تبوئته المكان: إذنه بأن يتّخذه مباءةً؛ أي مقراً يبني فيه بيتاً. أما المكان فهو الساحة من الأرض وموضعٌ للكون فيه، فهو فعل مشتق

=117. وينظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد عبد الله ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، ج2، ص 38.

[1]– أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص37.

[2]– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ،ج5، ص 363.

[3]– سورة آل عمران، الآية 96.

[4]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج17، ص 240.

[5]– سورة يوسف، الآية56.

من الكَوْنِ، فوقع بذكر مصطلح "المكان" إيجازٌ في الكلام كأنه قال: إذ أعطيناهُ مكاناً ليتّخذ فيه بيتاً[1].

ووردت قصة إبراهيم بأنه صاحب العهد بتطهير البيت ورفع قواعده في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم: في سورة البقرة، وفي سورة الحج جاءت في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿وَعَهِدنَا إِلَىٰ إِبرَٰهِـمَ وَإِسمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيتِيَ لِلطَّابِٔفِينَ وَٱلعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [2].

قال تعالى: ﴿وَإِذ يَرفَعُ إِبرَٰهِـمُ ٱلقَوَاعِدَ مِنَ ٱلبَيتِ وَإِسمَٰعِيلُ **رَبَّنَا** تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ﴾ [3] .

قال تعالى: ﴿وَإِذ بَوَّأنَا لِإِبرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلبَيتِ أَن لاَّ تُشرِك بِى شَيا وَطَهِّر بَيتِيَ لِلطَّابِٔفِينَ وَٱلقَابِٔمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[4].

3-قال تعالى: ﴿ وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّى آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[5]

انتقل السرد القصصي من قصة موسى عليه السلام إلى قصة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ضمَّن الله عزَّ وجل قصة موسى عليه السلام لوجود التشابه بين أكابر كفار قريش وفرعون وطغيانه « فجعل الله قصة قوم فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل مثلاً لحال المشركين مع النبي صلى

[1]-ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ج17، ص 240.

[2]- سورة البقرة، الآية 125.

[3]- سورة البقرة، الآية 127.

[4]- سورة الحج ،الآية 26.

[5]- سورة الدخان، الآية 19.

الله عليه وسلم، وجعل ما حل بهم من إنذاراً بما سيحل بالمشركين من القحط والبطشة مع تقريب حصول ذلك وإمكانه ويسره وإن كانوا في حالة قوة فإن الله قادر عليهم»[1] كما قال تعالى ﴿وَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2].

وبالرجوع إلى جملة الفعل الكلامي المخصوص بالدراسة وهو "لا تعلوا" نجدها تتشكل من:

1-فعل القول: العامل الحجاجي الواو الذي أفاد العطف+ "أنْ" يجوز أن تكون مفسّرة لأن مجيء الرسل متضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية[3]+ لا الناهية الجازمة+ "تعلوا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ "على اللهِ" على حرف جر واللهِ اسم جلالة مجرور ب على وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ "إنِّي" حرف نصب وتوكيد مبني على الفتح وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسم إنَّ+ "آتِيكُم" فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها الثقل و "كم" ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية "آتيكم" في محل رفع خبر إنَّ+ "بسلطان" الباء حرف جر وسلطان اسم مجرور ب الباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ "مبينٍ" صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخره.

2-العناصر الإحالية: يعود العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير الواو في الفعل "لا تعلوا" على فرعون وقومه. أما العنصر الإشاري الشخصي المتمثل الضمير "كم" في الفعل "آتيكم" فيحيل إلى الطرف الموجه إليه الخطاب وهم فرعون وأتباعه. ويعود العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في ضمير المتكلم "الياء" في إنِّي" إلى المتكلم وهو موسى عليه السلام. يحيل هذا الخطاب إلى قناعته

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج25، ص 294.

[2]- سورة الزخرف، الآية 08.

[3]- ينظر : محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1415هـ،ج9، ص 124.

الشديدة ببرهان ربه ورسالته، ويحيل قوله تعالى ﴿ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[1] إلى المعجزة العظيمة وهي انقلاب عصاه عليه السلام ثعباناً مبيناً[2].

3-المحتوى القضوي: جاء نهي موسى عليه السلام لفرعون وأتباعه على طريقة التحذير على الاستكبار على الله تعالى، وعن عدم اتباع آياته ووجوب الإيمان والتصديق الجازم بحججه وبراهينه[3]. ويترتب على هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: بأن صفة العناد والإصرار على الكفر كانت في أكثر قوم فرعون، والحال نفسه في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في إصرار كفار مكة وهذا المثل « وإنْ كانَ تَشْبِيهًا لِمَجْمُوعِ الحالَةِ بِالحالَةِ فَهو قابِلٌ لِلتَّوْزِيعِ بِأنْ يُشَبَّهَ أبُو جَهْلٍ بِفِرْعَوْنَ، ويُشَبَّهَ أتْباعُهُ بِمَلَأِ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ أوْ يُشَبَّهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بِمُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، ويُشَبَّهُ المسْلِمُونَ بِبَنِي إسْرائِيلَ. وقَبُولُ المثَلِ لِتَوْزِيعِ التَّشْبِيهِ مِن مَحاسِنِهِ»[4].

ب-الاستلزام المنطقي: ويتمثل في علاقة التأكيد، فقد أكد موسى عليه السلام نهيه عن الاستكبار بآيات الله بتقديم حجة واضحة بيِّنة لا ينكرها أي عاقل وهي معجزة العصا واليد، وتوظيف التعبير "بسلطان مبين" دليل على صدق موسى وصدق نبوته ورسالته.

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تعلوا" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: جاء الفعل الكلامي في هذه الآية صادراً من موسى عليه السلام وموجهاً إلى فرعون وقومه، فالنهي هنا إذن، حقيقي لأنه صدر على وجه الاستعلاء، ثم علل نهيه عليه

[1]- سورة الدخان، الآية 19.

[2]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج25، ص297.

[3]- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم ج7، ص231.

[4]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج25، ص295.

السلام بقوله ﴿ إِنِّى ءَاتِيكُم بِسُلطَٰن مُّبِين ﴾[1] أي بحجة بينه واضحة لا ينكرها أي عاقل ولا سبيل إلى إنكارها لأنها واضحة. وقد فسر صاحب كتاب روح المعاني على أنه نهيٌ عن الاستكبار عليه سبحانه والاستهانة بوحيه ورسوله عليه السلام.[2]

ب– القوة الإنجازية المستلزمة: الأولى تضمن هذا الفعل اللغوي معنى **النصح والإرشاد** إلى ضرورة إتِّباع آياته والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه[3]، و**تحذيرهم** من عاقبة الكفر والعصيان كقوله في سورة غافر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِى سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[4].

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: إن ضرب المثل بقصة موسى وقومه **تأييدٌ** للنبي صلى الله عليه وسلم لرسالته، **ووعدٌ** له بالنصرة، **وتهديدٌ** للمشركين بسوء العاقبة كغيرهم من الأمم السالفة.

د–القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: جاء الخطاب الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لمواساته، ولتخفيف الألم النفسي عنه جراء ما لقيه من كبار قريش في مكة.

وقد تكرر هذا الفعل الكلامي في موضع واحد في قوله تعالى ﴿أَلاَّ تَعلُواْ عَلَىَّ وَأتُونِى مُسلِمِينَ﴾[5] ولكنه حمل غير معنى هذه الآية، فقد جاء في سياق مخاطبة سليمان عليه السلام لملكة سبإ، حين بعث بالكتاب مع الهدهد، فذهب الرازي إلى أنه نَهْيٌ عن الانقياد لطاعة النفس والهوى

[1]- سورة الدخان، الآية 19.

[2]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج13، ص120.

[3]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج27، ص659.

[4]– سورة غافر، الآية60.

[5]– سورة النمل، الآية 31.

والتَّكَبُّرِ[1]، في حين فسر صاحب التحرير والتنوير أن هذا الفعل الكلامي خرج عن معناه الحرفي الذي سيق له إلى معنى التهديد لذلك أتبعته ملكة سبإ بقولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾[2]

2/– الدعاء:

قال تعالى ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾[3]

جاءت هذه الآية في سياق دعوات إبراهيم ربه ومناجاته، وكانت هذه الدعوة آخر دعواته عليه السلام التي صدرها بالثناء على الله عز وجل ووصفه بصفاتٍ تليق بجل جلاله، فكانت أول دعوة أن يهبه حكماً، والثانية أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، والثالثة بأن يجعله من ورثة النعيم، والرابعة بأن يغفر لأبيه إنه كان من الضالين، والخامسة الدعاء عن عدم الإخزاء يوم القيامة.

والإخزاء من الخزي وهو الهَوانُ أو من الخِزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار[4]، أي لا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم، وقد علل دعائه بطلب المغفرة له بقوله أنه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[5]؛ فتعليل طلب المغفرة لأبيه فيه إيماء إلى أنّه سأل له مغفرةً خاصةً وهي مغفرة أكبر الذنوب[6] وهي الشرك بالله تعالى وهو ما ترشد اليه الآية في سورة التوبة ﴿ مَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ

[1]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب،ج27، ص 659.

[2]– سورة النمل، الآية32.

[3]- سورة الشعراء، الآية 87.

[4]– ينظر: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، مداريك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998،ج2، ص 569.

[5]– سورة الشعراء، الآية 86.

[6]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، ص147.

إِبرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيم﴾[1] ، ثم بعد ذلك ذكر العلة في سؤاله لذلك اليوم فقال ﴿يَومَ لاَ يَنفَعُ مَال وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَن أَتَى ٱللَّهَ بِقَلب سَلِيم ﴾[2]أي: لا ينفعان أحداً إلاّ مُخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته، أو لا ينفعان إلاّ مالَ من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر ، وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مُطيعين شُفعاء له يوم القيامة[3].

والملاحظ في دعاء إبراهيم عليه السلام أنه كان من دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المتمثل في قوله « اللهم لا تخزني يوم القيامة، ولا يوم البأس، فإن من تخزه يوم البأس فقد اخزيته.»[4]

1-فعل القول تتكون جملة **فعل القول** من العامل الحجاجي " الواو" الذي أفاد العطف+ أداة النهي" لا"+ الفعل المضارع المجزوم " تخزني" والياء مفعول به وفاعله عنصر إشاري شخصي مستتر تقديره " أنت"+ "يوم" ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب مفعول فيه وهو عنصر اشاري أفاد الظرفية الزمانية+ الفعل المضارع " يُبعثون" المبني للمجهول المرفوع بثبوت النون والواو ضمير متصل في محر رفع نائب فاعل.

2-العناصر الإحالية: إحالة إلى الذات المتكلمة وهو ابراهيم عليه السلام بسؤال ربه بعدم الإخزاء يوم القيامة ويوم البعث وهو ما يبينه العنصر الإشاري ياء المتكلم في الفعل "تخزني"، أما العنصر الإشاري "يوم" الذي أفاد الظرفية الزمانية فيشير إلى اليوم الذي سيبعث فيه الناس، و"الواو" ضمير

[1]- سورة التوبة، الآية114.

[2]- سورة الشعراء، الآية88.

[3]- ينظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج4، ص142.

[4]- أبو عبد الرحمن ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، شرح الدعاء من الكتاب والسنة، تح: ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، مطبعة مطبعة السفير، الرياض، ص 536.

متصل يحيل إلى ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين+ ويشير الفعل "يُبعثون" إلى الحدث الذي سيحدث فيه ذلك اليوم وهو يوم بعث الناس من القبور يوم الحساب.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في القضية المتمثلة دعاء إبراهيم ربه بعدم الإخزاء يوم القيامة، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: عدم إيمان أب إبراهيم عليه السلام، وجاء سؤال إبراهيم عليه السلام ربه بصيغة النهي" لا تخزني" دليلاً على أنه «إذا جِيءَ بِأبِيهِ مَعَ الضّالِّينَ لَحِقَهُ انْكِسارٌ ولَوْ كانَ قَدِ اسْتُجِيبَ لَهُ بَقِيَّةُ دَعَواتِهِ فَكانَ هَذا آخَرَ شَيْءٍ تَخَوَّفَ مِنهُ لَحاقَ مَهانَةٍ نَفْسِيَّةٍ مِن جِهَةِ أصْلِهِ لا مِن جِهَةِ ذاتِهِ.»[1]

ب-الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **علاقة السببية،** فما كان دعاء إبراهيم عليه السلام المتمثل في قوله ﴿وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[2] إلا **نتيجةً سببها** كفر أبيه وعناده على الكفر، وكان سؤاله عليه السلام المغفرة لأبيه قبل سؤال أن لا يخزيه الله يوم القيامة «لِأنَّهُ أرادَ أنْ لا يَلْحَقَهُ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يَنْكَسِرُ مِنهُ خاطِرُهُ وقَدِ اجْتَهَدَ في العَمَلِ المبَلِّغِ لِذَلِكَ واسْتَعانَ اللَّهَ عَلى ذَلِكَ وما بَقِيَتْ لَهُ حَزازَةٌ إلّا حَزازَةَ كُفْرِ أبِيهِ فَسَألَ المغْفِرَةَ لَهُ؛ لِأنَّهُ إذا جِيءَ بِأبِيهِ مَعَ الضّالِّينَ لَحِقَهُ انْكِسارٌ ولَوْ كانَ قَدِ اسْتُجِيبَ لَهُ بَقِيَّةُ دَعَواتِهِ، فَكانَ هَذا آخَرَ شَيْءٍ تَخَوَّفَ مِنهُ لَحاقَ مَهانَةٍ نَفْسِيَّةٍ مِن جِهَةِ أصْلِهِ لا مِن جِهَةِ ذاتِهِ»[3].

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تخزني" الصادر من إبراهيم وعليه السلام والموجه الله عز وجل، وعليه لم يحافظ الفعل الكلامي على معناه الحرفي الذي سيق له وتعداه إلى معنى الدعاء ،وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى من نبيه عليه السلام إلى ربه عز وجل، فالمقام هنا إذن، مقام تضرع

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، ص 146.

[2]- سورة الشعراء 87.

[3]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، ص 146.

وخضوع لأن صيغة النهي صادرة من الأدنى إلى الأعلى، وسر التعبير في صيغة النهي في مقام الدعاء في الآية الكريمة هو بيان رغبة النبي إبراهيم عليه السلام وحرصه على أن يحقق الله له دعائه ويجيب طلبه. ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

-القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعل الكلامي على معناه الحرفي الذي سيق له وتعداه إلى معنى أخر مستلزم تمثل في "الدعاء"، وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى من نبيه إبراهيم عليه السلام مُوَجَهاً إلى ربه عز وجل بعد إخزائه يوم القيامة ويوم البعث.

3/-بعث الطمأنينة:

1-قال تعالى:﴿ فَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي في هذه الآية متمثلاً في الملفوظ" لا تخف"، الذي جاء في سياق الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وضيفه إذ قالت الملائكة له لما توجس منهم خيفةً ﴿ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[2]. فالنهي هنا نهيٌ عن شيء وقع في نفسه وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الإطلاع ما لم يجعل لغيرهم[3].

تتكون بنية جملة الفعل الكلامي " لا تخف" من:

1-فعل القول: ابْتُدِأت جملة فعل القول من الفعل " قالوا" وهو فعل ماضي مبني على الضم والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل+ أداة النهي" لا"+ " تخف" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة (فيه إعلال لمناسبة الجزم وأصله تخاف، فلمّا جزم التقى ساكنان فحذفت الألف

[1]- سورة هود الآية، 70.

[2]- سورة هود الآية، 70.

[3]- ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير،ج6، ص 180.

لالتقاء الساكنين) + " الرابط الحجاجي المتمثل في الناسخ "إن"+ "نا" الضمير المتصل في محل نصب اسم إن وجملة أرسلنا خبرها+ فعل الماضي المبني للمجهول " أرسلنا" مبني على الفتح و "نا" ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل+ الجار والمجرور والمضاف إليه إلى قوم لوط.

2-العناصر الإحالية: تحيل العناصر الإشارية الشخصية المتمثلة في الضمائر الواو في الفعل " قالوا" و "نا" في كل من " إنا" و"أرسلنا" إلى الملائكة، والخطاب في " رسلنا" جاء بصيغة الجمع وأقله ثلاثة « فَهَذا يُفِيدُ القَطْعَ بِحُصُولِ ثَلاثَةٍ وأمّا الزّائِدُ عَلى هَذا العَدَدِ فَلا سَبِيلَ إلى إثْباتِهِ إلّا بِدَلِيلٍ آخَرَ، وأجْمَعُوا عَلى أنَّ الأصْلَ فِيهِمْ كانَ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ –، ثُمَّ اخْتَلَفَتِ الرِّواياتُ فَقِيلَ: أتاهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – ومَعَهُ اثْنا عَشَرَ مَلَكًا عَلى صُورَةِ الغِلْمانِ الَّذِينَ يَكُونُونَ في غايَةِ الحُسْنِ، وقالَ الضَّحّاكُ: كانُوا تِسْعَةً، وقالَ ابْنُ عَبّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما –: كانُوا ثَلاثَةً: جِبْرِيلُ ومِيكائِيلَ، وإسْرافِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ. »[1] وهم الملائكة الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[2]، وفي قوله أيضاً ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾[3].

3-المحتوى القضوي: ويمثل في قضية الرسالة التي بعث بها الله عز وجل عن طريق رسله إلى إبراهيم ولوط عليها السلام، فرسالة إبراهيم عليه السلام كانت لتبشيره بالولد ولهذا أُسند إليهم المجيئ دون الإرسال «لِأَنَّهم لَمْ يَكُونُوا مُرْسَلِينَ إلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بَلْ إلى قَوْمِ لُوطٍ لِقَوْلِهِ تَعالى ﴿إنّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمِ لُوطٍ﴾»[4]، أما رسالة لوط عليه السلام فكانت بتسليط العذاب على قومه وهلاكهم. وبترتب عن هذا المحتوى القضوي:

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج 18، ص 371.

[2]- سورة الذاريات، الآية 25.

[3]- سورة الحجر، الآية 51

[4]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص293.

أ–الاقتضاء: تبشير إبراهيم عليه السلام بالولد وبتسليط العذاب على قوم لوط عليه السلام وهلاكهم.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتجسد في **علاقة التأكيد،** وهو ما توضحه الأداة إنَّ في قوله تعالى ﴿إنّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمِ لُوطٍ﴾[1]، فقد أكدرت الملائكة نهيها لإبراهيم عليه السلام بعد الخوف بإخباره بأنهم مرسلون إلى قوم لوط وكان هذا مُكاشفةً منهم بأنهم ملائكة[2]، كما تتضح علاقة أخرى وهي **ربط المُسبِبْ بالسبب،** فحلولهم ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام كان بسبب تبشيره بالولد وإرسالهم إلى قوم لوط، فهذا المجيئ وعدم الأكل نتج عنه توجس إبراهيم عليه السلام الخيفة منهم فجاء قولهم ﴿إنّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمِ لُوطٍ﴾[3] استئنافاً مُبَيناً لسبب مجيئهم.

4–الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تخف" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعل الكلامي التوجيهي المتمثل في نهي الملائكة إبراهيم عليه السلام عن الخوف على دلالته الحرفية، وإنما تعداها إلى النهي عن الخوف في **سبيل بعث الطمأنينة** والهدوء في نفس إبراهيم بعد وقوع الروع والخوف. ويترتب عن هذا الفعل الكلامي أيضاً:

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: يمكن استنتاجها من خلال ما ورد في تفسير التحرير من أن الفعل يتضمن **تنويهاً** إلى مقام إبراهيم عليه السلام عند ربه[4]، فتكون بذلك القوى المستلزمة هي **التنويه.**

[1]– سورة هود الآية 70.

[2]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج 12، ص118.

[3]- سورة هود الآية 70.

[4]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص 116.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: الموعظة والاتعاظ بحال الأمم الماضية، كما تضمنت قصة ضيف إبراهيم أيضاً عبرة البعث بالحياة بعد اليأس والموت.

وقد تكررت قصة ضيف إبراهيم في أربعة مواضع في القرآن الكريم هذا أحدها، وحمل الفعل الكلامي التوجيهي نفس الدلالة في هذه الآية وهي دلالة النهي عن الخوف لبعث الطمأنينة والهدوء في نفس إبراهيم عليه السلام، فوردت في قوله تعالى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨﴾[1]. وفي قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ ﴾[2]. وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَت رُسُلُنَا لُوطا سِىٓءَ بِهِم وَضَاقَ بِهِم ذَرعا وَقَالُواْ لَا تَخَف وَلَا تَحزَن إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهلَكَ إِلَّا ٱمرَأَتَكَ كَانَت مِنَ ٱلغَٰبِرِينَ﴾[3].

والملاحظ استعمال القرآن الكريم في هذه الآيات لفظة الوجل تارة والخوف تارة أخرى، فالوجل: هو استشعار الخوف وهو حالة نفسية تعرض للنفس عند بداية شيء، فالوجل أحد

[1]- سورة الحجر، الآيات 51 –58.

[2]- سورة الذاريات، الآيات 24 – 28.

[3]- سورة العنكبوت، الآية 33.

مقدمات الخوف[1]، ولقد ذُكرت كلمة الوجل عند دخولهم وتسليمهم عليه، وكلمة الإيجاس بالخوف في سياق الامتناع عن الأكل، فتكون بذلك كلا اللفظتين قد أُستعملتا في مكانهما الذي لا يصلح فيه غيرهما.

وما نلاحظه في النص القرآني أن الآيتين اللتين تضمنتا قصة ضيف إبراهيم قد اختلفتا من حيث النظم، ففي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[2] وردت بدون "أن"، بينما وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[3] مع ذكر "أن" لماذا؟

أجاب د. فاضل السامرائي عن هذا في مقال له حيث ذكر أن ورودها كان لأكثر من سبب:[4]

فأولاً :لأن القصة في العنكبوت جاءت مفصلة وذكر تعالى من صفات قوم لوط السيئة ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾[5] ما لم يذكره في سورة هود ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾[6].

[1]- ينظر: الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، ديسمبر 2020، ما الفرق بين الخوف والوجل والشفقة والخشية والرهبة، 2023/10/18- 18:53. https://al-maktaba.org/book/31871/7735..

[2]- سورة هود ،الآية77.

[3]- سورة العنكبوت، الآية33.

[4]ينظر: فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، تدارس القرآن الكريم، 2023/10/18- 18:53.

[5]- سورة العنكبوت، الآيتين28،29.

[6]- سورة هود، الآية 78.

ثانياً :ذكر تعالى أن ضيق لوط بقومه في العنكبوت أكثر وكان ترقّبه للخلاص أكثر وكان برِماً بقومه ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[1].

ثالثاً: ثم أن قوم لوط تعجلوا العذاب في سورة العنكبوت فقالوا ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] ثم دعا لوط ربه أن ينصره عليهم ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، إذن برِم لوط وضيقه بقومه كان أكثر فكأنه استبطأ مجيء العذاب على هؤلاء وهو نفسياً كأنما وجد أن مجيئهم كان طويلاً وتمنى لو أن العذاب جاء عليهم قبل هذا. فهي من حيث التفصيل أنسب ومن حيث عمل السيئات إذا كانت للتوكيد أنسب وإن كانت من ناحية برم لوط فهي أنسب .

وقد عُطِفَ الفعل الكلامي "لا تخف" على الفعل الكلامي التوجيهي " لا تحزن" في قوله تعالى﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[4] للدلالة على «الجمع بين تأمينه من ضُرِّ العذاب وبين إعلامه بأن الذين سيُهلكون ليس أهلاً لأن يحزن عليهم لأنه لا يحزن على من ليس بمؤمن به»[5]. فلا تخف من أن تهلك أنت ومن آمن برسالتك ولا تحزن على أحد ممن نهلكه فقد حق عليهم العذاب. فكان الخوف للمتوقع والحزن للأم للواقع، وعليه فالمعنى لا تخف من تمكنهم منا ولا

[1]- سورة هود ، الآية 77.

[2]- سورة العنكبوت، الآية 29.

[3]- سورة العنكبوت، الآية 30.

[4]- سورة العنكبوت الآية 33.

[5]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد التحرير والتنوير، ج20، ص 245.

تحزن عليهم لعدم اكتراثهم بك وبرسالتك ونهيهم عن الخوف من التمكن إن كان قبل إعلامهم إياه أنهم رسل الله تعالى فظاهر، وإن كان بعد الإعلام فهو لتأنيسه وتأكيد ما أخبروه به.[1]

إذن، كان حزنه متصلاً بوقت مجيئهم إليه وهو ما يوضحه اتصال الحرف "إن" مع الفعل التي أفادت تعجيل الحُزن ذلك أن الخبر بالإنذار كان مُقدماً، أما في سورة هود فحصل تأخير الإنذار[2] – الإنذار بهلاك قوم لوط– فقدموا تأمينه قبل اعلامه بأنهم منزلون العذاب على قوم لوط لتطمينه، فتباينت بذلك دلالة الفعل التوجيهي المباشر بين " النهي" في حرفيته إذا كان الملفوظ قد صدر قبل إعلامهم بأنهم رسل الله، وبين التأنيس، والتطمين ،وتأكيد الخبر إذ كان صادراً من الملائكة بعد إعلامه بأنهم رسل الله.

2– قال تعالى﴿ وَلَآ تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴾[3]

لا زال المحتوى القضوي للآيات في سياق الحديث عن أحداث قصة ضيف إبراهيم، فبعد تبشيره بالولد تعجب فقال ﴿أَبَشَّرتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[4] فجاء ردهم له بقولهم ﴿ فَٱلُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَآ تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴾[5]، ومعنى قوله ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الفانطين﴾ أي: من اليائسين بالولد[6]، وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة، ولم يقولوا من الممترين وإنما قالو من القانطين لأنه عليه السلام أعلى قدراً ومقاماً

[1]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج10، ص 360.

[2]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج25، ص 52.

[3]– سورة الحجر، الآية 55 .

[4]– سورة الحجر، الآية 54.

[5]– سورة الحجر، الآية55.

[6]– ينظر:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص 35.

من الامتراء. وأن تعجبه كان لدهشة وتعجب فقط، فرد عليهم نفيه للقنوط بقوله ﴿قَالَ وَمَن يَقنَطُ مِن رَّحمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلاَّ ٱلضَّالُّون ﴾[1].

تتكون جملة الفعل الكلامي التوجيهي" لا تكن" من:

1-فعل القول: ابتدأت جملة فعل القول بالعامل الحجاجي الفاء الذي أفاد العطف+ لا الناهية الجازمة+ " تكن" فعل مضارع ناقص مجزوم ب لا وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره واسمها ضمير مستتر تقديره "أنت"+ "من القانطين" بمن وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: يحيل الفاعل المتمثل في العنصر الإشاري الشخصي المستتر "أنت" إلى الذات المخَاطبة وهو إبراهيم عليه السلام، ويحيل اسم الفاعل "القانطين" إلى زمرة الأشخاص الذين يفقدون من رحمة الله ويفقدون الأمل منه.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية تبشير الملائكة لإبراهيم عليه السلام بالولد، ونهيه عن القنوط من رحمة الله بعد تعجبه من البشارة وكان قد مسه الكبر، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-الاقتضاء: ويتمثل في خرق العادة لتكون معجزة له وأن تعجبه عليه السلام «تعجبٌ عاديٌ مَبْنِيٌ عَلى سُنَّةِ اللَّهِ تَعالى المِسْلُوكَةِ فِيما بَيْنَ عِبادِهِ جَلَّ وعَلا لا اسْتِبْعادَ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إلى قُدْرَتِهِ جَلَّ جَلالُهُ»[2] فكان مقصده إذن عليه السلام استعظام نعمة الله تعالى.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **استلزام تلزيم النهي على وجه التحذير**، فالملائكة نهت النبي إبراهيم عليه السلام «عَنْ أنْ يَكُونَ مِن زُمْرَةِ القانِطِينَ تَحْذِيرًا لَهُ مِمّا يُدْخِلُهُ في تِلْكَ الزُّمْرَةِ، ولَمْ يَفْرِضُوا أنْ يَكُونَ هو قانِطًا لِرِفْعَةِ مَقامِ نُبُوَّتِهِ عَنْ ذَلِكَ»[1].

[1]- سورة الحجر، الآية 56

[2]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج7، ص 306.

4-الفعل الكلامي الإنجازي: ويتمثل في الملفوظ "لا تكن " الصادر من الملائكة والموجه إلى إبراهيم عليه السلام، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: نهي الملائكة إبراهيم عليه السلام من القنوط من رحمة الله، وترتب عن هذه الدلالة الحرفية أيضاً قوى أخرى مستلزمة تتمثل فيما يلي:

ب-القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: التنبيه والتذكير بقدرة الله وعظمة خلقه فهو القادر على الحلق من دون أبوين كحال خلق آدم عليه السلام وخلق عيسى ابن مريم من دون أب فكيف من عجوز، ومعنى هذا النهي أنه «لَمْ يَذْهَبِ عَنْهُ اجْتِنابُ القُنُوطِ مِن رَحْمَةِ اللَّهِ، ولَكِنَّهُ امْتَلَكَهُ المِعْتادُ فَتَعَجَّبَ فَصارَ ذَلِكَ كالذُّهُولِ عَنِ المِعْلُومِ فَلَمّا نَبَّهَهُ المِلائِكَةُ أدْنى تَنْبِيهٍ تَذَكِيرٍ»[2].

ج-القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: الوعظ الذي جاء على طريقة التهذيب وذلك «لما كان إبراهيم عليه السلام منزهاً من القنوط من رحمة الله جاءوا في موعظته بطريقة الأدب المناسب»[3]، ومثله ما ذُكر في سورة يوسف في قوله ﴿ إِنَّهُۥ لاَ يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[4] ، ونهي الإنسان عن الشيء لا يدل على كون المنهيِّ فاعلاً للمنهيِّ عنه[5] كما في قوله تعالى﴿ وَلاَ تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾[6] وقوله أيضاً﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المشركين﴾[7]

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج14، ص 60.

[2]- المرجع نفسه، ج 14، ص 60.

[3]- المرجع نفسه،ج14، ص60.

[4]- سورة يوسف، الآية 87.

[5]- ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص 151.

[6]- سورة الأحزاب، الآية 01.

[7]- سورة القصص، الآية 87

وهو في هذا المقام كحاله من مقام ما حكاه الله عنه من قوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. وهذا النَّهي كقول الله تعالى لنُوح عليه السلام ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وقد ذكرته الموعظة مقاماً نسيه فقال﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[3] ففي قوله تعالى استفهام «وهو استفهام انكار في في معنى النّفي ولذلك استثنى منه إلاَّ الضالُّون؛ يعني أنّه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله ولكن امتلكه المعتاد فتَّعجب فصار ذلك كالذُّهول عن المعلوم فلما نبهته الملائكة أدنى تنبيه تذكير»[4]. تذكير»[4]. يعني ذلك لم يستنكر ذلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله، فكان مقصده عليه الصلاة "والسلام ، إذن من هذا القول استعظام نعمته تعالى ضمن تعجبٍ عادي المبني على سنة الله تعالى في خلقه لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته.

د–القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: التحذير؛ فنهي الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام من أن يكون من زمرة القانطين تحذيرٌ له ما يدخله في تلك الزمرة[5]، لأن القنوط يفضي إلى القنوط من رحمة الله.

4/–التخويف والتحذير:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[1]

[1]- سورة البقرة، الآية 260

[2]- سورة نوح، الآية 46.

[3]- سورة الحجر، الآية 56.

[4]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج14، ص 60.

[5]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج14، ص60.

تضمنت هذه الآية فعلا كلامياً توجيهياً تمثل في الملفوظ" لا تعبد" الصادر من إبراهيم عليه السلام والموجه إلى أبيه آزر في سياق دعوته إلى عبادة الله تعالى وتوحيده إذ قال لأبيه ﴿لاَ تَعبُدِ ٱلشَّيطَٰنَ﴾، والمراد بعبادة الشيطان عِبَادَةُ «الْأَصْنَامِ عَبَّرَ عَنْهَا بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ إِفْصَاحًا عَنْ فَسَادِهَا وَضَلَالِهَا، فَإِنَّ نِسْبَةَ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ إِلَى الشَّيْطَانِ مُقَرَّرَةٌ فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ، وَلَكِنِ الَّذِينَ يَتْبَعُونَهُ لَا يَفْطِنُونَ إِلَى حَالِهِمْ وَيَتَّبِعُونَ وَسَاوِسَهُ تَحْتَ سِتَارِ التَّمْوِيهِ»[2]، فيكون بذلك قد نهاه عن عبادة الأصنام فكيف تعبد من لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرراً. ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى ﴿أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَٰبَنِى ءَادَمَ أَن 8لاَّ تَعبُدُواْ ٱلشَّيطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُم عَدُوّ مُّبِين ﴾[3] وأيضاً في سورة النساء ﴿إِن يَدعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلاَّ إِنَٰثا وَإِن يَدعُونَ إِلاَّ شَيطَٰانا مَّرِيداً﴾[4]،أي: لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر، ثم علل نهيه بقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ وذلك حين عصا ربه في سجود لآدم فمن أطاع من هو عاصي فقد عصا، فالباعث إلى ذكر معصيته هو تذكيره بشناعته فعله حتى يحترز منه ويكف عنة موالاته وطاعته، والملاحظ في الوصف "عصيا" الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة الفعل كان للدلالة على أن صفة العصيان ملازمة له لا تفارقه وأردفها بصفة "الرحمن" تنبيهاً على أن عبادة الأصنام هي شرك بالله، وهذا الأخير يفضي إلى الخروج من رحمة الله « وَإِظْهَارُ اسْمِ الشَّيْطَانِ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ :إِنَّه كَانَ للرحمان عَصِيًّا، لِإِيضَاحِ إِسْنَادِ الْخَبَرِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَلِزِيَادَةِ التَّنْفِيرِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّ فِي ذِكْرِ صَرِيحِ اسْمِهِ تَنْبِيهًا إِلَى النَّفْرَةِ مِنْهُ، وَلِتَكُونَ الْجُمْلَةُ مَوْعِظَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا»[5].

---

[1]– سورة مريم، الآية 44

[2]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج 16، ص 116.

[3]- سورة يس، الآية 60

[4]- سورة النساء، الآية 117

[5]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج16، ص117.

1-فعل القول: تتكون بنية جملة **فعل القول** للفعل الكلامي "لا تعبد" من: العامل الحجاجي المتمثل في أداة النداء "يا" الذي أفاد التنبيه، وهو حرف نداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب+ المنادى" أبت" منصوب بالفتحة المقدرة على الياء المحذوفة والتاء المتكلم ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ أداة النهي "لا"+ "تعبد" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ المفعول به" الشيطان" منصوب وعلامه نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ أداة النصب "إن" و"الشيطان" اسم إنَّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "كان فعل ماض ناقص مبني على الفتح الظاهرة على آخره واسم كان مستتر تقديرّه كان الشيطانُ"+ "للرحمن" اللام حرف جر و"الرحمن" اسم مجرور ب من وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ الجملة "كان للرحمن" في محل رفع خبر إنَّ+ "عصِياً" خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة لظاهرة على آخره.

2-العناصر الإحالية: تشير أداة النداء للبعيد "يا" إلى الشخص المخاطَب وهو آزر، والبعد هنا هو البعد النفسي والعقائدي، فأب إبراهيم عليه السلام كان معه بين قومه، إلا أنه كان يعامله بقسوة وجفاء فضلاً عن عدم اعترافه بالدِّين الذي جاء به ابنه وبرسالته، وكان نداءه عليه السلام «دَلِيلٌ عَلى شِدَّةِ الحُبِّ والرَّغْبَةِ في صَوْنِهِ عَنِ العِقابِ وإرْشادِهِ إلى الصَّوابِ»[1]. وفي دلالة تكرار هذا العنصر الإشاري الشخصي حرصٌ من النبي إبراهيم عليه السلام لأبيه على تدارك الخطأ والمعصية. ويحيل فعل النهي "لا تعبد" إلى النهي عن الفعل الواجب تجنبه وهو فعل عبادة الشيطان، أما الفاعل المتمثل في العنصر الإشاري الشخصي المستتر المقدر بالضمير "أنت" إلى الذات المخَاطبة وهو نفسه الموجه إليه النهي.

3-المحتوى القضوي: نهي إبراهيم عليه السلام أبيه عن عبادة الشيطان وتحذيره منه. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

[1]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص543.

أ–الاقتضاء: إصرار آزر على كفره وعبادته للأصنام لذلك صَدَر إبراهيم عليه السلام كل خطاباته الموجه إلى أبيه بالنداء، وكان تكرار هذا النداء في الآية لزيادة تأكيد ما أفاده النداء الأول والثاني.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتمثل في علاقة السببية بين النهي عن الفعل كسبب والمُسبب، فنهي إبراهيم عليه السلام أبيه آزر عن عبادة الشيطان كان بسبب عصيان الشيطان لله عز وجل، ونتيجة عدم الكف عن هذا الفعل هو العذاب، لأن معنى قوله تعالى ﴿وَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي: «قَرِينًا تَلِيهِ ويَلِيكَ فِي العَذابِ، فَإنَّ الوِلايَةَ لِلشَّيْطانِ بِهَذا المَعْنى إنَّما تَتَرَتَّبُ عَلى مَسِّ العَذابِ العَظِيمِ»[1]. واستعمال إبراهيم عليه السلام وصف ﴿عَصِيًّا﴾ في تعليله للنهي عن عبادة الشيطان وآثار وسوسته بأنه شديد العصيان «وعَصِيًّا الَّذِي هو مِن صِيَغِ المبالَغَةِ في العِصْيانِ مَعَ زِيادَةِ فِعْلِ كانَ لِلدَّلالَةِ عَلى أنَّهُ لا يُفارِقُ عِصْيانَ رَبِّهِ وأنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنهُ... ولِذَلِكَ اخْتِيرَ وصْفُ الرَّحْمَنِ مِن بَيْنِ صِفاتِ اللَّهِ تَعالى تَنْبِيهًا عَلى أنَّ عِبادَةَ الأصْنامِ تُوجِبُ غَضَبَ اللَّهِ فَتُفْضِي إلى الحِرْمانِ مِن رَحْمَتِه... وإظْهارُ اسْمِ الشَّيْطانِ في مَقامِ الإضْمارِ لِإيضاحِ إسْنادِ الخَبَرِ إلى المسْنَدِ إلَيْهِ، ولِزِيادَةِ التَّنْفِيرِ مِنَ الشَّيْطانِ، لِأنَّ في ذِكْرِ صَرِيحِ اسْمِهِ تَنْبِيهًا إلى النَّفْرَةِ مِنهُ، ولِتَكُونَ الجُمْلَةُ مَوْعِظَةً قائِمَةً بِنَفْسِها»[2].

4–الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي" لا تعبد" الصادر من إبراهيم عليه السلام والموجه إلى أبيه آزر الذي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعل الكلامي التوجيهي "لا تعبد" عن معناه الحرفي الذي سيق له وتعداه إلى:

[1]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8، ص 415.
[2]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص544، 545.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة: لما حاج إبراهيم عليه السلام أبيه آزر صدر نصيحته بحجة تمثلت في قوله ﴿إِذ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعبُدُ مَا لاَ يَسمَعُ وَلاَ يُبصِرُ وَلاَ يُغنِى عَنكَ شَيـئا﴾[1] التي جرت مجرى **التخويف والتحذير**[2] الذي يحمله على النظر في الدلالة، وليس الغاية من هذا الاستفهام الحصول على جواب، وإنما لإبطال الحجة وتفنيد الرأي فكيف تعبد ما لا يسمع ولا يبصر. فاستفهام إبراهيم لأبيه كان لغرض معرفة «السَّبَبِ الْحَامِلِ لأبيه على عبادة الضم وَهُوَ مُنْتَفٍ عَنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْإِغْنَاءُ عَنْهُ شَيْئًا تَنْبِيهًا عَلَى شُنْعَةِ الرَّأْيِ وَقُبْحِهِ وَفَسَادِهِ فِي عِبَادَةِ مَنِ انْتَفَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَوْصَافُ.»[3]، وأرود إبراهيم على أبيه الحجج والدلائل مردوفةً بنصائح أربع وصدر كل واحدة منها بالنداء المتمثل في الملفوظ " يا أبت" توسلاً واستعطافاً لاستمالته قلبه للامتثال لنصائحه. ثم بيَّن له الباعث على هذه النصائح فقال ﴿يَا أَبَتِ إِنّى أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَاب مِّنَ ٱلرَّحمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيطَٰنِ وَلِيّا﴾[4].

بناءً على ما سبق ذكره، نجسد الفعل الكلامي التوجيهي والمتمثل في الملفوظ "لا تعبد" والحجج التي أوردها إبراهيم عليه السلام في نصائحه بالسلم الحجاجي:

[1]– سورة مريم، الآية 42.

[2]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب ، ج21، ص544.

[3]– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 268.

[4]– سورة مريم، الآية45.

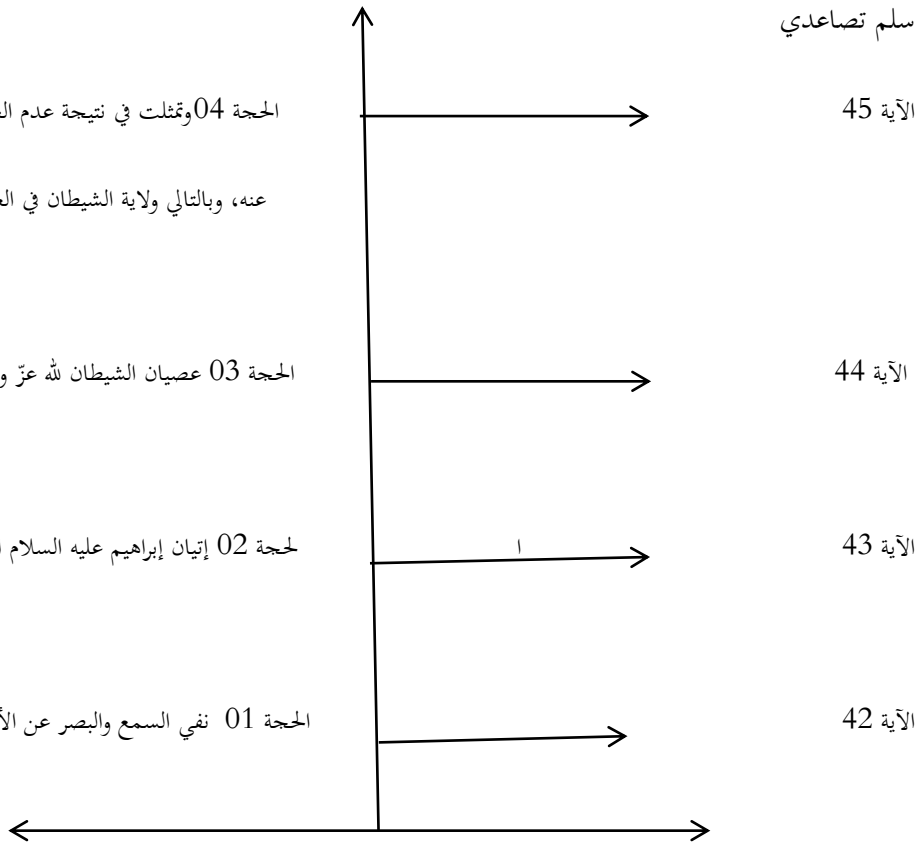

2/–الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة نوح عليه السلام:

1/–الوعظ والتحذير والتعجيز:

قال تعالى ﴿ ثُمَّ لاَ يَكُن أَمرُكُم عَلَيكُم غُمَّة ثُمَّ ٱقضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾[1]

جاء هذا الفعل الكلامي في سياق دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أمره الله عز وجل بأن يتلو على قومه نبأ قوم نوح وما حل بهم من عذاب لتخويفهم ووعظهم.

تتكون جملة الفعلين الكلاميين التوجيهيين "لا يكنْ" ولا تنظرونِ" من:

1–فعل القول: ابتدأت جملة فعل القول بالعامل الحجاجي حرف العطف "ثم" الذي أفاد التراخي « في الزَّمانِ والمِعْنى ثُمَّ لا يَكُنْ حالُكم غَمًّا كائِنًا عَلَيْكم وتَخْلُصُوا بِهَلاكِي مِن ثِقَلِ مَقامِي وتَذْكِيرِي

[1]– سورة يونس، الآية 71

بِآياتِ اللَّهِ تَعالى»[1] + أداة النهي لا+ "يكن" الفعل المضارع المجزوم بلا وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره+ " أمركُم" اسم يكن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره+ "عليكم" جار ومجرور+ "غَمَّةً" خبر يكن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ العامل الحجاجي حرف العطف ثم الذي أفاد التراخي+ فعل الأمر "اقضوا" واو الجماعة ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ الجار والمجرور "إِلَيَّ"+ العامل الحجاجي حرف العطف الذي أفاد الربط+ لا الناهية+" تنظرونِ" وأصله تنظرونني فعل مضارع مجزوم بلا وعلامه جزمه حذف النون والنون للوقاية وياء المتكلم ضمير محذوف في محل نصب مفعول به.

2-العناصر الإحالية: وتتمثل في العامل الحجاجي "ثم" الزمانية التي أفادت التراخي والمهلة، أما العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير "كم" في كل من "أمركم" و"عليكم" فيحيل إلى الطرف الموجه إليه الخطاب وهم قوم نوح عليه السلام، ويفيد العنصر الإشاري الشخصي المستتر المتمثل في الفاعل في الفعل "تنظرون" إلى النبي نوح عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويمثل في خطاب النبي نوح عليه السلام قومه إذ دعاهم بأن يجمعوا أمرهم وشركائهم الذين يعبدونهم من دون الله، وبأن يقضوا عليه بالعقوبة والسوء وبأن لا يمهلونه الوقت، وهذا هو معنى الفعليين الكلاميين التوجيهيين "لا يكن" و" ولا تنظرون"؛ فلا يكن «حالُكم غَمًّا كائِنًا عَلَيْكم وتَخْلُصُوا بِهَلاكِي مِن ثِقَلِ مَقامِي وتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ تَعالى... ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ولا تُنْظِرُونِ ﴾[2] أيْ أدُّوا إلَيَّ ذَلِكَ الأمْرَ الَّذِي تُرِيدُونَ ولا تُمْهِلُونِي عَلى أنَّ القَضاءَ.»[3] ويترتب عن هذا الفعل الدلالي:

[1]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 149.

[2]- سورة يونس، الآية71.

[3]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 149.

أ–الاقتضاء: ثبات قوم نوح عليه السلام على كفرهم وإصرارهم عليه على الرغم من المدة الطويلة التي لبث فيها بينهم يدعوهم إلى الإيمان.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتجسد في **علاقة النتيجة،** لأن الآية الثانية والمتمثلة في قوله تعالى ﴿فَأَجمِعُواْ أَمرَكُم وَشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لَا يَكُن أَمرُكُم عَلَيكُم غُمَّة ثُمَّ ٱقضُواْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1] جاءت جواباً لشرط يسبقها وهو ما يجسده العامل الحجاجي حرف شرط الجازم "إن" في قوله تعالى ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكُم مَّقَامِى وَتَذكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلتُ﴾[2]

4–الفعل الإنجازي: ويتمثل في الجملة الفعلية لا يكن" و"ولا تنظرون" التي تتكون حمولتهما الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: نهى النبي نوح عليه السلام قومه بأن يكون الأمر الذي اجتمعوا عليه مخفياً، ونهاهم أيضاً عن عدم الانتظار في تطبيق ما أجمعوا عليه فالمراد نهيهم «عَنْ تَعاطِي ما يَجْعَلُ ذَلِكَ غُمَّةً فَإِنَّ الأَمْرَ لا يُنْهى ويَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ الأَمْرَ بِالإِظْهارِ... وأَدُّوا إِلَيَّ ذَلِكَ الأَمْرَ الَّذِي تُرِيدُونَ ولا تُمْهِلُونِي.»[3]. وقد خرج الفعلان الكلاميان في هذه الآية إلى معانٍ أخرى وهي:

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: التعجيز، وهو ما نلمحه في خطاب النبي نوح عليه اسلام لقومه في أمرهم بإجماع أمرهم وشركائهم وعدم التأخير في تنفيذ ما أجمعوا عليه «وأَمْرُهُ إِيَّاهُمْ بِإِجْمَاعِ أَمْرِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ مُبَالَاتِهِ بِهِمْ ثِقَةً بِمَا وَعَدَهُ رَبُّهُ مِنْ كِلَاءَتِهِ وَعِصْمَتِهِ»[4]، فالنهي في قوله "ولا تنظرون" أي: لا تُؤَخِّرونِ الذي جاء على طريقة التعجيز[5].

---

[1]- سورة يونس، الآية71.

[2]– سورة يونس ، الآية71.

[3]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج6،ص 149.

[4]– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج6، ص88.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 89.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: لما كان الخطاب موجهاً في بداية الآية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾[1] كان ذلك **تعظيم** لما جرى عليهم، و**تحذيرٌ** لمن أنذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

د–القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: ذهب صاحب تفسير روح المعاني إلى أن الغرض من هذا الفعل الكلامي هو "**المشاورة**"، واعتبر أن النهي هو أمرٌ بالمشاورة أي «أجمعوا أمركم ثم تشاوروا فيه وفيه بَعْدُ لعدم ظهور كلا التَّرتيبين الدالة عليهما.»[2]

هـ–القوة الإنجازية المستلزمة الرابعة: يتضح كم خلال قصة نوح عليه السلام في هذه الآية على **صدق رسالته ونبوته،** فكان أمره لهم بإجماع أمرهم وشراكهم ونهيهم عن اخفاء الأمر وإعلانه وعدم الانتظار، أو التردد في تطبيق ما عزموا عليه إلا دليل وبرهان قاطع وآية عظيمة على صحة رسالته وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه ولا جنود تؤويه[3].

وقد فسر صاحب تفسير مفاتيح الغيب هذه الآية ﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[4] بمعنى «عَجِّلُوا ذَلِكَ بِأَشَدِّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِنْظَارٍ فَهَذَا آخِرُ هَذَا الْكَلَامِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّه تَعَالَى وَأَنَّهُ كَانَ قَاطِعًا بِأَنَّ كَيْدَهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ وَمَكْرَهُمْ لَا يَنْفُذُ فِيهِ... وإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ مِنْهُمْ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَوْفَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ إِمَّا بِإِيصَالِ الشَّرِّ أَوْ بِقَطْعِ الْمَنَافِعِ، فَبَيَّنَ فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ شَرَّهُمْ وَبَيَّنَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا يَخَافُ مِنْهُمْ بِسَبَبِ أَنْ يَقْطَعُوا عَنْهُ خَيْرًا، لِأَنَّهُ مَا أَخَذَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَكَانَ يَخَافُ أَنْ

[1]– سورة يونس، الآية71.

[2]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 6، ص 149.

[3]– ينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000، ص 369.

[4]- سورة يونس، الآية71.

يَقْطَعُوا مِنْهُ خَيْرًا»[1].فقد كان واثقاً بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه، عِلماً منه بأنهم وآلهتهم ليس إليهم نفعٌ ولا ضُرٌّ إلاّ بإذنه تعالى.

و–القوة الإنجازية المستلزمة الخامسة: بما أن الخطاب في بداية الآية موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت هذه الآية تعزيةً له على ما لقيه من قومه وتقويةً لقلبه.

2/–التحذير:

قال تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]

تضمنت هذه الآية فعلاً كلامياً تمثل في الملفوظ" لا تكن"، الذي حاء في سياق دعوة نوح عليه السلام إلى ركوب السفينة بعد أن تمت كلمة الحق وأُلحق بهم العذاب، وقوله ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ أي: «أسلم واركب والظاهر أن معنى الآية أسلم لتستحق الركوب معنا»[3].وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي: لا تكن في البعد عنا فتهلك معهم، فيكون بذلك قد نهاه عن الكون معهم خارج السفينة «ويمكن أن يُراد بالكون معهم الكون على دينهم في الكفر، والأول أولى لأنه عليه السلام بصدد التحذير عن الهلاك فلا يلائمه النهي عن الكفر»[4].

وما نلاحظه في هذه الآية نداء نوح ابنه جاء على صيغة التصغير "بني"، والتصغير هنا تصغير شفقةٍ كونه كالصغير الذي يكون في محل الشفقة والرحمة. وهذا النداء كناية عن دعوته إلى الإيمان

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص285.

[2]- سورة هود ،الآية 42.

[3]– أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن،ج6، ص 185.

[4]– المرجع نفسه،ج6، ص185.

على طريقة التحذير وهو نفس ما ذهب إليه الشوكاني في تفسير" فتح القدير"[1]، والبيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل[2].

1-فعل القول: تتكون جملة **فعل القول** من: العامل الحجاجي أداة النداء والمنادى+ فعل الأمر" اركب" والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت + "معنا" ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف، والنون ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ لا الناهية+ فعل مضارع ناقص مجزوم ب "لا" وعلامة جزمه السكون+ "مع" ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف+ "الكافرين" مضاف إليه مجرور وعلامه جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: تشير العناصر الإشارية المكانية "مع" في لفظتي "معنا" ومع الكافرين" إلى المكان الواجب وجود ابن نوح عليه السلام عن غيره من الأمكنة؛ ففي قوله "معنا" إحالة إلى مكان النجاة ألا وهو السفينة، أما في قوله "مع الكافرين" فيشير إلى نهيه عن البقاء مع الكافرين على اليابسة لأنهم سيهلكون لا محال. أما الفاعل المتمثل في العنصر الإشاري الشخصي المستتر في الفعلين "اركب" و"تكن" المقدر ب"أنت" فيعود على ابن نوح عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية نداء نوح عليه السلام ابنه ودعوته لصعود السفينة للنجاة من الغرق. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: حلول العذاب على قوم لوط وهلاكهم.

[1]- ينظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1414هـ،ج2، ص 567.

[2]- ينظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج3، ص135.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **علاقة التأكيد،** فنهيه من أن يكون في زمرة الكافرين تأكيد للأمر وهو النهي عن معايشة الكفرة والدخول في عهدتهم والتثبت على الكفر.

4–الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل "لا تكن" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: نهي نوح عليه السلام ابنه من البقاء مع الكافرين، وقد خرج هذا الفعل الكلامي عن معناه الأصلي إلى:

ب–القوة الإنجازية المستلزمة: إن نهي نوح عليه السلام ابنه بقوله ﴿وَلاَ تَكُن مَّعَ ٱلكَٰفِرِينَ ﴾[1] يمكن أن يُراد بالكون معهم الكون على دينهم في الكفر[2]، فيكون عليه السلام بذلك بصدد **التحذير** من الهلاك فلا يلائمه النهي عن الكفر لأن العذاب حل.

3/– الدعاء:

قال تعالى:﴿ وَقَالَ نُوح رَّبِّ لاَ تَذَر عَلَى ٱلأَرضِ مِنَ ٱلكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[3]

تضمنت هذه الآية فعل كلامي توجيهي تمثل في الملفوظ " لا تذر"، الذي جاء في سياق دعوة نوح على قومه بعد أن يئس من إيمانهم وكفهم عن الكفر. تشكلت بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي من:

1–فعل القول: حيث ابتدأت جملة فعل القول من العامل الحجاجي "الواو" الذي أفاد العطف+ "قال" فعل ماضي مبني على الفتح الظاهرة على آخره+ "نوحٌ" فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة

[1]- سورة هود، الآية42.

[2]–ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج6، ص185.

[3]- سورة نوح، الآية 26.

الظاهرة على آخره+ "ربِّ" منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة لاشتغال المحل بالحركة ياء المتكلم المحذوفة وهي الكسرة و ياء المتكلم المحذوفة، والياء المحذوفة ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ أداة النهي لا+ "تذرْ" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت"+ "على الأرض" جار ومجرور+ "مِنَ" حرف جر مبني على السكون حرك لالتقاء الساكنين+ "الكافرين" اسم مجرور ب من وعلامه جره الياء لأنه جمع مذكر سالم+ "ديارًا" مفعول به منصوب وعلامة نصبه اليفتحة الظاهرة على آخره.

2-العناصر الإحالية: يشير العنصر الإشاري المتمثل في ياء المتكلم في "رَبِّ" إلى المخَاطِب وهو نوح عليه السلام، أما العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير أنت فيحيل إلى الفاعل وهو الله عز وجل، ويُشير حذف حرف النداء في رَبِّ" والاكتفاء بالمنادى فقط إلى التعظيم والإجلال لله عز وجل.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد علمه بالوحي الإلهي أنهم لا يؤمنون[1]. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: ويتمثل في قضية يقين نوح عليه السلام وتأكده من عدم إيمان قومه وإقلاعهم عن الكفر، وقد علل دعائه هذا بقوله ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهم يُضِلُّوا عِبادَكَ﴾[2] وهو «تَعْلِيلٌ لِسُؤالِهِ أنْ لا يَتْرُكَ اللَّهُ عَلى الأرْضِ أحَدًا مِنَ الكافِرِينَ يُرِيدُ أنَّهُ خَشِيَ أنْ يُضِلُّوا بَعْضَ المؤْمِنِينَ وأنْ يَلِدُوا أبْناءً يَنْشَأُونَ عَلى كُفْرِهِمْ»[3].

[1]- ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003،ج5، ص 444.

[2]- سورة نوح، الآية27.

[3]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج29، ص214.

ب- الاستلزام المنطقي: وتمثل في تقديم **النتيجة على السبب،** فدعاء نوح على قومه بالهلاك وسؤال ربه بأن لا يذر منهم على الأرض كان نتيجةً **لسبب،** وهو خطيئتهم المتمثلة في كثرة ذنوبهم وإصرارهم على الكفر.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي "لا تذر" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: جاء خطاب النهي في هذه الآية صادراً من النبي نوح عليه السلام وموجهاً إلى الله عز وجل، فالنهي هنا نهيٌ غير حقيقي، لأنه صادر من الأدنى إلى الأعلى، وبالتالي حمل معانٍ أخرى مستلزمة نوجزها فيما يلي:

ب-القوة المستلزمة الأولى: يرى صاحب تفسير روح المعاني بأن ليس الغرض من هذا النهي الدعاء وإنما **الإيذان**[1]. لأن الملاحظ في دعاء نوح عليه السلام أنه تأخر عن قوله ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[2]، فالمراد من هذا القول ليس حقيقة الدعاء «بل التشفي وإظهار الرّضا بما كان من هلاكهم بعيدٌ غاية البعد والمعروف أن هذا الدعاء كان قبل هلاكهم والدّيار من الأسماء المستعملة في النفي العام يُقال: ما بالدار ديارٌ أو ديورٌ كقيام وقيوم أي ما بها أحدٌ وهو فيعال من الدّار أو من الدّور كأنه قيل لا تذر على الأرض من الكافرين من يسكن دياراً أو لا تذر عليها منهم من يدور ويتحرك وأصله دَيْوَارٌ اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقُلبت الواو ياءً وأُدغمت الياء في الياء وليس بفعالٍ وإلا لكان دَواراً إذ لا داعي للقلب حينئذٍ»[3].

ج-القوة المستلزمة الثانية: ترى الباحثة في هذا النص القرآني **تقدم النتيجة على السبب؛ فلماذا إذن قدم النتيجة على الدعاء مع وجوب تقديمه لكونه سبباً في هلاكهم وإغراقهم؟ وما الحكمة**

[1]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج 15، ص 88

[2]- سورة نوح، الآية25.

[3]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج 15، ص 88.

من ذلك؟ أجاب أبو السعود عن هذا التساؤل في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بقوله «هذا عطفٌ على نظيره السابق وقوله مما ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[1] اعتراضٌ وسطٌ بين دعاءه عليه السلام للإيذان من أوّل الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطاياهم التي عددها نوح»[2]؛ أي أن هذا التقديم كان إشارة إلى استحقاقهم للإهلاك الذي لا محال منه.

د–المستلزمة الثالثة: "التحذير"، أي تحذير العرب من أن يحل بهم ما حل بقوم نوح عليه السلام.

4/–الإنذار:

قال تعالى:﴿أَن لاَّ تَعبُدُو إِلاَّ ٱللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيكُم عَذَا بَيَومٍ أَلِيم﴾[3]

تمثل الفعل الكلامي في هذه الآية في الفعل " لا تعبد"، الذي جاء في سياق إخبار الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله عز وجل وحده، ونهاهم عن الشرك به وعلل نهيه بقوله ﴿إِنّى أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ أَلِيم﴾؛ وفي قوله هذا تحقيق لمعنى الإنذار واليوم هو يوم القيامة أو يوم الطوفان[4]. ووصف العذاب بالأليم الذي جاء على صيغة "فعيل" لما فيها من

[1]– سورة نوح، الآية25.

[2]– عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ج9، ص 41.

[3]– سورة هود، الآية 26.

[4]–ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج6، ص 166.

* ورد في قوله تعالى ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ "أن" وفيها ثلاثة أوجه من الإعراب سنوردها فيما يلي ونبين ما يترتب على ما بعدها من إعراب « أن: حرف تفسير، ولا ناهية جازمة، والفعل بعدها مجزوم .أن: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا ناهية جازمة، والفعل بعدها مجزوم. والتقدير أنه لا تعبدوا إلا الله .أن حرف ناصب، ولا نافية لا عمل لها، والفعل تعبدوا منصوب بأن » محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، ج6، ص 251.

القوة والشدة والدوام؛ بمعنى هو اليوم الذي يكون فيه العذاب شديداً يبلغ وجعه غاية البلوغ للتعظيم والتهويل.

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي" لا تعبدوا" من:

فعل القول: ابتَّدِأت أداة النصب "أن*"+ لا الناهية+ "تعبدوا" فعل مضارع منصوب بلا وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل+ العامل الحجاجي "إلاَّ" الذي أفاد الحصر+ "اللهَ" لفظ جلالة مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "إنِّي" حرف نصب وتوكيد مبني على الفتح منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة و"الياء" ضمير متصل في محل نصب اسم إنَّ+ "أخاف" فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا+ "عليكم" على حرف جر و "كم" ضمير متصل في محل جر اسم المجرور والجملة الفعلية "أخاف" في محل رفع خبر إنَّ+ "عذابَ" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف+ "يومٍ" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ أليمٍ" صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخره.

العناصر الإحالية: يحيل كل من العنصر الإشاري الشخصي الواو في الفعل "تعبدوا" والضمير "كم" إلى قوم نوح عليه السلام، أما العنصر الإشاري المتمثل في الضمير المستتر "أنا" فيشير إلى متكلم الخطاب وهو النبي نوح عليه السلام، ويحيل وصف "يوم العذاب" وهو مجازٌ عقلي أبلغ من وصف العذاب بالأليم «لِأَنَّ شِدَّةَ العَذابِ لَمّا بَلَغَتِ الغايَةَ جُعِلَ زَمانُهُ أَلِيمًا، أيْ مُؤْلِمًا»[1].

المحتوى القضوي: نهي نوح عليه السلام قومه من الشرك بالله وبإفراد العبادة وحده له جل جلاله، وتحذيرهم من عذاب يوم القيامة. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

[1]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص44

الاقتضاء: إصرار قوم نوح على الكفر، وهو ما يوضحه تأكيده لهم بخوفه عليهم من العذاب في قوله تعالى﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم عَذَا بَيَومٍ أَلِيم﴾[1].

الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **علاقة ربط السبب بالنتيجة،** فسبب نهي نوح عليه السلام قومه عن الشرك خوفه عليهم من عذاب الذي سيتحقق بدوره نتيجة عدم التزامهم بأوامر ونواهي نبيهم عليه السلام، وبربط الآية بما قبلها تتحد **العلاقة التفسيرية** بين قوله تعالى ﴿وَلَقَد أَرسَلنَا نُوحًا إِلَىٰ قَومِهِۦٓ إِنِّى لَكُم نَذِير مُّبِينٌ﴾[2] وقوله تعالى ﴿أَن لاَّ تَعبُدُو ٱإِلاَّ ٱللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيكُم عَذَا بَيَومٍ أَلِيم﴾[3] فجاءت جملة ﴿لاَّ تَعبُدُو ٱإِلاَّ ٱللَّهَ﴾ «مُفَسِّرَةٌ لِجُمْلَةِ أَرْسَلْنا لِأَنَّ الإرْسالَ فِيهِ مَعْنى القَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ، ويَجُوزُ كَوْنُها تَفْسِيرًا لِ نَذِيرٌ لِما في نَذِيرٌ مِن مَعْنى القَوْلِ»[4]

الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تعبدوا" الذي تتكون حمولته الدلالية من:

القوة الإنجازية الحرفية: إن نهي نوح عليه السلام قومه بعدم الشرك بالله ودعوته لهم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده بالعبادة حمل **دلالة الإنذار،** لأن الله تعالى« بين أنَّ ذَلِكَ الإنْذارَ إنَّما حَصَلَ في النَّهْيِ عَنْ عِبادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وفي الأمْرِ بِعِبادَةِ اللَّهِ؛ لِأنَّ قَوْلَهُ ﴿أنْ لا تَعْبُدُوا إلاّ اللَّهَ﴾ اسْتِثْناءٌ مِنَ النَّفْيِ، وهو يُوجِبُ نَفْيَ غَيْرِ المسْتَثْنى»[5]؛ أي نذير لكم بأن لا تعبدوا إلا الله، وتتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان، وبذلك يكون قد خرج هذا الفعل الكلامي عن دلالته المباشرة التي سيق لها.

[1]- سورة هود، الآية26.

[2]- سورة هود، الآية25.

[3]- سورة هود، الآية26.

[4]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص44

[5]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص 336.

القوة الإنجازية مستلزمة الأولى: النصح والإرشاد، لأنه عليه السلام علل لهم أمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك بأنه يخاف عليهم إن أصروا على كفرهم سيحل بهم العذاب.

القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: موعظة المشركين بما أصاب المكذبين قبلهم من المصائب[1].

القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم على ما لقيه من قومه.

3/–الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة عيسى عليه السلام:

1/–النهي:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ لاَ تَغلُواْ فِى دِينِكُم وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلحَقَّ إِنَّمَا ٱلمَسِيحُ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلقَىٰهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوح مِّنهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيرا لَّكُم إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰه وَٰحِد سُبحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَد لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا ﴾[2]

حوى هذا الخطاب القرآني ثلاثة أفعال كلامية، تمثلت في الملفوظات" لا تغلوا" و الفعلين "لا تقولوا" التي جاءت في سياق خطاب الله تعالى لأهل الكتاب، فقد نادى سبحانه وتعالى النصارى بأهل الكتاب الذي هو الإنجيل تخصيصاً لهم دون سواهم بالخطاب.

1–فالمحتوى القضوي لهذه الآية يتمثل في نْهَى الله تعالى أهل الكتاب وهم النصارى عن الغلوِّ والإطراء. فقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ ﴾ تجريدٌ وتخصيصٌ له بالنصارى زجراً لهم عمّا هم عليه

[1]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج12، ص 43.

[2]– سورة النساء ،الآية 171

من الضّلال البعيد،[1] فجاء النهي في هذه الآية على ثلاثة أفعال وهي: فعل الغلو وذلك أن النصارى قد غلت، والغلوُّ التّجاوز في الحد، ومنه غلا السعر يغلو غلاء، وغلا الرجل في الأمر غُلُواً [2]، فقد تجازوا الحد في التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي وهبها الله إياه فأخرجوه بهذا الفعل من حيز النبوّة إلى حيز الألوهية وهذا ما يوضحه أيضاً قوله تعالى في سورة التوبة حيث﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحبَارَهُم وَرُهبَٰنَهُم أَربَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلمَسِيحَ ٱبنَ مَريَمَ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعبُدُوٓاْ إِلَٰها وَٰحِدا لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشرِكُونَ﴾[3] ، والنصرانية أربعة طوائف: اليعقوبيَّة والمِلْكانيَّة والنُّسْطُوريَّة والمرقُوسيَّة فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النُّسطورية : عيسى هو ابن الله، وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة[4] فأنزل الله هذه الآية، حتى أن اليهود قد غلت في عيسى حتى قذفوا مريم عليها السلام .

أما الفعل الثاني فقد جاء في قوله﴿ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلحَقَّ ﴾ أي : «لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبةً وولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وتنزه وتقدس وتوحّد في سؤْدُده وكبرياءه وعظمته فلا إله إلا هو ولا رب سواه، ولهذا قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾؛ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي من خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذن الله عز وجل.

[1]– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج3 ص 199.

[2]– ينظر أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج11 ص271.

[3]- سورة التوبة، الآية 31.

[4]– ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ،ج1،ص724.

ولهاذا قيل لعيسى أنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولّد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي ألقي بها: كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل»[1] .

أما فعل النهي الثالث فجاء في قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾: أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين تعالى عن ذلك علواً كبيراً[2]؛ فهو إذن نهيٌ عن التثليث وهو مذهب النصارى. كما جاء تفريع هذه الآية في قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[3]. وكما قال في آخر السورة المذكورة ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[4] وقال في أوّلها ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[5]. كل هذه الآيات أنباء عن أن النصارى قد غلت في حق الله عز وجل ونبيه عيسى عليه السلام. يترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ–الاقتضاء: يتجلى الاقتضاء في هذه الآية في مبالغة النصارى في تعظيمه عيسى عليه السلام.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتجسد في **علاقة التوكيد، وعلاقة التفصيل بعد الإجمال،** فالتأكيد يوضحه العامل الحجاجي حرف التوكيد "إنَّ"، حيث يوضح الله عز وجل في هذه الآية بأن عيسى ابن مريم هو رسول من الله وأن لا يجب القول بأنه إله، وكرر التأكيد على وحدانيته بأن ليس له ولد

[1]– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 425.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 426.
[3]– سورة المائدة ،الآية 73.
[4]– سورة المائدة، الآية 116.
[5]– سورة المائدة، الآية72.

وأنه مالك السماوات والأرض. أما **التفصيل** فكان في أسباب النهي بعد **الإجمال** المتمثل في نهي أهل الكتاب عن الغُلُو في الدين،

تتكون جملة الفعل الكلامي الأول﴿ يَاأَهلَ ٱلكِتَـٰبِ لاَ تَغلُواْ فِى دِينِكُم﴾[1] من:

-1 **فعل القول:** حيث بدأت بحرف النداء "يا"+ "أهل" منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "الكتابِ" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ لا النهاية+ "تغلوا" فعل مضارع مجزوم ب لا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ "في دينكم" جار ومجرور والكاف والميم ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

وتتكون جملة الفعل الكلامي الثاني ﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلحَقَّ ﴾[2] من:

2- **فعل القول:** حيث ابتدأت بالعامل الحجاجي حرف العطف الواو+ لا الناهية+ فعل مضارع مجزوم ب لا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ الجار والمجرور+ العامل الحجاجي "إلاَّ" الذي أفاد الحصر+ "الحقَّ" مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

وتتشكل جملة الفعل الكلامي الثالث ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيرا لَّكُم﴾[3] من:

3 -**فعل القول:** ابتُدأت بالعامل الحجاجي الواو الذي أفاد العطف+ "تقولوا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو في محل رفع فاعل+ "ثلاثة" خبر لمبتدأ

[1]- سورة المائدة،الآية171.

[2]- سورة النساء، الآية171.

[3]- سورة النساء، الآية171.

محذوف تقديره ولا تقولوا آلهتُنَا ثلاثةٌ[1]+ "انتهوا" فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل+ "خيراً " مفعول مطلق منصوب نائب عن المصدر فهو صفته أي: آمنوا إيماناً خيرا لكم[2]+ "لكم" جار ومجرور.

4-العناصر الإحالية: تحيل جملة النداء ﴿ يَٰأَهلَ ٱلكِتَٰبِ﴾ إلى اليهود والنصارى، إلا أنه في هذه الآية خطابٌ موجهٌ إلى النصارى خاصةً فخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضاً لهم بأنهم خالفوا كتابهم[3]، ويشير العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في واو الجماعة في الأفعال" لا تغلوا" و "لا تقولوا" و"انتهوا" إلى النصارى، والضمير "كم" في قوله تعالى ﴿ لاَ تَغلُواْ فِى دِينِكُم﴾ بمعنى أنتم أي: لا تغلوا في دينكم أنتم وهو خطاب مباشر النصارى.

5-الأفعال الإنجازية: وتتمثل في الأفعال الكلامية التوجيهية " لا تغلوا" ولا تقولوا" ولا تقولوا" التي تتكون حمولتها الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: نهي الله عز وجل النصارى عن المبالغة في تعظيم المسيح عيسى عليه السلام، فالنهي هنا حقيقي لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى. فالغاية من النهي في قوله تعالى ﴿ يَٰأَهلَ ٱلكِتَٰبِ لاَ تَغلُواْ فِى دِينِكُم﴾[4] **وعظ أهل الكتاب** لأن النصارى قد غلت في تعظيم عيسى عليه السلام. والنهي في قوله تعالى﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلحَقَّ﴾[5] جاء **للنهي عن**

[1]- ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995،ج3، ص 253.

[2]- ينظر: المرجع نفسه،ج3، ص 253.

[3]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج6، ص 50.

[4]- سورة النساء، الآية171.

[5]- سورة النساء، الآية171

الافتراء الشنيع في حق عيسى عليه السلام[1]، أما النهي في قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيرا لَّكُم﴾[2] **نهيٌ عن النطق** بالمشتهر من مدلول كلمة التثليث وعن الاعتقاد بها[3]. وفضلاً عن المعاني النهي الحرفية خرجت هذه الأفعال الكلامية إلى معانٍ أخرى مستلزمة وهي:

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: جاءت هذه الآيات حاملة في طيات نواهيها فعل التحذير، لأن الغلو والقول على الله ما ليس له يوصل إلى الكفر والكفر طريق الظلال، فتكون بذلك قد ناقشت هذه الآية مسألةً في العقيدة حاملةً دلالة التحذير عن عدم الشرك بالله واتخاذ له الولد والصاحبة، وتحذير الأمم السابقة بعدم إتباعهم.

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: إذا نظرنا من زاوية السياق العام للآية خلصنا إلى أنها حملت دلالة الإرشاد وإظهار القول الحق، ذلك أن هذا القصص القرآني قد أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم للوعظ والإرشاد حتى لا تظل أمته وتبيين ادعائهم الباطل وتثبطه بالدليل والحجة.

2/– المواساة والحمل على الصبر:

قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَا أَلاَّ تَحزَنِي فَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا ﴾[4]

تمثل الفعل الكلامي في هذه الآية في الملفوظ " لا تحزني"، الذي جاء في سياق قصة مريم عليها السلام بعد أن بشرها جبريل بالولد وكان أمراً مقضيا، فحملته واعتزلت به في مكان بعيد حتى جاءها المخاض وأمرها تعالى بعدم تكليم الناس إذا ما سألوها عن حالها وحال ولدها. وقد اختلفت الروايات عن الشخص المنَادِي: هل هذا المنادي هو جبريل أم عيسى عليهما السلام ؟ فاختلفت الإجابات

[1]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج6، ص 51.

[2]– سورة النساء، الآية171.

[3]– ينظر:محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج6، ص 54.

[4]- سورة مريم، الآية 24

حسب القراءات القرآنية: فمن قرأ "من" بالفتح فهو عيسى، ومن قرأ بالكسر فهو جبريل.[1] ومعنى قوله ألا تحزني أي: لا حزني بولادتك فقد جعل ربك تحتك سريًّا يعني عيسى عليه السلام، والسّري من الرجال العظيم الخصال السيّد[2]، وقيل السّري: الجدول من الماء كالساقية[3] فجاء قوله هذا تفسير للنداء أعقبه سبحانه وتعالى بخبر أُريد به تعليل للنهي.

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي في قوله تعالى ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَا أَلاَّ تَحزَنِى قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا ﴾[4] من:

1-فعل القول: بَدَأَتْ جملة الفعل الكلامي التوجيهي بالعامل الحجاجي حرف العطف الفاء+ "نادى"وهو فعل ماض مبني على الفتح المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو+ من تحتها جار ومجرور والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ العامل الحجاجي أن التفسيرية+ لا الناهية+ "تحزني" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة + العامل الحجاجي "قد" الذي أفاد التحقيق+ "جعل" فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره+ "ربُّكِ" فاعل مرفوع وعلامة رفعه لضمة الظاهرة على آخره والكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ "تحتك" ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره والكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ "سريًّا" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي المستتر المتمثل في الضمير" هو" إلى الفاعل وهو عيسى عليه السلام، أما ضمير الإشاري الشخصي" الهاء "في "ناداها" و"تحتها" فتعود على

[1]-ينظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار الكلم الطيب، ج3، ص 390.

[2]-ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج11، ص94.

[3]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج16، ص87.

[4]- - سورة مريم، الآية 24

مريم عليها السلام، والعنصر الإشاري المكاني ﴿مِن تَحْتِها﴾ فيحيل إلى مَكانٍ أسْفَلَ مِنها[1]. أما لفظة ﴿سَرِيّا﴾ فتحيل إلى عيسى عليه السلام لأن «السَّرِيُّ مِنَ الرِّجَالِ الْعَظِيمُ الْخِصَالِ السَّيِّدُ»[2]. أما العامل الحجاجي المتمثل في حرف العطف "الفاء" في قوله تعالى ﴿فَحَمَلَتْهُ فانتبذت بِهِ﴾ و﴿فَأَجَآءَهَا المخاض﴾ و ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ فقد دل على تعاقب الأحداث أي أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأحوال حصل عقيبَ الآخَرِ من غير فصْلٍ[3].

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية حمل مريم وهي عذراء من دون أب وولادة عيسى عليها السلام، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: يكمن الاقتضاء في هذه الآية في قدرة الله تعالى على الخلق.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **علاقة التعليل،** فقد جاءت الجملة الثانية ﴿ قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا ﴾ تعليلاً لفعل النهي وهو الحزن لحملها على الصبر.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الفعل الكلامي التوجيهي" لا تحزني" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: النهي عن الحزن لأن «حالَتَها حالَةٌ جَدِيرَةٌ بِالمسَرَّةِ دُونَ الحُزْنِ لِما فِيها مِنَ الكَرامَةِ الإلَهِيَّةِ.»[4]

ب-القوة الإنجازية المستلزمة: فمن سياق القصة تُستلزم دلالة أخرى وهي حمل مريم عليها السلام على الصبر، ومواساتها فيما لقيته من آلام جراء الولادة، وتليين قلبها خاصة وأنها ولدت وهي عذراء.

[1]- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8،ص401.
[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11، ص96.
[3]- ينظر: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج13، ص38.
[4]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج16، ص87.

4-الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة صالح عليه السلام:

1/-التهديد والتحذير:

قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُم صَٰلِحا قَالَ يَٰقَومِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرُهُۥ قَد جَاءَتكُم بَيِّنَة مِّن رَّبِّكُم هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُم ءَايَة فَذَرُوهَا تَأكُل فِى أَرضِ ٱللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء فَيَأخُذَكُم عَذَابٌ أَلِيم﴾[1]

تمثل الفعل الكلامي في هذه الآية في الملفوظ " لا تمسُّوها"، الذي جاء في سياق حوار النبي صالح عليه السلام مع قومه، حين أخبرهم بأن هذه الناقة هي آية الله ومعجزته الظاهرة الدالة على صدق نبوته كونها خرجت من صخرة مصداقا لقوله تعالى﴿ فَدْ جَاءَتكُم بَيِّنَة مِّن رَّبِّكُم هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُم ءَايَة فَذَرُوهَا تَأكُل فِى أَرضِ ٱللَّهِ﴾، فأُضيف إليها اسم الله على وجه التخصيص والتفضيل والتشريف، ومن صفات هذه الناقة أنها كانت ترعى في المرج وتأتي ماء القوم فتشربه كله فيتحول في بطنها إلى لبن خالص فيحلبون ما شاءوا فقال لهم النبي صالح: يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم[2]، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ووعظهم عليه السلام بقوله ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾[3]. فأمرهم بتركها تأكل في الأرض وأردف أمره هذا بنهيهم عن أذاها فقال ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء﴾ والمعنى: لا تمسوها مع قصد السوء

[1]- سورة الأعراف، الآية 73.

[2]- ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج2، ص195.

[3]- سورة الأعراف، الآية 74

بها؛ أي لا تصيبوها بسوء إما بالقتل أو الجرح أو الطرد أو الضرب، ثم علل عاقبة عملهم هذا بتسليط عليهم عذابٌ أليم، وكان النهي عن المس هو مقدمة الإصابة بالسوء الشامل لأنواع الأذى[1].

وقد تكررت قصة عقر ناقة صالح بهذا الفعل الكلامي حاملةً نفس الدلالة التي حملها في هذه الآية في ثلاث مواضع في القرآن الحكيم هذا أحدها، فقد وردت في سورتي هود في قوله تعالى﴿وَيَٰقَومِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُم ءَايَة فَذَرُوهَا تَأكُل فِى أَرضِ ٱللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء فَيَأخُذَكُم عَذَاب قَرِيب ﴾[2] وفي قوله أيضاً ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء فَيَأخُذَكُم عَذَابُ يَومٍ عَظِيم﴾[3] .

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوء فَيَأخُذَكُم عَذَابٌ أَلِيم﴾[4] من:

1-فعل القول: حيث بدأت بالعامل الحجاجي حرف العطف الواو+ لا الناهية+ "تمسوا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به+ "بسوءٍ" جار ومجرور+ العامل الحجاجي الفاء السببية+ "يأخذ" فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد الفاء لأنه جواب النهي و "كم" ضمير متصل في محل مصب مفعول به+ "عذابٌ" فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره+ "أليم" صفة مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة على آخره.

[1]- ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج4، ص 396.

[2]- سورة هود، الآية 64،

[3]- سورة الشعراء، الآية156.

[4]- سورة الأعراف، الآية73.

2-العناصر الإحالية: تحيل الواو في الفعل " لا تمسوا" إلى قوم صالح عليه السلام حينما نهاهم عن إلحاق الأذى بالناقة و"الهاء" تشير إلى قومه عليه السلام، ويحيل العنصر الإشاري الشخصي "كم" في الفعل "يأخذكم" إلى قوم صالح الذي وقع عليهم فعل الأخذ بالعذاب بعد عقرهم الناقة.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية عقر قوم صالح للناقة وحلول العذاب عليهم، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: نقض قوم صالح للاتفاق وقتل الناقة فهلكوا بعذاب من الله.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتجسد في علاقة **ربط النتيجة بالسبب،** وهو ما توضحه الفاء السببية في الفعل "فيأخذكم"، ففعل الأخذ وحلول العذاب الأليم هو نتيجة لعدم الامتثال لنواهي صالح عليه السلام.

4-الفعل الإنجازي: ويتمثل في الملفوظ" لا تمسوها" الصادر من صالح عليه السلام والموجه إلى قومه، ويترتب عن هذا الفعل الكلامي:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: حافظ الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية على دلالته الحرفية ألا وهي في النهي، فكان بذلك الخطاب حاملاً دلالة كف وترك الأذية «فأُنيط النهي بالمس بالسوء لأن المس يصدق على أقل اتصال شيء بالجسم فكل ما ينالها مماُ راد منه السوء فهو منهيٌ عنه»[1]، أي أنهم أُنهوا عن المس الذي هو أدنى درجات الأذى التي يمكن أن تتعرض له الناقة.

ب-القوة الإنجازية المستلزمة: تهديد قوم صالح عليه السلام **وتحذيرهم** من عاقبة إلحاق السوء بالناقة.

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج8، ص219.

5/–الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة موسى عليه السلام:

1/–التذكير: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱستَسقَىٰ مُوسَىٰ لِقَومِهِۦ فَقُلنَا ٱضرِب بِّعَصَاكَ ٱلحَجَرَ فَٱنبَجَرَت مِنهُ ٱثنَتَا عَشرَةَ عَينا قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشرَبَهُم كُلُواْ وَٱشرَبُواْ مِن رِّزقِ ٱللَّهِ وَلاَ تَعثَواْ فِى ٱلأَرضِ مُفسِدِينَ﴾[1]

تضمنت هذه الآية فعلاً كلامياً توجيهياً جاء بصيغة النهي تمثل في الملفوظ" لا تعثوا"، الذي جاء على لسان موسى عليه السلام لقومه، حيث نهاهم عن الإفساد في الأرض وعدم مقابلة النعم بالعصيان وجحدها، وكانت هذه الآية تذكيراً لهم بالنعمة العظيمة التي أنعم الله بها عليهم وكفروا بها؛ وهي أن لما عطشوا في التيه استسقى موسى ربه فسقاهم بمعجزة إلهية متمثلة في ضرب نبيه عليه السلام الحجر وخروج الماء منه من اثني عشر عينا، كل عينٍ يشرب منها سبط من أسباطهم الاثني عشر حتى لا يتزاحموا فيتضرروا، فأكرمهم الله بهذه النعمة ونهاهم عن الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي.

1–فعل القول: افتتحت جملة **فعل القول** المخصوص بالدراسة بالعامل الحجاجي حرف العطف الواو الذي أفاد الترتيب+ لا الناهية+ "تعثوا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل+ في حرف جر والأرض اسم مجرور ب في وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+" مفسدين" حال منصوبة بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

2–العناصر الإحالية: يحيل الضمير "الهاء" في لفظ "قومه" إلى النبي موسى عليه السلام، و"النون" في لفظ "قلنا" المخَاطِب وهو الله عز وجل والألف للتعظيم، أما العنصر الإشاري الشخصي المستتر "أنت" في الفعل "اضرب" والضمير المتصل الكاف في "عصاك" فيعود على الفاعل وهو موسى عليه

[1]- سورة البقرة، الآية 60.

السلام، أما الهاء في "منه" فتعود على الحجر، وتحيل جملة ﴿قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشرَبَهُم﴾ إلى أن «كُلَّ سِبْطٍ مِنهم قَدْ صارَ لَهُ مَشْرَبٌ يَعْرِفُهُ فَلا يَتَعَدّى لِمَشْرَبِ غَيْرِهِ»[1]، وتحيل الواو في الأفعال الكلامية التوجيهية الآتية"كلوا واشربوا" و" ولا تعثوا" إلى قوم موسى عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية استسقاء موسى لقومه وأمرهم بالأكل والشرب وعدم الفساد في الأرض، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-المعنى العرفي: إن المعنى العرفي المقْصُودُ من النهي هو «ما جَرَتِ العادَةُ بَيْنَ النّاسِ مِنَ التَّشاجُرِ والتَّنازُعِ في الماءِ عِنْدَ اشْتِدادِ الحاجَةِ إلَيْهِ، فَكَأنَّهُ تَعالى قالَ: إنْ وقَعَ التَّنازُعُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الماءِ فَلا تُبالِغُوا في التَّنازُعِ»[2].

ب-الاستلزام المنطقي: توجد علاقتين في هذه الآية: ففي قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱستَسقَىٰ مُوسَىٰ لِقَومِهِۦ فَقُلنَا ٱضرِب بِّعَصَاكَ ٱلحَجَرَ﴾ هنا نلمح وجود علاقة ربط **السبب بالنتيجة**؛ معنى ذلك: أن **السبب** الداعي لطلب موسى السقيا لقومة هو ما حل بهم من عطشٍ في التيه، فاستجاب الله لدعائه وكانت **نتيجة** هذه الاستجابة أن أمره بضرب الحجر بعصاه. أما العلاقة الثانية فتتمثل في **العلاقة السببية** بين أحداث القصة وهي طلب موسى للماء و الماء المنفجر من الصخرة كلاهما كان نتيجة لأمر الله.

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تعثوا" الذي تتكون حمولته الدلالية من:

[1]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج1، ص274.
[2]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص 530.

أ–القوة الإنجازية الحرفية: نهي الله تعالى قوم موسى بعدم الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي بعدد أن أكرمهم بالنعم، والنهي هنا حقيقي لأن فيه الاستعلاء فهو صادر من الله عز وجل وموجه إلى قوم موسى.

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: تذكير الله تعالى لليهود المعاصرين لنزول القرآن بالمدينة النبوية بأسلافهم وما حل بهم، لأن النعم تنسي العبد ربه وحاجته إليه فيترك أحكامه ويقع في المحظور «فجاءت هذه الآية لتذكير الله عز وجل لليهود بأن يذكروا فيتعظوا ويشكروا فيؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلوا في دينة فيكملوا ويسعدوا بعد أن نجوا مما حاق بهم من الذلة والمسكنة والغضب في الدنيا ومن عذاب يوم القيامة»[1].

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الرابعة: يُستلزم من سياق الآية دلالة **الإباحة** في الأكل والشرب والنهي عن المعاصي.[2]

2/– التحذير:

1–قال تعالى﴿ يَٰقَومِ ٱدخُلُواْ ٱلۡأَرضَ ٱلمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُم وَلَا تَرتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[3]

هذه الآية خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قول موسى لقومه من بني إسرائيل لقومه بما أوحى الله به إليه بعد خروجه مع قومه من مصر، وتحريضهم إلى الدخول إلى أرض المقدس، ونهيهم عن الرجوع عن طاعة ما أمرهم به من قتال الجبارين إذ قال﴿ يَٰقَومِ ٱدخُلُواْ ٱلۡأَرضَ ٱلمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ

[1]– جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص 63.
[2]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 421.
[3]– سورة المائدة، الآية 21

ٱللَّهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّواْ عَلَىٰ أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[1] فأجابه قومه بقولهم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوما جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدخُلَهَا حَتَّىٰ يَخرُجُواْ مِنهَا فَإِن يَخرُجُواْ مِنهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[2]. وما نلاحظه في بنية الآية اجتماع فعلين كلاميين توجيهيين متناقضين هما: الأمر بدخول الأرض والنهي عن الارتداد لتخويفهم من عواقب عصيانهم مُعلمهم بأن ارتدادهم سببٌ لهلاكهم.

تتشكل جملة الفعل الكلامي التوجيهي " لا ترتدُّوا" من:

1-فعل القول: من العامل الحجاجي أداة النداء "يا"+ "قوم" منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة وهي مضاف إليه+ "ادخلوا" فعل أمر منصوب وعلامة نصبه حذف النون والواو ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ "الأرض" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "المقدسة" صفة منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره+ "التي" اسم موصول في محل نصب صفة ثانية للأرض+ "كتب" فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره+ "الله" لفظ جلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره+ "لكم" جار ومجرور+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ لا الناهية الجازمة+ " ترتدّوا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون لأنه جمع نذكر سالم والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل+ "على أدباركم" جار ومجرور و "كم" ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ العامل الحجاجي الفاء السببية+ "تنقلبوا" فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد الفاء السببية وعلامة نصبه حذف النون والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل+ " خاسرين" حال منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنه جمع نذكر سالم.

[1]- سورة المائدة، الآية 21

[2]- سورة المائدة ، الآية22.

2-العناصر الإحالية: تحيل ياء المتكلم المحذوفة كعنصر إشاري شخصي في النداء" يا قوم" إلى المخَاطِب وهو موسى عليه السلام، أما الضمير" كم" في "لكم" وأدباركم" فيحيل إلى قوم موسى، أما "الواو" في الفعليين الكلاميين "ادخلوا" و" لا ترتدوا" فيشير إلى قومه عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في موضوع القصة وهو أمر الله موسى عليه السلام بأن يُرسل اثني عشر رجلاً جواسيس يتحسسون أرض كنعان التي وعدها الله بني إسرائيل من كل سبطٍ رجلاً، فعيَّن موسى اثني عشر رجلاً «منهم يوشع بن نون من سبط أفْرايمَ، ومنهم كالِبُ بن يَفْنَة من سبطِ يهودا ولم يسموا بقية الجواسيس فجاسوا خلال الأرض من برية صين إلى حماةَ فوجدوا الأرض ذات ثمارٍ وأعنابٍ ولبنٍ وعسلٍ ووجدوا سكانها مُعْتَزِّين طُوال المقامات ومُدنهم حصينة، فلما سمع بنوا إسرائيل ذلك وهِلوا وبَكوا وتذَّمروا على موسى وقالوا: لو مُتنا في أرض مصر كان خيراً لنا من أن تُغْنَمَ نساؤنا وأطفالنا، فقال يُوشع وكالب للشعب: إن رضي الله عنّا يُدخلنا إلى هذه الأرض ولكن لا تعصوا الرّبَّ ولا تخافوا من أهلها فالله معنا، فأبى القوم من دخول الأرض وغضب الله عليهم، وقال لموسى: لا يدخل من سِنُهُ عشرون سنةً فصاعداً هذه الأرض إلاّ يُوشع وكالباً وكلهم ستُدفنون في هذا القفر ويكون أبناؤكم رُعاةً فيه أربعين سنةً».[1] ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: يتمثل في عدم الامتثال للأمر الواجب والضروري على قوم موسى إتباعه وعدم التراجع فيه وهو دخول الأرض المقدسة «وكان سبب هذه الهزيمة الروحية ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالقة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور في العقول»[2] إذ قالوا في جوابهم لنبيهم موسى عليه السلام ﴿ فَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[3] .

[1]-محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج6، ص 163-164.

[2]- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص616.

[3]- سورة المائدة، الآية22.

ب–الاستلزام المنطقي: ويتمثل في **العلاقة السبب بالنتيجة**، وهو ما يوضحه العامل الحجاجي الفاء السببية في قوله ﴿فَتَنقَلِبُواْ﴾ فسبب خسارة قوم موسى عليه السلام هو الارتداد عن ما أمرهم به وعدم الامتثال له وهو دخول الأرض المقدسة.

4–الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا ترتدوا" التي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: جاء الفعل الكلامي التوجيهي "لا ترتدوا" صادراً من موسى عليه السلام وموجهاً إلى قومه حاملاً دلالة النهي، حيث نهاهم عن الرجوع إلى الوراء لأن ذلك سيسبب خسارتهم، وقد خرج الفعل الكلامي التوجيهي النهي في هذه الآية فضلاً عن دلالته الحرفية إلى معانٍ أخرى مستلزمة وهي:

ب–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: **التحذير** مما يوجب الإنهزام، لأن ارتداد الجيش من أكبر أسباب الانخذال والخسارة[1].

ج–القوة الإنجازية المستلزمة الثانية: حملت هذه الآية دلالة **بيان العاقبة** وهو ما يتضح من قوله تعالى ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. ومعنى قوله لا ترتدوا: أي لا ترجعوا عن مقصدكم منقلبين خوفاً من الجبابرة، ويُحتمل أن يُراد بالارتداد صرف قلوبهم عما كانوا عليه من الاعتقاد صرفاً غير محسوس، أي: لا ترجعوا عن دينكم بالعصيان بالشك في نُبُوة موسى عليه السلام وعدم الوُثوق بالله[2]، لأن موسى عليه السلام لما أمرهم بالدخول للأرض المقدسة أخبرهم بأن الله تعالى جعل الأرض المقدسة لهم كان وعداً بنصرهم عليهم.

[1]– ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج6، ص 162.

[2]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج3، ص 277.

د– القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: بالرجوع إلى السياق العام للقصة فإن الخطاب هنا موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم **تسليةً له وتثبيتاً لقلبه** بإعلامه بخبث اليهود وشدة ضعفهم، إذ قال له واذكر يا محمد خبر أهل الكتاب وهم هنا اليهود خاصة إذ قال لهم نبيهم﴿ وَلاَ تَرتَدُّواْ عَلَىٰ أَدبَارِكُم ﴾ فعصوه وخالفوه «فلا بأمر الجهاد أطاعوه ولا للمدينة المقدسة دخلوا، واسمع جوابهم لنبيهم ليزول استعظامك بكفرهم بك وهمهم بقتلك لتعلم أنهم قوم لا خير فيهم»[1].

2–قال تعالى ﴿وَوَٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَة وَأَتمَمنَٰهَا بِعَشر فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَة وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخلُفنِى فِى قَومِى وَأَصلِح وَلاَ تَتَّبِع سَبِيلَ ٱلمُفسِدِينَ[2]﴾

تدور مناسبة هذه الآية حول واقعة موسى عليه السلام مع قومه وحواره مع أخيه، فحدثت حادثة أن طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين إله وقد أنباهم موسى وأدبهم عن قولهم الباطل، وواعد الله تعالى موسى أن يناجيه بجبل الطور وجعل له الموعد الذي يلقاه فيه شهرا ثلاثين يوما وكانت شهر القعدة وزادها عشراً من أول الحجة فتم الميقات أربعين ليلة. وعند خروجه عليه السلام استخلف في بني إسرائيل أخاه هارون وأوصاه بالإصلاح ونهاه عن إتباع آراء المفسدين هذا معنى قوله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ

[1]– جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص616.

[2]- سورة الأعراف، الآية 142

الْمُفْسِدِينَ﴾[1] وكان ذلك من أجل أن يأتي بني إسرائيل بكتاب ربهم يتضمن شريعة كاملة يساسون بها وتحكمهم ليكملوا ويسعدوا عليها[2].

فالفعل الكلامي التوجيهي المخصوص بالدراسة هو " لا تتبع" الذي تتشكل بنيته اللغوية من:

1-فعل القول: الذي ابتدأ بحرف العطف الواو+ "أصلح" فعل أمر مبني على السكون الظاهرة على آخره+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو التي أفادت الترتيب+ لا الناهية+ "تتبع" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت+ "سبيلَ" مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ " المفسدين" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

2- الإحالية: أفاد العامل الحجاجي المتمثل في حرف العطف" الفاء" في الآية ترتيب الأحداث وتعاقبها: فالحدث الأول يتمثل في أمر هارون أخيه بحكم الخلافة بعده، أعقبه بالأمر بالإصلاح، ثم بالنهي عن اتباع سبيل المفسدين، أما العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المستتر "أنت" فيحيل إلى النبي هارون عليه السلام.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية وعد الله تعالى لموسى باللقاء في جبل الطور، واستخلاف هارون الحكم والسياسة في بني اسرائيل، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: فشل هارون عليه السلام في الخلافة وضعفه أمام قومه وهو ما يوضحه قوله ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ

[1]- سورة الأعراف، الآية 142.

[2]- ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،ج2، ص 235.

رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

ب– المنطقي: يتمثل الاستلزام المنطقي في هذه الآية في **العلاقة الزمنية** بين الوعد الأصلي وهو ثلاثين ليلة ﴿وَوَٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَة ﴾، والتمديد الذي حدث وهو أربعين ليلة وهو ما يظهر في قوله تعالى ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَة ﴾ «وقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مُدَّةَ المناجاةِ ثَلاثِينَ لَيْلَةً تَيْسِيرًا عَلَيْهِ، فَلَمّا قَضاها وزادَتْ نَفْسُهُ الزَّكِيَّةُ تَعَلُّقًا ورَغْبَةً في مُناجاةِ اللَّهِ وعِبادَتِهِ، زادَهُ اللَّهُ مِن هَذا الفَضْلِ عَشْرَ لَيالٍ، فَصارَتْ مُدَّةُ المناجاةِ أرْبَعِينَ لَيْلَةً»[2].

4–الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ" لا تتبع" الذي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: خرج الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية عن معناه الأصلي الذي سيق له هو النهي إلى معنى **التأكيد** «لِأنَّ مَنصِبَ النُّبُوَّةِ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، فكان نَهْيُهُ عَنِ اتِّباعِ سَبِيلِ المُفْسِدِينَ هو عَلى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ لا لِتَوَهُّمِ أنَّهُ يَقَعُ مِنهُ خِلافُ الإصْلاحِ واتِّباعُ تِلْكَ السَّبِيلِ»[3].

ب–القوة المستلزمة الأولى: التحذير، فكان «التَحْذِيرُ مِنَ الفَسادِ بِأبْلَغِ صِيغَةٍ لِأنَّها جامِعَةٌ بَيْنَ نَهْيٍ – والنَّهْيُ عَنْ فِعْلٍ تَنْصَرِفُ صِيغَتُهُ أوَّلَ وهْلَةٍ إلى فَسادِ المنهِيِّ عَنْهُ – وبَيْنَ تَعْلِيقِ النَّهْيِ بِاتِّباعِ سَبِيلِ المُفْسِدِينَ»[4].

3/–الاعتذار:

[1]- سورة الأعراف، الآية 150.

[2]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 86.

[3]– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج5، ص 161.

[4]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 88.

قال تعالى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]

جاء الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية متمثلاً في الملفوظ" لا تشمت"، الذي جاء في سياق حوار هارون مع أخيه موسى عليهما السلام بعد رجوعه من مناجاته، وكان قد أخبره ربه تعالى أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم، فرجع عليه السلام غضباناً حزيناً فذم قومه وأخيه هارون فقال ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]، فهارون لم يُحسن الخلافة بسياسة الأمة كما كان يسوِسها موسى وأما القوم فلأنهم عبدوا العجل بعد غيبة موسى.

تتشكل بنية جملة الفعلين الكلامين ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ من:

1–فعل القول: ابتُدِأت جملة فعل القول بالعامل العامل الحجاجي حرف العطف الفاء الذي أفاد ربط المسبّب بالسبب+ لا الناهية لجازمة+ "تشمتْ" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت"+ "بِيَ" جار ومجرور+ "الأعداء" مفعول به نصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ العامل الحجاجي حرف العطف الواو+ لا الناهية

[1]- سورة الأعراف، الآية 150.

[2]- سورة الأعراف، الآية 150.

الجازمة+ "تجعل" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره والنون للوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به+ "مع" عنصر اشاري أفاد الظرفية المكانية+ " قوم" مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ "الظالمين" صفة مجرورة وعلامة جرها الياء لأنها جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: يحيل العنصر الإشاري الشخصي المستتر المتمثل في الضمير "أنت" في الفعلين الكلاميين التوجيهيين" لا تشمت" و" لا تجعلني" إلى النبي موسى عليه السلام، أما الياء المتكلم فتعود إلى الطرف الذي وقع عليه فعل الفاعل ألا وهو هارون عليه السلام، كما أفاد العنصر الإشاري المكاني مع الظرفية المكانية: أي لا تجعلني في زمرة الظالمين؛ ﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهم الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ عِبادَةَ العِجْلِ[1].

3-المحتوى القضوي: غضب موسى عليه السلام وحزنه عند رؤية ما فعله قومه عندما عبدوا العجل. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: ويظهر من خلال رد فعل موسى بعد عودته من الواعدة وما وجد عليه قومه من استضعافهم لأخيه هارون عليه السلام وعبادة العجل.

ب-الاستلزام المنطقي: ويتجسد في علاقة **ربط المسبّب بالسبب،** وهو ما يوضحه العامل الحجاجي حرف الفاء في قوله تعالى ﴿فَلاَ تُشْمِتْ﴾، فالسبب هو عبادة قوم موسى للعجل واستضعاف أخيه والمسبب هو نهي هارون عليه السلام بتشميت الأعداء به وعدم جعله مع القوم الظالمين؛ إذن النتيجة الحاصلة عن سبوك قوم موسى هو قوله تعالى ﴿يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[1]-ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 118.

4–الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظين" لا تشمت" و"لا تجعل" التي تتكون حمولتها الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: حمل الفعلان الكلاميان التوجيهيان "لا تشمت" قوة إنجازية غير مباشرة، حيث نهى هارون أخيه موسى عليهما السلام بعد تشميت الأعداء به، وبأن لا يجعله مع القوم الظالمين، فالنهي هنا غير حقيقي لأن كلا المخَاطِب والمخاطب في نفس الدرجة، فخرج النهي عن معناه الحرفي إلى دلالة **التماس العذر**.

ب–القوة المستلزمة الأولى: إن قول هارون لأخيه ﴿لا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هو اعتذارٌ صدره بنداء " ابن أم" بحذف ياء النداء، والنداء بهذا الوصف جاء «لِلتَّرْقِيقِ وَالِاسْتِشْفَاعِ، وَحُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ لِإِظْهَارِ مَا صَاحَبَ هَارُونَ مِنَ الرُّعْبِ وَالِاضْطِرَابِ، أَوْ لِأَنَّ كَلَامَهُ هَذَا وَقَعَ بَعْدَ كَلَامٍ سَبَقَهُ فِيهِ حَرْفُ النِّدَاءِ»[1]وهو المحكيُّ في سورة طه ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[2] ، أو ربما لضيق المقام[3] وتخصيص الأم بالذكر كونهما شقيقين على الأصح للتَّرقيق.[4] كما ويشير إلى علاقة إلى الانتماء والقرابة بين النبي موسى وأخيه هارون فذكر وصف الإخوة جاء موافقاً للمقام لأنه مقام استعطاف ولين.

ج–القوة الإنجازية الثانية: إن إرداف هارون عليه السلام نهيه لأخيه بوصف بشماتة* دليل على عدم التقصير في واجبه اتجاههم، وعدم تفريطه في السيادة والدعوة، وإنما عبادة العجل من طرف قومه كانت بعد استضعافه ومحاولتهم قتله فجاء بذلك قوله ﴿لا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تفريعٌ على تبين عذره في إقرارهم على ذلك فطلب من أخيه الكف عن

[1]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ح9، ص116.

[2]- سورة طه ،الآية 94.

[3]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج5، ص 64.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ج5، 64.

عقابه الذي يشمت به الأعداء لأجله ويجعله مع عداد الظالمين، فطلب ذلك كناية عن **طلب الإعراض عن العقاب**.[1]

د- القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: يوحي الفعل كاد في قول هارون لأخيه ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[2] على أن القوم هموا في قتل أخيه إلا أنهم لم يفعلوا، فعاتب موسى أخيه وهو ما كان يتوق إليه قومه فجاء بقوله ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3] فكانت هذه الجملة **استعطافاً** لمشاعر موسى فقومه هم الأحق بالتوبيخ وليس أخيه فهم من استضعفوا أخاه ونقضوا العهد وعبدوا العجل.

إذن: تكمن **قصدية** هذا النهي في **الكف عن التأنيب** بأن يجعله مع القوم في عبادة العجل، **واستعطافه** للصفح عنه، **والتماس** عدم تشميت الأعداء به، وفعلا سامحه أخوه وتحقق مراده بأن يفهمه أخوه ويتبين حقيقة ما جرى وهو ما يتضح في سؤال موسى عليه السلام عندما شرع في سؤال ربه ومناجاته فقال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[4]. والملاحظ في هذا الدعاء تدرج موسى عليه السلام في طلبه فابتدأه عليه السلام بطلب المغفرة لنفسه تأدُباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن

---

[1]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 117.

* والشَّماتة فَرَحُ الْعَدُوِّ؛ وَقِيلَ: الفَرَحُ بِبليَّة العَدُوِّ؛ وَقِيل: الفَرَحُ ببليَّة تَنْزِلُ بِمَنْ تُعَادِيهِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُمَا شَمِتَ بِهِ بِالْكَسْرِ، يَشْمَتُ شَمَاتَةً وشَمَاتاً، وأَشْمَتَه اللهُ بِهِ. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 144هـ، ج2، ص51. وقد ورد تعريفها في معجم تهذيب اللغة على أنها الفرح ببليّة من تعاديه ، والفعل منها شمِتَ يشْمَتُ شماتةً. أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001، ج11، ص226.

[2]- سورة الأعراف، الآية150.

[3]- سورة الأعراف، الآية150.

[4]- سورة الأعراف، الآية 151.

يكون قد ظهر منه من تفريطٍ أو تساهلٍ في ردع عبدة العجل عن ذلك.[1] ووفق ما حمله هذا الدعاء يكون هارون قد أثر في أخيه بالصفح عنه لأنه قد عدل من موقف التأنيب إلى موقف الدعاء له

4/-التضرع والتوسل:

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

تمثل الفعل الكلامي التوجيهي في هذه الآية في الملفوظ "لا تجعلنا"، الذي جاء في سياق إخبار الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لقومه ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[3] وامتثل بنوا إسرائيل لذلك فقالو ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[4] أي: لا تُظهرهم علينا ولا تُهلكنا بأيديهم فيظنوا أنّا لم نكن على الحق فيزدادوا طُغياناً.[5]

تشكلت بنية جملة الفعل الكلامي التوجيهي" لا تجعلنا" من:

1-فعل القول: بدأت جملة فعل القول بالعامل الحجاجي حرف العطف الفاء+ "قالوا" فعل ماضي مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، و واو الجماعة ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ "على اللهِ" على: حرف جر واللهِ اسم جلالة مجرور ب على وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره+ "توكلنا" فعل ماضي مبني على السكون الظاهرة ونون الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل+ "ربَّنا" منادى منصوب بأداة نداء محذوفة وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة و "نا" ضمير متصل في محل جر مضاف

[1]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 118.

[2]- سورة يونس، الآية 85

[3]- سورة يونس، الآية 84

[4]- سورة يونس، الآية85.

[5]- ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج4، ص 146.

إليه+ لا الناهية الجازمة+ "تجعلنا" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون ونون الجماعة ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول والفاعل ضمير مستتر تقديره" أنت"+ "فتنةً" مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره+ "للقوم" جار ومجرور+ " الظالمين" صفة مجرورة بالياء لأنها جمع مذكر سالم.

2-العناصر الإحالية: تحيل العناصر الإشارية الشخصية المتمثلة في الواو في الملفوظ "قالوا" ونون الجماعة في كل من "توكلنا"، "ربنا"، "تجعلنا" إلى قوم موسى عليه السلام، لأن الخطاب في الآية التي قبلها المتمثلة في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾[1] كان موجهاً إلى قومه «وهم بَنُو إسْرائِيلَ الَّذِينَ بِمِصْرَ، وهو يَدُلُّ عَلى أنَّهُ خاطَبَهم بِذَلِكَ بَعْدَ أنْ دَعاهم وآمَنُوا بِهِ»[2]، أما العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المستتر "أنت" فيحيل إلى الله عز وجل.

3-المحتوى القضوي: ويتمثل في قضية دعاء قوم موسى بأن لا يجعله الله فتنة للقوم الظالمين، ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

أ-الاقتضاء: إيمان عدد قليل من آل فرعون كامرأته ومؤمن آل فرعون والماشطة وذريته من بني إسرائيل[3].

ب-الاستلزام المنطقي: يتحدد الاستلزام المنطقي في هذه الآية بربطه بما قبله من آيات التي تحكمها العلاقة الشرطية وهي ما سماه محمد الطاهر بن عاشور ب"تعليق الشرط على الشرط"، إذ يقول تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾

[1]- سورة يونس، الآية 84.

[2]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج11، ص261.

[3]- ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،ج2، ص499.

فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾[1]، فجُمْلَةُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ شَرْطٌ ثانٍ مُؤَكِّدٌ لِشَرْطِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ﴾ « فَحَصَلَ مِن مَجْمُوعِ الجُمْلَتَيْنِ أنَّ حُصُولَ هَذا التَّوَكُّلِ مُتَوَقِّفٌ عَلى حُصُولِ إيمانِهِمْ وإسْلامِهِمْ، لِمَزِيدِ الِاعْتِناءِ بِالتَّوَكُّلِ وأنَّهُ مُلازِمٌ لِلْإيمانِ والإسْلامِ، ومُبَيِّنٌ أيْضًا لِلشَّرْطِ الأوَّلِ، أيْ إنْ كانَ إيمانُكم إيمانَ مُسْلِمٍ لِلَّهِ، أيْ مُخْلِصٍ لَهُ غَيْرِ شائِبٍ إيّاهُ بِتَرَدُّدٍ في قُدْرَةِ اللَّهِ ولا في أنَّ وعْدَهُ حَقٌّ، فَحَصَلَ مِن مَجْمُوعِ الشَّرْطَيْنِ ما يَقْتَضِي تَعْلِيقَ كُلٍّ مِنَ الشَّرْطَيْنِ عَلى الشَّرْطِ الآخَرِ»[2].

وجملة ﴿**رَبَّنَا** لاَ تَجعَلنَا فِتنَة لِّلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] جاءت نتيجةً لإيمانهم وتصديقهم بالنبي موسى عليه السلام، فمعنى فسؤالهم عن أنْ لا يَجْعَلَهُمُ اللَّهُ فِتْنَةً هو« أنْ لا يَجْعَلَهم سَبَبَ فِتْنَةٍ، فَتَعْدِيَةُ فِعْلِ تَجْعَلْنا إلى ضَمِيرِهِمُ المخْبَرِ عَنْهُ بِـ — "فِتْنَةً" تَعْدِيَةٌ عَلى طَرِيقَةِ المجازِ العَقْلِيِّ، ولَيْسَ الخَبَرُ بِفِتْنَةٍ مِنَ الإخْبارِ بِالمصْدَرِ إذْ لا يَفْرِضُونَ أنْ يَكُونُوا فاتِنِينَ ولا يَسْمَحُ المقامُ بِأنَّهم أرادُوا لا تَجْعَلْنا مَفْتُونِينَ لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ»[4].

4–الفعل الكلامي: ويتمثل في الملفوظ "لا تجعلنا" الذي تتكون حمولته الدلالية من:

أ–القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعل الكلامي على معناه الحرفي الذي سيق له وتعداه إلى معنى التضرع والتوسل منهم ليستجيب الله دعاءهم، وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى، من الفئة التي آمن بموسى عليه السلام إلى الله عز وجل، ولما قدموا إلى الله سبحانه بالتضرع أن يصون دينهم عن

[1]– سورة يونس، الآيات84،85.

[2]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج11، ص262.

[3]– سورة يونس، الآية85.

[4]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، ج11، ص 264.

الفساد أتبعوه بسؤال عصمة أنفسهم من فرعون وقومه في الآية التي بعدها والمتمثلة في قوله تعالى ﴿وَنَجِّنَا بِرَحمَتِكَ مِنَ ٱلقَومِ ٱلكَٰفِرِينَ﴾[1] .

ب–القوة الإنجازية المستلزمة: تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أراه كيف انتصر موسى بالمعجزات ومع ذلك لم يتابعه إلا القليل من قومه[2].

5/– التَّعطف والتماس عدم المؤاخذة:

قال تعالى ﴿فَالَ لاَ تُؤَاخِذنِى بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرهِقنِى مِن أَمرِى عُسرا ﴾[3] .

ننتقل في هذه الآية من قصة موسى مع فرعون إلى قصته مع الخضر والحوار الذي دار بينهما في رحلته وما جرى فيها من أحداث، والتي اشترط مصاحبته بعدم السؤال عما يراه حتى يكون هو الذي يبتدئُه من تلقاء نفسه فيشرحه ويُبينه، ولما خالف موسى الشرط لم يزد الخضر على أن قال﴿ أَلَم أَقُل إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِىَ صَبرا﴾[4]، فعندئذٍ اعتذر موسى عليه السلام بقوله ﴿ لاَ تُؤَاخِذنِى بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرهِقنِى مِن أَمرِى عُسرا ﴾[5] أراد أنه نسيه ولا مآخذة على الناسي بشيء ولا تُعسر عليَّ متابعتك ويسِرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة[6].

تشكلت بنية جملة الفعل الكلامي في قوله تعالى ﴿فَالَ لاَ تُؤَاخِذنِى بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرهِقنِى مِن أَمرِى عُسرا ﴾ من:

---

[1]- سورة يونس، الآية 86.

[2]– ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج2، ص 501.

[3]- سورة الكهف، الآية 73

[4]- سورة الكهف، الآية 72.

[5]– سورة الكهف، الآية73.

[6]– ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج 21، ص 486.

1-فعل القول: "قال" وهو فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره" هو"+ لا الناهية الجازمة+" تُؤاخِذْنِي" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمة السكون الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت" ونون الوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به+ "بما" الباء جر و "ما" اسم موصول في محل جر اسم المجرور+ "نَسيتُ" فعل ماضي مبني على الضم لاتصاله بتاء المتكلم وتاء المتكلم ضمير متصل في محل رفع الفاعل+ العامل الحجاجي الواو الذي أفاد الاستئناف+ لا الناهية الجازمة+" تُرْهِقْنِي" فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون الظاهرة ونون الوقاية والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت" والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به+ "من أمري" من حرف جر وأمرِي اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول أو مضاف إليه وشبه جملة جار ومجرور في محل نصب حال+ عسراً مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. عسراً هل هو مفعول به أم صفة.

2-العناصر الإحالية: يعود العنصر الإشاري الشخصي المتمثل في الضمير المستتر "هو" في الفعل قال إلى النبي موسى عليه السلام، والعنصر الإشاري الشخصي المتمثل في ضمير مستتر "أنت" في الفعلين الكلاميين التوجيهيين" تؤاخذني" وترهقني" يحيل على الفاعل سيدنا الخضر، أما" الياء" في الفعلين لكلاميين "تؤاخذني" و"ترهقني" فتعود على النبي موسى عليه السلام فهو من وقع عليه فعل المؤاخذة والإرهاق من طرف سيدنا الخضر.

3-المحتوى القضوي: مواعدة موسى عليه السلام لسيدنا الخضر في رحلته والشرط الذي وضعه له وهو قوله ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْرًا﴾[1]. ويترتب عن هذا المحتوى القضوي:

[1]- سورة الكهف، الآية 70.

أ–الاقتضاء: ويتمثل في مخالفة موسى عليه السلام للشرط الذي وضعه الخضر وهو قوله ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكْرًا﴾[1] بعد أن وافق عليه النبي عليه السلام وهو ما يظهر في قوله ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ **اللَّهُ** صَابِرا وَلاَ أَعصِي لَكَ أَمرا﴾[2] ، والنسيان هنا «إمّا عَلى حَقِيقَتِهِ عَلى تَقْدِيرِ أنَّ مُوسى نَسِيَ ذَلِكَ، أوْ بِمَعْنى التَّرْكِ عَلى تَقْدِيرِ أنَّهُ لَمْ يَنْسَ ما قالَهُ لَهُ ولَكِنَّهُ تَرَكَ العَمَلَ بِهِ».[3]

ب–الاستلزام المنطقي: احتوت هذه الآية على نوعين من العلاقات وهما:

أولاً: علاقة السببية: وتتمثل في السبب الداعي لطلب موسى عليه السلام من الخضر التماس عدم المؤاخذة والارهاق والتّعطف هو النسيان، فقوله تعالى ﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[4] تحتوي على سبب للجملة الثانية وهي﴿ وَلاَ تُرهِقنِي مِن أَمرِي عُسرا ﴾[5]، والنسيان كان بسبب مشاهدته لما يُنكره من أفعال وبالتالي مخالفة الشرط، وكلا من الجملتين تحكمهما **علاقة معنوية** تعبر عن حالة المتكلم ورغبته في المسامحة بسبب خطأه.

ثانياً العلاقة الترتيبية: جاءت الآيتين ﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ و﴿ وَلاَ تُرهِقنِي مِن أَمرِي عُسرا ﴾ بترتيب متتابع، حيث بدأ المتكلم بالتعبير عن السبب الذي دعاه إلى مخالفة الشرط وهو النسيان ثم أعقبه بالحديث عن صعوبة الفعل المترتب عنه وهو ما يظهر في قوله موسى عليه السلام﴿ وَلاَ تُرهِقنِي مِن أَمرِي عُسرا ﴾ وفيه وجوه «الأوّل: لا تُعَنِّفْنِي عَلى ما تَرَكْتُ مِن

[1]– سورة الكهف، الآية70.

[2]– سورة الكهف، الآية69.

[3]– محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1414هـ،ج3، ص 538.

[4]– سورة الكهف، الآية73

[5]– سورة الكهف، الآية73

وصِيَّتِكَ، الثاني: لا يَغْشَنِي مِنكَ العُسْرُ، الثالث: لا تُكَلِّفْنِي ما لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّحَفُّظِ عَنِ السَّهْوِ والنِّسْيانِ، والرابع: لا يَلْحَقْنِي مِنكَ طَرْدِي عَنْك » [1] .

4-الفعل الكلامي: ويتمثل في الفعلين" لا تؤاخذني" ولا ترهقني" التي تتكون حمولتهما الدلالية من:

أ-القوة الإنجازية الحرفية: لم يحافظ الفعلين الكلاميين " لا تؤاخذني ولا ترهقني" على معناهما الحرفي الذي سيقا له، بل تعديا إلى معنى التَّعطف والتماس عدم المآخذة «لأنَّه قد يؤاخذه على النسيان مُآخذة من لا يصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطرٍ... وبُنِيَ كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان ولم يُبْنَ على الاعتذار بالنسيان كأنَّه رأى نفسه محقوقاً بالمؤاخذة فكان كلاماً بديع النَّسيج في الاعتذار»[2]. فالنبي موسى عليه السلام لم يقصد إنجاز فعل النهي، وإنما قصد فعل التعطف والتماس العفو والصفح لما بدر منه من نسيان ومخالفة الشرط.

ويرى صاحب كتاب إعراب القرآن أن قول موسى عليه السلام ﴿لاَ تُؤَاخِذنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ توريةً لأنه «أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامه بأنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار ... يسمى هذا النوع من معاريض الكلام، والمعاريض جمع معراض وهو هنا إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب»[3].

ب-القوة الإنجازية المستلزمة: مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر، وجواز الإشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة[4].

---

[1]- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص 330.

[2]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج15، ص 376.

[3]- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995،ج6،ص 12.

[4]- ينظر : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003، ج3، ص 275.

6-الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة محمد صلى الله عليه وسلم:

1/- التحذير:

قال تعالى: ﴿ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ ٱلمُمتَرِينَ﴾[1]

جاء الفعل التوجيهي في هذا الخطاب القرآني متمثلاً في الملفوظ" لا تكن" الصادر من الله عز وجل والموجه إلى الرسول صلى الله وهو ما نلاحظه في ظاهر الخطاب، وكان سبب نزول هذه الآية وما قبلها من أول السورة إلى هنا المباهلة فيما قد رُوي أن وفد نجران قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما قالوا: كل آدمي له أبٌ فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله تعالى على رسوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن﴾[2]. ولما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم من التردد والمجادلة أرشده ربه تعالى إلى طريق التخلص منهم وهو المباهلة* بأن يجتمعوا ويقول كل فريق: اللهم إلعن الكاذب منا، ومن كان كاذباً منهم يهلك على الفور فقال له ربّه تعالى ﴿فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلعِلمِ فَقُل تَعَالَوا۟ نَدعُ أَبنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلكَـٰذِبِينَ﴾[3] ، فخرج في الغد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين إلا أن النصارى عرفوا الحق وخافوا إن لاعنوا هلكوا فهربوا من الملاعنة، ودعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأبوا ورضوا بالكفر إبقاءً على زعامتهم ودنياهم ورضوا

[1]- سورة آل عمران، الآية 60.

[2]- سورة آل عمران، الآية59.

[3]- سورة آل عمران، الآية 61.

بالمصالحة فالتزموا بأداء الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم الباطل[1]، فتكون بذلك قد عالجت هذه الآية مسألة عقائدية تمثلت في تقرير عبوديّة عيسى ورسالته دون ربوبيتّه وألوهيته.

تتشكل بنية جملة الفعل الكلامي "لا تكن" من:

1-فعل القول: "الحقُ" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا الحق مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره+ " "من رَبِّكَ" من حرف جر و "رَبِّكَ" اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة والكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه+ العامل الحجاجي الفاء الذي أفاد العطف+ لا الناهية الجازمة+ "تَكُونَنَّ فعل مضارع ناقص مبني على الفتحة في محل جزم واسمها ضمير مستتر تقديره "أنت"+ "مِنَ الْمُمْتَرِينَ" من حرف جر والممترين اسم مجرور بمن وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم، وشبه جملة جار ومجرور في محل نصب خبر كان.

* المباهلة في لغةً: البَهْل: اللعن، وبَهَله الله بَهْلاً أي :لعنه، وباهل القوم بعضهم بعضاً وتَبَاهَلُوا وابْتَهَلُوا :تلاعنوا، والمُبَاهَلَةُ : الملاعَنَةُ، يقال :بَاهَلْتُ فُلاناً: أي لاعَنْتُهُ. والمباهلة في الدعاء إذ اجتهد. والابتهال: التضرع والاجتهاد في الدعاء اخلاصه لله عز وجل، وفي التنزيل العزيز قال تعالى ﴿فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلعِلمِ فَقُل تَعَالَواْ نَدعُ أَبنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَتَ **ٱللَّهِ** عَلَى ٱلكَٰذِبِينَ﴾ سورة ال عمران، الآية 61.والخلاصة أن معنى المباهلة في اللغة: الدعاء باللعنة بتضرع واجتهاد. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ج1، ص375.

أما في القرآن الكريم فقد سلك القرآن الكريم هذا أسلوب –المباهلة– في مجادلة المشركين المبطلين الذين يتكبرون عن قبول الحق، ويصرون على باطلهم وضلالهم مع قيام الحجة عليهم، وظهور الحق لهم؛ حيث أمر الله . تعالى . نبيه صلى الله عليه وسلم أن يباهل نصارى نجران حينما جادلوه في أمر عيسى عليه السلام فلم يقبلوا الحق الذي جاء به من عند الله . تعالى بل أصروا على عقيدتهم ومقولتهم الباطلة في عيسى عليه السلام. ينظر: أبو عاصم النبيل، سؤال عن موضوع المباهلة، أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج28، ص22،2023/10/362، 02:43، https://al-maktaba.org/book/31621/13864

[1]- ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص 325.

2-العناصر الإحالية: يحيل كل من العنصر الإشاري الشخصي المستتر المتمثل في الضمير "أنت" والظاهر المتمثل في "الكاف" في ربك إلى الطرف الموجه إليه الخطاب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- الاستلزام المنطقي: ويمثل في **العلاقة الإجمال بعد التفصيل،** حيث جاء جملة قوله تعالى ﴿ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[1] إجمالٌ للآيتين السابقتين ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝﴾[2] التي فصلتا قضية حقيقة خلق عيسى عليه السلام، فقدرة الله عزّ وجل في خلق عيسى من غير أبٍ كقدرته تعالى في خلق آدم من غير أبٍ ولا أُمٍ، وادّعاء البُنُوَّة في عيسى عليه السلام بكونه مخلوقاً من غير أبٍ ذلك باطل، فجاءت هذه الآية «لإبْطالِ عَقِيدَةِ النَّصارى مِن تَأْلِيهِ عِيسى، ورَدِّ مَطاعِنِهِمْ في الإسْلامِ وهو أقْطَعُ دَلِيلٍ بِطَرِيقِ الإلْزامِ؛ لِأنَّهم قالُوا بِإلَهِيَّةِ عِيسى مِن أجْلِ أنَّهُ خُلِقَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ولَيْسَ لَهُ أبٌ، فَقالُوا: هو ابْنُ اللَّهِ، فَأراهُمُ اللَّهُ أنَّ آدَمَ أوْلى بِأنْ يُدَّعى لَهُ ذَلِكَ، فَإذا لَمْ يَكُنْ آدَمُ إلَهًا مَعَ أنَّهُ خُلِقَ بِدُونِ أبَوَيْنِ فَعِيسى أوْلى بِالمِخْلُوقِيَّةِ مِن آدَمَ»[3]. فحقيقة هذا الخلق هو هذا الحق؛ أي: هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْحَقُّ فِي عِيسَى الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَلَا صَحِيحَ سِوَاهُ وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَال[4].

4-الاقتضاء: يقتضي ظاهر الخطاب أنه عليه السلام كان شاكاً في صحة ما أُنزل عليه وذلك غير جائز في حقه، وفي هذا الصدد ذكر الرازي مسائل في الإجابة عن هذا القول[5]:

[1]- سورة آل عمران، الآية 60.

[2]- سورة آل عمران، الآية 58.

[3]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،ج3، ص 263.

[4]- ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 42.

[5]- ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص 245.

5–القوة الإنجازية الحرفية من الرأي الأول: يحمل هذا الفعل الكلامي دلالة النهي في حرفيته، **فالمحتوى القضوي** لهذا الخطاب وإنْ كانَ ظاهِرُهُ مَعَ النَّبِيِّ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ – إلّا أنَّهُ في المِعْنى مَعَ الأُمَّةِ ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ياأيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ﴾[1].

6– القوة الإنجازية الحرفية من الرأي الثّاني: في حالة **اعتبار أن** لخطاب موجه خِطابٌ لِلنَّبِيِّ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ – يكون هذا النهي من **باب التهييج لزيادة الثبات على العقيدة** والمعناه: «فَدُمْ عَلى يَقِينِكَ وعَلى ما أنْتَ عَلَيْهِ مِن تَرْكِ الِامْتِراءِ»[2].

7–القوة الإنجازية الحرفية: تحذير الأمة من الامتراء «وهَذِهِ عادَةُ القُرْآنِ في كُلِّ تَحْذِيرٍ مُهِمٍّ لِيَكُونَ خِطابُ النَّبِيءِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وهو أقْرَبُ الخَلْقِ إلى اللَّهِ تَعالى وأوْلاهم بِكَرامَتِهِ دَلِيلًا عَلى أنَّ مَن وقَعَ في مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الأُمَّةِ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذابِ ولَيْسَ لَهُ مِنَ النَّجاةِ بابٌ»[3] .

8–القوة الإنجازية المستلزمة الأولى: التعريض، حيث اعتبر صاحب تفسير التحرير والتنوير أن الغرض من هذه الآية يتمثل في **التعريض** لأن «المعَرَّضُ بِهِمْ هُنا هُمُ النَّصارى الممْتَرُونَ الَّذِينَ امْتَرُوا في الإلَهِيَّةِ بِسَبَبِ تَحَقُّقِ أنْ لا أبَ لِعِيسى»[4]. وقد ذكر تفسير روح المعاني أن لهذا الأُسْلُوبِ فائِدَتَيْنِ[5]:

9– القوة المستلزمة الثانية: تنبيه السامع بهذا الخطاب على الابتعاد عن كل ما يُوَرثُ الامتراء.

10–القوة الإنجازية المستلزمة الثالثة: التسلية بالتنظير والتمثيل لا الإخبار والتقرير، فاختيار قصة موسى عليه السلامة وتضمينها في قصة محمد صلى الله عليه وسلم كان لحكمة مفادها «أنَّه أحَدٌ مِنَ الأنْبِياءِ لَمْ يُؤْذِهِ قَوْمُهُ إلّا الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وأمّا الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ فَلَمْ يُخالِفُوهُ غَيْرَ قَوْمٍ

[1]– سورة الطلاق، الآية01.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص28

[3]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج3، ص 263.

[4]– المرجع نفسه،ج3، ص 264.

[5]– ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص 179.

مُوسى، فَإِنَّ مَن لَمْ يُؤْمِن بِهِ آذاهُ مِثْلُ فِرْعَوْنَ وغَيْرِهِ، ومَن آمَنَ بِهِ مِن بَنِي إسْرائِيلَ أيْضًا آذاهُ بِالمخالَفَةِ وطَلَبِ أشْياءَ مِنهُ مِثْلَ طَلَبِ رُؤْيَةِ اللَّهِ جَهْرَةً،»[1].

وقد تكرر هذا الفعل الكلامي التوجيهي في قوله تعالى﴿ فَالُوٓاْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾[2] ، الذي جاء في سياق قصة ضيف إبراهيم عليه السلام حيث حمل الفعل الكلامي فيها **دلالة الموعظة** حيث نهوه بطريقة الأدب أن يكون من زمرة القانطين **تحذيراً له مما** يدخله في زمرتهم فقد «نَهَوْهُ عَنِ اسْتِبْعادِ ذَلِكَ بِأنَّهُ اسْتِبْعادُ رَحْمَةِ القَدِيرِ، بَعْدَ أنْ عَلِمَ أنَّ المَبَشِّرِينَ بِها مُرْسَلُونَ إلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فاسْتِبْعادُ ذَلِكَ يُفْضِي إلى القُنُوطِ مِن رَحْمَةِ اللَّهِ فَقالُوا: فَلا تَكُنْ مِنَ القانِطِينَ، ذَلِكَ أنَّهُ لَمّا اسْتَبْعَدَ ذَلِكَ اسْتِبْعادَ المُتَعَجِّبِ مِن حُصُولِهِ كانَ ذَلِكَ أثَرًا مِن آثارِ رُسُوخِ الأُمُورِ المُعْتادَةِ في نَفْسِهِ بِحَيْثُ لَمْ يُقْلِعْهُ مِنها الخَبَرُ الَّذِي يَعْلَمُ صِدْقَهُ فَبَقِيَ في نَفْسِهِ بَقِيَّةٌ مِنَ التَّرَدُّدِ في حُصُولِ ذَلِكَ فَقارَبَتْ حالُهُ تِلْكَ حالَ الَّذِينَ يَيْأسُونَ مِن أمْرِ اللَّهِ» [3].

وهَذا النَّهْيُ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعالى لِنُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلامُ – ﴿إنِّي أعِظُكَ أنْ تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾[4]. ونَهْيَ الإنْسانِ عَنِ الشَّيْءِ لا يَدُلُّ عَلى كَوْنِ المنهِيِّ فاعِلًا لِلْمَنهِيِّ عَنْهُ [5] كَما في قَوْلِهِ ﴿ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ﴾[6].

وقد ورد هذا الفعل الكلامي أيضاً في قوله تعالى مخاطباً صلى الله عليه وسلم الذي حمل معنى **التثبيت** ﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِريَة مِّن لِّقَابِهِۦ ۖ وَجَعَلنَٰهُ هُدى

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص 245.

[2]– سورة الحجر، الآية 55.

[3]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج14، ص 59.

[4]– سورة هود، الآية 46.

[5]–ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص 358.

[6]– سورة الأحْزابِ،الآية01

لِّبَنِي إِسرَٰءِيلَ﴾[1] «أيْ لا يَكُنِ الشَّكُّ مُحِيطًا بِكَ ومُتَمَكِّنًا مِنكَ، أيْ لا تَكُنْ مُمْتَرِيًا في أنَّكَ مِثْلَهُ سَيَنالُكَ ما ناله من قومه، والخطاب يجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم، فالنَّهي مُستعمل في طلب الدَّوام على انتفاء الشَّك فهو نهيٌ مقصود منه التَّثبيت وليس لطلب انكفاف عن المِرْيَةِ لأنها لم تقع من قبل»[2].وهو كَقَوْلِهِ ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِمّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾[3].

7/–فحص مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام:

بعد تتبع وتحليل الأفعال الكلامية المنهي في قصص الأنبياء، يظهر لنا تحقق **شرط المحتوى القضوي** لهذه النواهي التي تتجلى في قضية دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقومهم للإيمان بالله وتوحيده. تتسم هذه القصص بأن كلا أقطاب الخطاب على علم ووعي بالقضية إلا أنهم نكروها وكذبوها.

– **بخصوص الشرط التمهيدي** فقد تحقق من طرف الأنبياء فقط، حيث أنهم كانوا قادرين على تبليغ رسالة ربهم ودعوة أقومهم لفترة طويلة دون كلل. بينما لم يتحقق هذا الشرط من طرف أقومهم لأنهم لم يستجيبوا لأوامرهم ولا لنواهيهم بل عرضوا عنها واستمروا في كفرهم، ويظهر ذلك بوضوح في قول الله تعالى﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[4] .

–بالنسبة للشرط الإخلاص فيتحقق عندما يكون المتكلم مخلصًا وصادقًا في أداء الفعل الإنجازي، فنوح عليه السلام وسائر الأنبياء لم يتحدثوا إلا بما أوحي إليهم من ربهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا

[1]- سورة السجدة، الآية 23.

[2]– محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج21، ص235.

[3]– سورة هود، الآية 109.

[4]– سورة المؤمنون، الآية25.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[1].

–أما الشرط الأساسي فيتحقق عندما يحاول المتكلم التأثير في المتلقي لينجز الفعل، وقد تحقق هذا الشرط في خطابات الله عز وجل لأنبيائه والمؤمنون، وفي خطاب الملائكة لمريم وإبراهيم عليهما السلام، وفي خطاب الأنبياء لأقوامهم ومع ذلك فإن الأفعال الكلامية التوجيهية في هذا الخطاب الأخير قد فشلت في تحقيق تأثيرها، حيث لم تجد خطاباتهم قبولًا لا من قومهم ولا من آباءهم وذويهم رغم تنوع وتعدد أساليب الدعوة. على سبيل المثال حاول النبي نوح عليه السلام إنقاذ ابنه من الهلاك بأسلوب لينٍ ورفقٍ وعطفٍ وشفقة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾[2]. غير أن ابنه أبى نصيحة أبيه وهو ما يوضحه فوله تعالى ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[3].

8–فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني:

1– في الخطابات الموجه من الأنبياء إلى أقوامهم:

أ–المعايير المقالية: يمكن تفسير المعايير اللغوية والشكلية المتعلقة ببنية الأفعال اللغوية في الخطابات الموجه من الأنبياء إلى أقوامهم من خلال تحليل الخطابات التوجيهية الأمرية الصادرة من الأنبياء والموجه إلى أقوامهم:

[1]– سورة النساء، الآية 163.

[2]– سورة هود،الآية42.

[3]– سورة هود، الآية 43.

1-**اشتمال الجمل على أفعال كلامية توجيهية:** فقد اشتملت خطابات الأنبياء إلى أقوامهم أفعال كلامية توجيهية تمثلت في الملفوظات الآتية " لا تعلوا" في خطاب نوح لقومه ﴿ وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقوله أيضاً ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ افْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[2].

و" لا تمسوها" في خطاب صالح لقومه صداقاً لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] ، والفعل الكلامي " لا تعثوا" في خطاب موسى لقومه مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4] وقوله أيضاً ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[5].

2-**عدم تحقق شرط وجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** فالفاعل في هذه الخطابات التوجيهية هو أقوام الأنبياء على الرغم من أن المتكلم وهم الأنبياء نوح وصالح وموسى عليهم السلام.

3-**زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر:** فخطابات النهي الصادرة من الأنبياء والموجه إلى أقوامهم كانت مباشرة تقتضي حضور كلا الطرفين في نفس المكان والزمان.

ب-المعايير المقامية: لقياس مدى تحقق شروط المعايير المقالية وجب توفر شروط هذه المعايير في خطابات النهي الموجة إلى أقوام الأنبياء، وفيما يلي تحليلٌ لهذه الشروط:

1-**عدم وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في الخطاب:** على الرغم من التحذيرات الشديدة من القيام بأفعال تلك الكلمات، إلا أنهم استمروا في تنفيذها و أصروا على

[1]- سورة الدخان، الآية19.
[2]- سورة يونس، الآية71.
[3]- سورة الأعراف، الآية73.
[4]- سورة البقرة، الآية60.
[5]- سورة المائدة، الآية21.

ارتكابها ، فعلى سبيل المثال: في قصة النبي صالح عليه السلام في حادثة عقر الناقة ف رغم نهيهم عن عدم إلحاق الأذى بالناقة مهما كان نوعه إلا أنهم أجمعوا على عقرها، في قصة النبي موسى عليه السلام عندما أمر بني إسرائيل بالدخول إلى الأرض المقدسة ونهاهم عن الارتداد، إلا أن بعضهم ارتدوا عن الإيمان وعصوا أوامره.

2-لم يتحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق لا في ظروف ملائمة ولا بواسطة أشخاص مناسبين- ظرف العناد والإصرار على الكفر- ولا بواسطة أشخاص مناسبين وهم الطرف الثاني الموجه إليهم خطاب النهي وهم أقوام الأنبياء.

3-لم يقم الطرف المخاطِب بأداء دوره على أكمل: وهو الامتثال لنواهي الأنبياء، فخطاب النهي عن إلحاق الأذى بالناقة قُوبل من طرف القوم بالعقر، أيضاً النهي عن الارتداد قُوبل بالارتداد.

4- تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون في الخطاب ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل.

5- تحقق شرط وجود "أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي في خطاب موسى لبني إسرائيل ونهيه عن الارتداد علل قومه رجوعهم عن أمره بقولهم ﴿إِنَّ فِيهَا فَوما جَبَّارِينَ﴾[1] فالخوف حالة شعورية اختلجت بني اسرائيل عند دخولهم الأرض المقدسة بين تحقق هذا الشرط من طرف المتلفظ بالفعل اللغوي: وهو ما يظهره نهي الأنبياء لأقوامهم وتعليلهم لسبب هذا النهي، أيضاً تحقق هذا الشرط عند المتلفظ بالفعل اللغوي وهو ما يظهر في خطاب موسى عليه السلام مع قومه إذ نلمح الشعور الخوف من القتل مصداقا لقوله تعالى على لسان موسى ﴿وإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى ورَبِّكم أنْ تَرْجُمُونِ﴾[2] ، واستعاذة موسى كانت لعلمه «أنَّ من عادَتَهم في عِقابُ مَن يُخالِفُ

[1]- سورة المائدة، الآية 22.

[2]- سورة الدخان، الآية20.

دِينَهم بِالقَتْلِ رَمْيًا بِالحِجارَةِ كما وجاءَ في سُورَةِ القَصَصِ ﴿فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[1] ومَعْنى ذَلِكَ إنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِما جِئْتُ بِهِ فَلا تَقْتُلُونِي»[2].

2- في الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى نبيه إبراهيم عليه السلام والمؤمنون:

أ-المعايير المقالية: لقياس مدى تحقق الشروط المقالية في الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى رسله عليهم السلام والمتمثل في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[3] وفي قوله تعالى﴿ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[4].

1-اشتمال الجمل على فعل إنجازي توجيهي جاء على صيغة النهي تمثل في الملفوظين" لا تشرك" و"لا تكفرون" الذي حمل الدلالة الحرفية لفعل النهي عن الشرك والكفر بالله.

2-عدم تحقق شرط وجوب كون فاعل هذا الفعل هو نفسه المتكلم: فالمتكلم في هذا الخطاب هو الله عز وجل أما فاعل فعل عدم الشرك فقد اختلف عند المفسرين فإذا كان المقصود بالخطاب هو إبراهيم عليه السلام كانت هذه الآية «طعنٌ على من أشرك من قُطان البيت، أي هذا كان الشَّرط على أبيكم فمن بعده أنتم فلم تفُوا بل أشركتم»[5]،أما إذا كان المقصود بالخطاب هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت هذه الآية «تقريعٌ وتوبيخٌ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أوّل يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فَذَكَرَ تعالى أنّه بوأ إبراهيم مكان

[1]- سورة الشعراء، الآية 14.

[2]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج25، ص298.

[3]- سورة الحج، الآية26.

[4]- سورة البقرة، الآية152.

[5]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص37.

البيت، أي: أرشده إليه وسلَّمه له وأذن له في بنائه. »[1]. أما الفعل الكلامي "لا تكفرون" فقد تم من طرف المؤمنين.

3-زمن المتكلم هو زمن الحاضر: جاء خطاب النهي موجهاً إلى كل من النبي إبراهيم عليه السلام والمؤمنون عن طريق الوحي، فيكون بذلك هذا الفعلين الكلاميين داخلٌ في الموحى به بدليل أن الله عز وجل أمر إبراهيم عليه السلام ببناء البيت وأرشده إليه بوحيٍ من الله عز وجل «فلَمّا أمَرَهُ بِبَناءِ البَيْتِ لَمْ يَدْرِ أيْنَ يَبْنِي فَأرْسَلَ اللَّهُ تَعالى لَهُ الرِّيحَ الخُجُوجَ فَكَشَفَتْ عَنْ أُسِّهِ القَدِيمِ فَبَنى عَلَيْهِ»[2]. والفائدة من إرداف الكلامي التوجيهي " لا تكفرون" بالأمر ليُفيد عموم الأزمان[3].

ب-المعايير المقالية: تحققت هذه المعايير في خطاب النهي الصادر من الله عز وجل والموجه إلى نبيه إبراهيم عليه السلام والمؤمنين والمتمثل في الخطابين ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[4] و﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[5] ، حيث تم تحقق جميع الشروط وبالتالي نجاح الفعل الكلامي وهو بناء البيت وتطهيره وعدم الشرك بالله، وفيما يلي توضيح لهذه الشروط:

1-تحقق شرط وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في الخطاب حتى يتحقق الفعل المتلفظ به، فالنبي إبراهيم عليه السلام ولمؤمنين موقنٌون بأن خطاب النهي واجب التنفيذ على وجه الإلزام.

---

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ،ج5، ص 363.

[2]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، 1415هـ، ، ج9، ص135.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص417.

[4]- سورة الحج، الآية 26.

[5]- سورة البقرة، الآية 152.

2-**تحقق شرط تطبيق هذا الفعل اللغوي في ظروف ملائمة وأشخاص مناسبين:** فقد تحقق شرط تنفيذ هذا الفعلين اللغويين التوجيهيين" لا تشرك" و"لا تكفرون" من طرف إبراهيم عليه السلام والمؤمنين وفي ظروف مناسبة وهي بناء البيت للعبادة والتوحيد لما كان في ذلك الزمان من كفر.

3-قيام الطرف المخاطِب وهو النبي إبراهيم عليه السلام بأداء دوره على أكمل وجه في دعوته لقومه وفي تنفيذ فعل بناء البيت.

4-تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل، فقد تم إنجاز هذا الفعل فعل بناء البيت من طرف النبي إبراهيم عليه السلام.

5- تحقق شرط وجود" أفكار ونوايا ومشاعر" مسبقة عند منفذ الفعل اللغوي ليؤدي فعله بصفة مرضية وهو ما نلمح في الخضوع والاستسلام لأوامر ونواهي الله عز وجل.

3- الخطاب الموجه من النبي إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل:

أ-المعايير المقالية: لقياس مدى تحقق الشروط المقالية في خطاب النهي الصادر من النبي إبراهيم عليه السلام والموجه إلى الله عز وجل المتمثل في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[1] وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط المقالية، وفيما يلي تحليل لهذا الخطاب وفق الشروط الآتية:

1-**اشتمال الجملة على فعل إنجازي توجيهي** تمثل في الملفوظ" لا تخزني" الذي لأصلية إلى خرج عن دلالته المباشرة إلى معنى الدعاء.

2-**عدم تحقق رط وُجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** فالمتكلم في هذا الخطاب هو النبي إبراهيم عليه السلام خاطب الله عز وجل ودعاه بعدم الإخزاء يوم القيامة، ففاعل فعل النصرة هو الله عز وجل.

[1]- الشعراء، الآية87 .

3-زمن الفعل هو زمن المتكلم المخاطب: جاء دعاء النبي إبراهيم عليه السلام بعد أن فشل في دعوته قومه بسبب إصرارهم على الكفر وكانت هذه «آخِرُ مَقالِهِ في الدَّعْوَةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ مُتَضَمِّنًا دُعاءً بِطَلَبِ المِغْفِرَةِ تَخَلَّصَ مِنهُ إلى الدُّعاءِ بِما فِيهِ جَمْعُ الكَمالِ النَّفْسانِيِّ بِالرِّسالَةِ وتَبْلِيغِ دَعْوَةِ الخَلْقِ إلى اللَّهِ»[1].

ب-المعايير المقامية: لقياس مدى تحقق هذه المعايير في هذا الخطاب التوجيهي وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق الشروط الآتية:

1-**وجود اتفاق بين المشاركين في عملية الخطاب** فدعاء إبراهيم عليه السلام كان بعد أصرار قومه وأبيه على الكفر، وكان سؤاله عليه السلام بعدم الإخزاء يوم القيامة «لِأنَّهُ أرادَ أنْ لا يَلْحَقَهُ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يَنْكَسِرُ مِنهُ خاطِرُهُ وقَدِ اجْتَهَدَ في العَمَلِ المُبَلِّغِ لِذَلِكَ واسْتَعانَ اللَّهَ عَلى ذَلِكَ وما بَقِيَتْ لَهُ حَزازَةٌ إلّا حَزازَةَ كُفْرِ أبِيهِ فَسَألَ المِغْفِرَةَ لَهُ؛ لِأنَّهُ إذا جِيءَ بِأبِيهِ مَعَ الضّالِّينَ لَحِقَهُ انْكِسارٌ ولَوْ كانَ قَدِ اسْتُجِيبَ لَهُ بَقِيَّةُ دَعَواتِهِ، فَكانَ هَذا آخَرَ شَيْءٍ تَخَوَّفَ مِنهُ لَحاقَ مَهانَةٍ نَفْسِيَّةٍ مِن جِهَةِ أصْلِهِ لا مِن جِهَةِ ذاتِهِ»[2].

2 -تحقق شرط تطبيق هذا الفعل اللغوي من طرف إبراهيم عليه السلام فبالرغم من أصرار أبيه على العصيان والكفر إلا أنه دعا لأبيه بالمغفرة.

3-قيام الطرف المحاطِب وهو إبراهيم عليه السلام بأداء دوره على أكمل في دعوته لقومه ولأبيه مصداقا لقوله تعالى ﴿قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾[3] .

[1]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج19، ص 144.
[2]- المرجع نفسه، ج19، ص 146.
[3]- سورة مريم، الآية 47.

4-تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه إبراهيم عليه السلام ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل وهو سؤال الله عز وجل ليغفر لأبيه وهو ما يظهر في قوله تعالى ﴿فالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبّى إِنَّهُ كانَ بِى حَفِيًّا﴾[1] ، وقوله أيضاً ﴿واغْفِرْ لِأبِى إِنَّهُ كانَ مِنَ الضّالِّينَ﴾[2].

5-تحقق شرط وجود "أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي وهو ما نلمحه في نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه ب "يا أبت" كما في قوله تعالى﴿أَبَتِ إِنّى فَد جَاءَنِى مِنَ ٱلعِلمِ مَا لَم يَأتِكَ فَـٱتَّبِعنِى أَهدِكَ صِرَاطا﴾ [3] ، وقد كرر هذا النداء للفت انتباهه وإيقاظ نفسه وتهيئة ذهنية لقبول الحجج غير أن آزر أصر على كفره.

4- في الخطاب الموجه من الملائكة لإبراهيم عليه السلام:

أ-المعايير المقالية: يمكن تفسير المعايير اللغوية والشكلية المتعلقة ببنية الفعل الكلامي التوجيهي من خلال تحليل الخطاب التوجيهي الصادر من الملائكة والموجه إلى إبراهيم عليه السلام والمتمثل في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً فَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[4] ، وقوله أيضاً ﴿ فَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾[5] .

[1]- سورة مريم، الآية 47.
[2]- سورة الشعراء ،الآية86.
[3]- سورة مريم، الآية 43
[4]- سورة هود،الآية70.
[5]- سورة الحجر،الآية55

1-**اشتمال الجملة على فعل كلامي توجيهي** وهما الفعلين "لا تخف" و"لا تكن" الصادرين من الملائكة والموجهين لإبراهيم عليه السلام اللذين حملا دلالة بعث الإطمئنان

2-**عدم تحقق شرط وجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** فالمتلفظ بهذه الأفعال التوجيهية هي الملائكة، أما منفذ هذين الفعلين فهو النبي إبراهيم عليه السلام.

3-**زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر:** تحقق هذا الشرط في هذا الخطاب التوجيهي وذلك أن هذين الفعلين قد صدرا من الملائكة في حضور إبراهيم عليه السلام فقد حلوا ضيفاً عليه في بيته، الأمر الذي يقتضي أن يكون كلا من طرفي الخطاب في زمان ومكان واحد.

ب-المعايير المقامية:

1-وجود اتفاق متعارف عليه لدى المشاركين في الخطاب وهو أن الملائكة هي رسل من الله حلت ضيفاً على إبراهيم عليه السلام، وهذا الأمر علمه إبراهيم عليه السلام بعد أن امتنعوا عن الأكل لذلك توجس منهم خيفة فقالوا﴿ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[1] .

2-تحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق في ظروف ملائمة وبواسطة أشخاص مناسبين.

3-قيام الطرف المخاطِب بقيام بأداء دوره على أكمل وجه وهو ما نستشفه من قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[2].

4-**عدم تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتا إلى نهاية الفعل،** فبعد توجس الخوف في روع النبي إبراهيم عليه السلام نهته الملائكة عن الخوف طمأنةً له وبشرته بالولد ونهيه عن القنوط من رحمة الله.

[1]- سورة هود، الآية50.

[2]- سورة هود، الآية 69

5-**تحقق شرط وجوب "أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي ليؤدي فعله بصفة مرضية:** فكان تعجب إبراهيم عليه السلام من البشارة بالولد وهو في هذه السن باعتبار العادة لا القدرة فهو يعلم أن الله قادر على كل شيء.

5- خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر ونوح عليه السلام لإبنه:

أ-المعايير المقالية: وهي المعايير المتعلقة بالجانب الشكلي لبنيه الفعل وقد تحققت في خطاب النهي الصادر من إبراهيم عليه السلام والموجه إلى أبيه آزر والمتمثل في قوله تعالى ﴿ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[1] وقوله أيضاً ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

1-اشتمال الجمل على فعل كلامي توجيهي: اشتمل الخطاب التوجيهي الموجه من إبراهيم عليه السلام لأبيه على فعلاً كلامياً توجيهياَ، تمثل في الملفوظ " لا تعبد" الذي حمل دلالة التخويف والتحذير ، وخطاب ونوح عليه السلام لابنه أيضاً تضمن فعل كلامي توجيهي تمثل في الملفوظ " لا تكن" الذي تضمن دلالة التحذير من الهلاك فلا يلائمه النهي عن الكفر لان العذاب قد حل.

2- تحقق شرط وجوب كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم: تم استيفاء هذا الشرط، فالفاعل في هذا الخطاب هو النبي إبراهيم ونوح عليهما السلام، وهما نفسهما المتلفظان بالفعلين الكلاميين التوجيهيين، أما الطرف الواجب عليه تنفيذ هذا الفعل الكلامي فهما آزر وابن نوح عليه السلام.

3-**تحقق شرط وجوب كون زمن المتكلم الزمن الحاضر:** فخطاب كلا النبيين كان خطاباً تواصليًا مباشراً يقتضي الإشتراك في نفس الزمان والمكان، وكانت الغاية من توظيف النداء من تنبيه المخاطِب وتهيئته لسماع الخطاب.

[1]- سورة مريم، الآية 44.

[2]- سورة هود، الآية42.

ب–المعايير المقامية: لم تتحقق هذه المعايير في هذين الخطابين وذبك بسبب اختلال بعض الشروط، وفيما يلي توضيح لهذه الشروط:

1–عدم وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعارف عليه لدى المشاركين في عملية التواصل حتى يتحقق الفعل المتلفظ به، وذلك أن آزر قد أصر على كفره بدليل قوله لإبنه عليه السلام ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1] وقوله أيضاً على لسان قومه ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[2]. بينما النبي إبراهيم عليه السلام جاء بدينٍ جديدٍ يخالف ما تواضعوا عليه.

أيضاً بالنسبة للنبي نوح عليه السلام مع ابنه لم يتحقق هذا الشرط بسبب اصرار ابنه على الكفر والتثبت على دين قومه وبالتالي هلاكه ولم يأخذ بنصيحة أبيه، فلو تحقق هذا الشرط وكان هناك عرف مقبول ومتعارف عليه بين أطراف الخطاب لتحقق فعل النهي عن عبادة الأصنام وبالتالي إيمان آزر، ونجاة ابن نوح عليه السلام من الهلاك.

2–لم يتحقق شرط تطبيق هذا الاتفاق لا في ظروف ملائمة ولا بواسطة أشخاص مناسبين فكان مقام الخطاب مقام عناد وإصرار على الكفر من طرف آزر وابن نوح عليه السلام.

3–لم يتحقق شرط قيام الطرف المخاطِب بأداء دوره على أكمل وجه وهو ما يوضحه خطاب الأمر الصادر من آزر والموجه إلى إبراهيم عليه السلام المتمثل في قوله تعالى﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [3]. أيضاً في قصة نوح

[1]- سورة مريم، الآية46.

[2]- سورة الأنبياء،الآية53.

[3]- سورة مريم،الآية46

عليه السلام مع ابنه لم يتحقق هذا الشرط بسبب عناد ابنه وإصراره على ما هو عليه بدليل قوله تعالى على لسان ابنه ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[1].

4- شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل: فقد تحقق هذا الشرط بالسلب بالنسبة لكل من آزر وابن نوح عليه السلام في ثباتهما واصرارهما على الكفر وبالتالي لم يتحقق الفعل التوجيهي، وبالإيجاب بالنسبة للنبيين إبراهيم ونوح عليهما السلام فقد ثبتا على موقفهما في الدعوة والنصح والإرشاد رغم ما لقياه من غلظة وقسوة وعناد.

5-لم يتحقق شرط وجود" أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي: بدليل أن آزر لم يحافظ على علاقة الأبوة بل قابل نصائح ابنه بالغلظة والقسوة وهو ما يوضحه قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[2] .

أيضا لم يتحقق هذا الشرط بالنسبة لابن نوح عليه السلام إذ لم يأخذ بنصيحة أبيه ورفضها، بينما تحقق هذا الشرط عند الطرف المخاطَب وهما نوح وإبراهيم عليه السلام، ويظهر هذا الشرط جلياً في تصدير إبراهيم خطاباته بالفظ النداء" يا أبت" وبذلك يكون قد حافظ على علاقة القرب وكان هذا دليلاً «عَلى شِدَّةِ الحُبِّ والرَّغْبَةِ في صَوْنِهِ عَنِ العِقابِ وإرْشادِهِ إلى الصَّوابِ»[3] وأيضا قوله﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيطَـٰنِ وَلِيًّا﴾[4] دليلاً على شدة تعلق قلبه بمصالحه[5].

وفي قصة نوح عليه السلام وابنه لم يتحقق هذا الشرط من طرف ابنه ودليل ذلك جفاء ابنه وعدم الإنصياع لإرشادات أبيه، بينما تحقق بالنسبة لنوح عليه السلام بدليل ندائه ب "يا بني" في قوله

---

[1]- سورة هود، الآية 43.

[2]- سورة مريم، الآية46.

[3]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج21، ص543.

[4]- سورة مريم، الآية45.

[5]-ينظر : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي،مفاتيح الغيب، ج21، ص543.

تعالى﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَا بُنَىَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، والتصغير هنا تصغير شفقة كونه كالصغير الذي يكون في محل الشفقة.

6- في خطاب الذي جرى بين موسى مع أخيه هارون عليهما السلام:

-المعايير المقالية: لقياس مدى تحقق هذه المعايير في الخطاب الذي جرى بين موسى وأخيه هارون عليهما السلام المتمثل في قوله تعالى ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] وقوله أيضاً ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3] وجب علينا تحليل هذا الخطاب وفق المعايير الآتية:

1-**اشتمال الجمل على فعل كلامي توجيهي:** والمتمثل في الملفوظ لا "تتبع" الصادر من موسى عليه السلام والموجه لأخيه الذي حمل دلالة التحذير والفعلين التوجيهين " لا تشمت" و"لا تجعلني" الصادرين من هارون والموجهين إلى موسى عليه السلام اللذين حملا دلالة التماس العطف.

2-**تحقق شرط كون فاعل هذا الفعل هو المتكلم:** فالفاعل في هذه الأفعال التوجيهية هو نفسه المتكلم وهما النبيين موسى وهارون عليه السلام.

[1]- سورة هود،الآية42.

[2]- سورة الأعراف، الآية142.

[3]- سورة الأعراف، الآية150.

3-زمن الفعل هو زمن المتكلم الحاضر: ودليل ذلك أن هذه الأفعال الكلامية جاءت ضمن الحوار الذي جرى بين موسى وهارون عليهما السلام الأمر الذي يفضي بنا إلى زمان الفعل هو زمن الحاضر.

ب-المعايير المقامية: لقياس مدى تحقق شروط المعايير المقالية وجب وتوفر هذه المعايير في خطاب النهي الذي جرى بين النبيين هارون وموسى عليهما السلام، وفيما يلي تحليلٌ لهذه الشروط:

1-وجود اتفاق عرفي مقبول ومتعرف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ حتى يتحقق الفعل المتلفظ به: وهو منح موسى عليه السلام الخلافة لأخيه هارون عليه السلام لأنهما في مقام واحد فهو أحد بالخلافة من أي أحد بدليل قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[1]. وقد نُقِضَ هذا الشرط من طرف قوم موسى عليه السلام بسبب عبادتهم للعجل وهو ما يوضحه قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[2].

2- تحقق تطبيق هذا الشرط في ظروف ملائمة غير أن الأشخاص لم يكونوا مناسبين وهم قوم موسى عليه السلام إذ ارتدوا بعد إيمانهم إلى عبادة العجل.

3-قيام الطرف المخاطِب بدوره على أكمل وجه: وهو ما يتضح في نصح موسى لأخيه هارون وتعليمه قوانين الخلافة مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[3] ، أيضاً قيام هارون بدوره على أكمل وجه في خلافة أخيه رغم ما

[1]- سورة مريم،الآية53.

[2]- سورة الأعراف، الآية 150.

[3]- سورة الأعراف، الآية 142.

قام به القوم من عبادة العجل مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

4-تحقق شرط وجوب ثبات الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى نهاية إنجاز الفعل: فقوم موسى عليه السلام ثبتوا على عبادة العجل حتى بعد عودة موسى عليه السلام وغضبه عليهم. وثبت هارون عليه السلام في نصحهم مصلحاً أمورهم آخذاً بنصيحة أخيه مصداقا لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى﴾[2].

5-تحقق شرط وجود "أفكار ونوايا ومشاعر" عند منفذ الفعل اللغوي ودليل ذلك فداء هارون لموسى عليه السلام ب "يا ابن أم" تذكيراً له بالعلاقة التي تجمعهم وهي كلمة لينٍ وعطفٍ[3] مصداقاً لقوله تعالى على لسان هارون عليه السلام ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4].

أيضاً تحقق هذا الشرط من طرف موسى عليه السلام وهو ما يوضحه دعاء موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[5] «فابتدأ مُوسى دُعاءَهُ فَطَلَبَ المِغْفِرَةَ لِنَفْسِهِ تَأَدُّبًا مَعَ اللَّهِ فِيما ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الغَضَبِ، ثُمَّ طَلَبَ المِغْفِرَةَ لِأخِيهِ فِيما عَسى أنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ مِنهُ مِن تَفْرِيطٍ أوْ تَساهُلٍ في رَدْعِ عَبَدَةِ العِجْلِ عَنْ ذَلِكَ، وذِكْرُ وصْفِ

[1]- سورة الأعراف، الآية 150.

[2]- سورة طه، الآية 90.

[3]-ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ج7، ص290.

[4]- سورة الأعراف، الآية150.

[5]- سورة الأعراف، الآية 151 .

الإخْوَةِ هُناكَ زِيادَةٌ في الِاسْتِعْطافِ عَسى اللَّهُ أنْ يُكْرِمَ رَسُولَهُ بِالمغْفِرَةِ لِأخِيهِ كَقَوْلِ نُوحٍ ﴿رَبِّ إنَّ ابْنِي مِن أهْلِي﴾[1] »[2].

7- أنواع الخطاب في القصص القرآني:

-خطاب العام والمراد به الخاص: وقد تمثل هذا النوع في خطاب النهي الصادر من الله عز وجل والموجه إلى أهل الكتاب في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ ﴾[3] تجريدٌ وتخصيصٌ له بالنصارى زجراً لهم عمّا هم عليه من الضّلال[4]، فكان بذلك هذا الخطابُ عاماً إلى اليهود والنصارى في ظاهره ولكنه في حقيقته موجهٌ إلى النصارى فخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضاً لهم بأنهم خالفوا كتابهم[5]، أما قوله تعالى ﴿ لاَ تَغلُواْ فِى دِينِكُم﴾ [6]بمعنى أنتم أي: لا تغلوا في دينكم أنتم وهو خطاب مباشر النصارى.

وإذا ما نظرنا إلى الآيات الواردة في هذا الفصل التطبيقي من زاوية السياق العام نجد أنها تحمل في طياتها **خطابات ضمنية** موجهة في حقيقتها إلى الإرشاد والتوجيه، فقد أعلم الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقصص الأنبياء والأمم السابقة بغية إرشاد أمته ومن تبعه إلى الطريق الحق حتى لا تظل، وهذه القصص صالحة لكل زمان ومكان إلى أن يحق قول الله تعالى ويرث الأرض وما عليها.

---

[1]- سورة هود، الآية45.

[2]- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج9، ص 118.

[3]- سورة النساء، الآية 171.

[4]- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج3 ص 199.

[5]- ينظر: محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج6، ص 50.

[6]- سورة النساء، الآية 171.

9/-فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي:

بعد فحص خصائص الأفعال الكلامية التوجيهية المنهي عنها في القصص القرآني تبَّين أنها تتسم بالوظائف الدلالية ،الإنجازية، والتأثيرية، ففي الخطاب نهي الله الصادر من الله عز وجل والموجه إلى إبراهيم عليه السلام والمؤمنون، وفي خطاب الملائكة لمريم وإبراهيم عليهما السلام تجسدت بوضوح حيث تحقق الأفعال الكلامية الواردة في هذه الخطابات، بينما أخفقت الأفعال الكلامية في إحداث تأثير في المتلقي في كل من خطاب إبراهيم لأبيه ونوح لابنه وفي خطاب النبيين لقومهما بسبب عنادهم ورفضهم للإيمان وهو ما يظهره قوله تعالى قَالَ ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1] وقوله أيضاً ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[2] .

أيضاً فيما يتعلق **بالقصدية،** فقد كان إلحاح الأنبياء على أقوامهم وأقاربهم يهدف إلى تغيير حالهم من الكفر إلى الإيمان وتجنيبهم عذاب الله، وكانوا يستخدمون في خطاباتهم عبارات وألفاظ تكون مألوفة للقوم مما يظهر تكييف الخطاب لتحقيق الفهم والهدف المنشود.

في ختام دراسة أسلوب النهي كفعل كلامي في القصص القرآني، يتجلى بوضوح أن هذا الأسلوب يمثل جزءًا أساسيًا من لغة الخطاب القرآني، إذ يظهر كوسيلة فعّالة لتوجيه الانتباه إلى المواقف السلبية أو الأفعال الضارة، مع التوجيه نحو الطريق الصواب، كما يتسم هذا الفعل الكلامي "النهي" في القرآن بالشمولية والقوة، حيث يتجاوز دلالته الحرفية ليشدد على الإنذار والتحذير من العواقب السلبية للسلوك غير الصحيح.

[1]- سورة مريم،الآية46.

[2]- سورة المؤمنون، الآية 25.

الخـــاتمـــــة

الخاتمــة:

الحمد الله الذي وفقني وسدد خطاي لإتمام هذا البحث وتحديد أهدافه المرسومة، فقد شملت رحلة هذا البحث استكشاف علوم متنوعة، حيث امتدت أفق دراستنا وشملت ميادين اللغة، التداولية، أصول الفقه، البلاغة، والتفسير. وفي ختام رحلتنا البحثية، سنلقي الضوء على أهم النتائج التي توصل إليها البحث المتعلقة بالمنحى التداولي:

1-انتقال دراسة اللغة في الحقل التداولي من اللغة كبينة إلى متكلم اللغة وقدراته، فلم تعد وظيفة اللغة في ظل هذه النظرية- أي التداولية- مرهونة بتصوير الأحاسيس والمشاعر، بل تعدتها إلى ترجمة هذه الأقوال إلى أفعال إنجازية يحكمها السياق.

2-على الرغم من أن التداولية منهج غربي جديد، إلا أنه كفكر تداولي موجود في تراثنا العربي، إذ نلمح ذلك مبثوثاً بوضوح في مباحث البلاغيين وعلماء الأصول وعلماء التفسير. فقد تطرق علماؤنا العرب إلى ما وصلت إليه التداولية من مبادئ وأفكار ومعايير إلا أنهم لم يصطلحوا عليها بمسمياتها الحديثة.

3- تناول علمائنا العرب نظرية الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في سياق حديثهم عن اللفظ وما يخرج إليه.

أمّا نتائج الدراسة التي تعلقت بالجانب التطبيقي الموسوم ب: "الأفعال الكلامية الأمر والنهي في القصص القرآني"، فنحصرها في النقاط الآتية:

1-أفادت الدراسة التداولية حول الأمر والنهي في القصص القرآني فهماً عميقاً للسياق الذي أُستخدم فيه هذان الأسلوبان.

2- كان الخطاب الدعوي التوجيهي وفق ما يقتضيه المقام دون إطناب، مع الاعتماد على الحجج العقلية التي من شأنها التنبيه للخطأ، وبالتالي تغيير السلوك.

3- تظهر القصص القرآنية بوصفها وسيلة للتأثير العميق في نفوس القراء أو السامعين لها، تُصور لنا تجارب حية وواقعية تظهر العواقب المحتملة للتصرفات الخاطئة.

4- يشكل أسلوبي الأمر والنهي في القصص القرآني دعوة مستمرة لتصحيح السلوك وتحسين الأخلاق.

5- تظافرت إجراءات المنهج التداولي في الخطاب القرآني لتحقيق غايته ومقصديته كالأفعال الكلامية، والإشاريات، والاستلزام الحواري، والحجاج، ونظرية الملائمة، ونظرية التأدّب.

6- أفضت الدراسة إلى استجابة الخطاب القرآني إلى آليات التحليل التداولي لنظرية الأفعال الكلامية، كما يتجلى بوضوح الأفعال الكلامية بنوعيها المباشرة وغير المباشرة في النص القرآني.

7- توافرت كل من الآليات الحجاجية البلاغية والمنطقية، وعناصر السياق في الخطاب الدعوي التوجيهي، التي ساعدت على فهم مقاصد الخطاب.

8- ورد أسلوب الأمر والنهي في القصص القرآني بشكل كبير وذلك راجع إلى أسلوب الدعوة، فالنهي الهدف منه دعوة للتقرب والالتزام بما يصلح حال العباد في الدنيا والآخرة، أما الأمر فالهدف منه ترسيخ للعقيدة.

وبعد الخوض في رحاب هذه التجربة العلمية، اتضحت لنا بعض النقاط ستذكرها كتوصيات مقترحة يمكن للباحثين الخوض فيها، نذكر ما يلي:

1-القيام بدراسة إحصائية علمية للأساليب البلاغية الموجودة في القرآن الكريم.

2-العمل على طرح مواضيع متعلقة بالمنحى التداولي مرتبة وفق ترتيب المصحف، بدءاً بالفاتحة إلى غاية السور القصار.

3-اقتراح مواضيع متعلقة بدراسة المنحى التداولي في كتب التفسير مثل "التحرير والتنوير" لابن عاشور ، "مفاتيح الغيب" للرازي وغيرها.

4-تكثيف الأبحاث المتعلقة بالدراسات القرآنية لما فيها من فوائد دينية ودنيوية تعود بالخير على صاحبها. كما تسهم هذه الأبحاث في دعم الاستزادة العلمية حول القرآن وفهمه بشكل أوسع وأعمق.

وبعد ختام مسيرة هذا البحث نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضنا لموضوع الرسالة وتناوله بشكل علمي. فما كان من صواب فهو بفضلٍ من الله، وما كان من خطأ فهو من أنفسنا. ونسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يُنْتَفَعَ به في ميدان العلم والمعرفة.

الفهارس الفنـــيّة:

1-فهرس الشــواهد القرآنية

2- فهرس المصـادر والمراجع

3-فهرس الموضـــوعـــات

فهرس الشواهد القرآنية

السّور	الآيات	رقم الآية
البقرة	﴿وَإِذِ ٱستَسقَىٰ مُوسَىٰ لِقَومِهِۦ فَقُلنَا ٱضرِب بِّعَصَاكَ ٱلحَجَرَ فَٱنبَجَرَت مِنهُ ٱثنَتَا عَشرَةَ عَينا قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشرَبَهُم كُلُواْ وَٱشرَبُواْ مِن رِّزقِ **ٱللَّهِ** وَلاَ تَعثَواْ فِى ٱلأَرضِ مُفسِدِينَ﴾	60
	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾	125
	﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	127
	﴿فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُم وَٱشْكُرُواْ لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾	152
	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	175
	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾	232
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ	258

	الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	
	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	260
آل عمران	﴿ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ ٱلمُمتَرِينَ ﴾	60
	﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	71
	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾	96
النساء	﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾	117
	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾	163

المائدة	﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾	22-21
	﴿لَّقَدۡ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	73
الأنعام	﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	74
الأعراف	﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾	62-59
	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا	74-73

	﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾	
	﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِن بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَئِهِۦ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَاقِبَةُ الۡمُفۡسِدِينَ﴾	103
	﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾﴾	113-116
	﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾	120-122
	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾	150-151
التوبة	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	31
	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ	114

	حَلِيمٌ﴾	
يونس	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ افْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾	71
	﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾	73
	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾	86-84
هود	﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾	26
	﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾	37-36
	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ	43-42

	فَالَ لاَ عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾	
	﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾	64
	﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لاَ تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾	70
	﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	77
	﴿فَلاَ تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾	109
يوسف	﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	56
	﴿يَا بَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	87
إبراهيم	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾	07
الحجر	﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟	60-51

	سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾	
الكهف	﴿فَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾	73-72
مريم	﴿ى يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	12
	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾	16
	﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾	24
	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ	46-40

	﴿لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٤ فَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾	
	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾	51
	﴿لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾	87
طه	﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾	21
	﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾	70
	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾	90
	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾	94
الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	25
	﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾	53
	﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾	70-68
الحج	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	26

المؤمنون	﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾	26-24
النور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	04
الفرقان	﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ ۖ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾	39
الشعراء	﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾	14
	﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾	87-86
الشعراء	﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	156
النمل	﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾	32-31
القصص	﴿لَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾	29
	﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	87

العنكبوت	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾	17-16
	﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	20
	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	24
	﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ﴾	29-28
	﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	33
السجدة	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	23
الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	1

يس	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	60
الصافات	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴿١٠٧﴾ ﴾	-100 107
غافر	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	60
الزخرف	﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾	8
الدخان	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾	16
	﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾	20
الذاريات	﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لاَ تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾	28-26
الطلاق	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ	1

	حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لاَ تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾	
	﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	7
نوح	﴿فَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	2
	﴿فَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَارًا﴾	5
	﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾	7
	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	10
	﴿وَفَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	26
	﴿فَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	46

فهرس المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-المصادر والمراجع العربية:

1- عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ.

2-أبو بكر محمّد بن الطيّب البَاقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، دط، دت.

3-أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السامعاني التيمي، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، ..

4-أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الاسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة، دط، دت.

5- أبو حفص سراج الدين بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد بن عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

6- أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، المعْتَمد في أصول الفقه، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1983.

7- أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

8- أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ.

9- عبد الرحمن ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، شرح الدعاء من الكتاب والسنة، تح: ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، مطبعة السفير، الرياض، دط، دت.

10- عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1957.

11- عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964.

12- أبو حامد محمد بن أحمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى من علم الأصول، اعتنى به: ناجي سويد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1.

13- محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

14- محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.

15-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، لبنان، ط5،دت، 1981.

16-أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

17-أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6، 1982.

18-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي ادين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981.

19-أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

20- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح تلخيص المفتاح، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، دط، 1948.

21- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003.

22- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،دط، دت.

23- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التّركيب والدّلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

24- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت لحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

24- صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008.

25- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان.

26 -عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دط، 1988.

27- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000.

28- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة الإعرابية أسسها وعلومها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996

29- عبد الزهرة إسماعيل آل سالم، حجاجية القصص القرآني قصة نوح أنموذجا، كلية الآداب ، العدد 107.

30- عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيّم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1423،1،مج 2.

31- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

32- علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشّعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.

33- علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.

34- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2013.

35- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، دط، 1995.

36- -محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة الغربية الخطابة في القرن الأول أنموذجا، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2002.

37-أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

38- أبو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410هـ.

39- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 2000..

40- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

41-أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت.

42- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكر الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985 .

43- محمد خان، لغة القرآن الكريم دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى، عين مليلة، ط1، 2004.

44- محمد طاهر بن عاشور، التحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984.

45- محمود أحمد النحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2002.

46 - محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995.

47- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

48- أبو عبد الله محمّد بن أبي بَكر بن أيُّوب ابن قيم الجَوزيّة، بدائع الفوائد، تح: علي بم محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع، دط، دت.

49- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز 2005.

50- يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية والاجراء، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007.

51-أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، دط، 1983.

52-إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، ج 12.

53- إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تر: محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

54-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

55-أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الإسترابادي، المغني في أبواب التَوحيد والعدل، تح: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج16، دط، دت.

56-أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم التغلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،ط1، 2003.

57- أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، دت.

58- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السّيد محمّد ومحمد فضل العجماوي وآخرون، مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

59- أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق القرافي.

60-أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد عبد الله ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ.

61 - أبو الهلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي، ط1، دت.

62-أحمد بن محمد شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنوار الفروق المعروف ب كتاب الفروق، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2001.

63- أبو بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996.

64-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1،دار الكتب العلمية، د1، 2001.

65-أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الاسلامية، كلية الشريعة، المدينة النورة، دط، دت.

66- عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964.

67- عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

68-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ط7، 1998.

69-أبو الحسن القاضي عبدالجبَّار الأسدآبادي، المغني في أبواب التّوحيد والعدل، تح: محمد علي النجار وعبد الحليم النجار، دط، دت.

70-أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي، المعْتَمد في أصول الفقه، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983.

71-أحمد طالبي الابراهيمي، آثار الإمام محمَّد البشير الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،دط، (1929-1940)، ج1.

72-أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2015.

73-أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.

74 -أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.

75- أحمد متوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتب المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

76-أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربيَّة القديمة، تح: عبد الرحمن بَدَوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.

77-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

78-الشحات محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطلعة الأمانة، مصر، ط1، 1191.

79-جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003.

80- جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي، همع الهوامع في شرج جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998.

81- أحمد متوكل ،اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط2، 2010.

82-المعَافى بن اسماعيل الموصلي، أُنس المنقطعين لعبادة رب العالمين، تح: رضا أحمد إغبارية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

83-آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي الشريف دراسة تداولية، دار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016.

84-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

85-أبو الفضل بن أبي بكر جلال الدين عيد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة دط، دت.

86- أبو الحسين اسحاق ابراهيم بن سليمان بن وهب الكَاتب، البرهان في وجوه البيان الذي نُشر من قبل تحت اسم "نقد النثر لقدامة بن جعفر"، تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مصر، دط، دت..

87-أبو الفضل بن أبي بكر جلال الدين عيد الرحمن السيوطي ، التحبير في علم التفسير، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط،2001.

88-جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

89-جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مصر، ط1،2012.

90-جهاد شاهر المجالي، دراسات في الإبداع الفني في الشعر رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس والنقد الأدبي الحديث، دار يافا للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

91- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بم محمد الجوزي، زاد الميسر في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج3.

92-حافظ اسماعيل العلوي، الحجاج مفهومه دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ج2 .

93-خالد الأزهري، شرح التوضيح على التصريح، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ج2.

94 -خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

95-خليفة بوجادي، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية مشروع لربط البلاغة بالاتصال، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ج1.

96-خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في للسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.

97- أبو العباس أحد بن إدريس الصنهاجي القرافي، الفروق وأنوار البروق في أنواء الفروق، ومعه إدرار الشروق على أنوار الفروق لأبي القاسم بن عبد الله ابن الشاط، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج1، دط، دت.

98-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي، سِير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنووط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دط، دت، ج18.

99-شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، تح محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000، ج1 .

100-شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ،(ج5،ج6، ج9).

101-صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، 2008.

102-صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة و النشر، 1، 1993، بيروت، لبنان.

103- حابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 2003م،ج2.

104-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1979باشراف مشاري العدواني1923-1990.

.

105-صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

106-طالب سيد هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994.

107-أبو الفتح عثمان بن الجني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط2، دت.

108-طه عبد الرحمن، اللغة والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1998.

109-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، ط5، دت، ج3.

110-عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1.

111-عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2،1982.

112-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

113-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

114- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

115-محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

116-عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع،ط1، 2011.

117-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

118-علي إبراهيم النملة، مناحي التأثر والتأثير بين الثقافات المثاقفة بين الشرق والغرب، بيسان للنشر والتوزيع، ط2، أوت،2014.

119-أبو الهلال الحسن بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، ط1، 1371-1952.

120-علي بن محمّد السَّيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دت.

121-عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة مقاربة حجاجة للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة و الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

122-فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، إربد، الأردن،ط،1997.

123-محمد بن الحسن الرضي الدبن الإستربادي نجم الدين، شرح شافية ابن حاجب، تح: محمد نور حسن ومحمد زفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1975.

124-محمد بن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1995.

125-محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن لثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

126- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت .

127-محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي –الخواطر، مطابع أخبار اليوم، دط، دت.

128-محمد مشبال، البلاغة والخطاب أبحاث مهداة للدكتور محمد العمري، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2014.

129-أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، تح: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، دط، دت.

130-محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتَّبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط3، 1987، ج3.

131-محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1995،.

132-محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.

133-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز(يوليو)، 2005.

134-معاذ بن اسماعيل الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقاربة تداولية، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2014.

135-منَّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، دت.

136-ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

137-نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2003.

138- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، ط1، مارس 2004.

139- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، علَّق عليه عبد الرزاق عفيفي.

140- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجّاني النحوي، أسرار البلاغة في علم البديع ، تح: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1.

141- محمد أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت،ج1.

142- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

143- محمد مصطفى شلبي، مدخل في التعريف بالفقه وقواعد الملكية والعقود فيهن دار النهضة، بيروت، 1985.

144- محمود أحمد النحلة، آفاق البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.

145- محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1987،الكشاف للزمخشري.

146-محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق،.

147-محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط4، 1415هـ.

148- مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.

149- إبراهيم الشيرازي، شرح اللمع في أصول الفقه، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1988.

150- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دط، دت.

151- أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط3.

152- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط6 .

153- اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1994 ج2.

154- اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1975.

155-أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998.

156- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

157-أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

158- أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، دط، 1992.

159- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط1، 1419هـ.

160.- أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تج: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن علي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.

2-المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، ، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت.

2-عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت.

3- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

4-أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979.

5- أبو نصر سماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2009.

6-أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون القافية العامة، بغداد، دط، دت.

7-خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط7، 1986.

8-مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنكليزي عربي، دار الفر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

9-يحي مراد، معجم تراجم أعلام الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

3- الدواوين:

1- النجم العجلي الفضل بن قدامة، ديوان أبي النجم العجلي، تح: محمد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، دط، 2002.

2-امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4،1984 مج1.

3-حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

4 -المراجع الأجنبية:

1- voir, Claude SANDOZ ,Remi JOLIVET, Meribel FEHLMANN ,ACTES DE LENGAGE ET POUVOIR : Affiranchissement, bannissement, promesse et serment dans langues classque, Maribelfehlmann-Université de lausanne, 2005.

5-المراجع المترجمة:

1- جون سيرل، العقل و للغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانجي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

2- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991.

3- تون ا. فاندايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: تر: سعيد البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001

4- جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، محمد زياد كية، جامعة الملك سعود، دط، 1417.

5- جورج يول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرين، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

6- جونس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر: سعيد حسن البحيري، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2012.

7- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

8- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000.

9- فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، دط، 1986.

10- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفلمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007..

11- لوديفيك فِتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007..

12-آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، تموز، 2003.

13-أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، دط، 1991.

14-بول ريكور، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1.

15-جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كية، جامعة الملك سعود، دط، 1417هـ.

16-جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي،تر: سعيد البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

17-جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

18-جيوفري ليتش، مبادئ التداولية ،تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2013.

19-دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

20-فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000.

21-فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، دط، 1986.

22-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفلمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007.

23-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي لنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005.

6- المقالات:

1-الطيب رزقي، المقام خزان الحجاج، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينةhttps://www.asjp.cerist.dz/en/article/101957

2- أبو عاصم النبيل، سؤال عن موضوع المباهلة، أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج28، ص22،2023/10/362، 02:43، https://al-maktaba.org/book/31621/13864

3-عبد السلام إسماعيل، التلفظ والإنجاز، www.aljabriabed.net.

4-فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، تدارس القرآن الكريم، 2023/10/18- 18:53.https://tadars.com /

5-الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، ديسمبر 2020، ما الفرق بين الخوف والوجل والشفقة والخشية والرهبة، 2023/10/18- 18:53. https://al-maktaba.org/book/31871/7735

6 -ندين حميدان، 20 ديسمبر 2020، https://e3arabi.com

7-نادين حميدان، اللغوي ليونارد بلومفيد، ديسمبر 27، 2020، https://e3arabi.com/.

7- المجلات والدوريات:

1- لوبينز ألنسوو أسيري ألموس، لسانيات الخطاب حوار مع باتريك شارودو، تر: محمد يحياتن، مجلة اللغة العربية الصادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية، ع2، 1999

2- محمد ديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الموصل، ع1، 1994.

3- نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، ع17، جامعة الجزائر، 2006.

4-فتيحة مولاي ومسعودة بالنوى، البُعد التداولي في البحث البلاغي العربي القديم، الإشعاع، العدد الثاني، ديسمبر2014.

5-لسانيات الخطاب حوار مع باتريك شارودو ،لوبينز ألنسو وأسيري ألموس، تر: محمد يحياتن، مجلة اللغة العربية، ع2، 1999.

6-محمد بن عبد الله بن صالح بلعفير، البنيوية النشأة والمفهوم(عرض ونقد)، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، اليمن، العدد 15، مج 16، يوليو-سبتمبر 2017.

7-نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، ع17، 2006، جامعة الجزائر.

8- الرسائل الجامعية:

1- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003-2004.

2- يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، 2005-2006.

3-غالي فاطيمة، نظرية الأفعال الكلامية بين التصور الغربي و الموروث الأصولي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص لسانيات ،كلية الأدب العربي و الفنون، قسم الدراسات اللغوية جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، 2019-2020.

4-ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

الشكر وتقدير

المقدمة..... .....أ

المدخل: الامتداد المعرفي للدرس التداولي في التراث البلاغي العربي القديم..... **2**

أولاً: المتكلم(**Speake**).....6

ثانياً: المخاطَب(**Alloctive**).....19

ثالثاً المقام(**Context**).....26

الفصل الأول : نظرية الأفعال الكلامية بين التأصيل العربي والدرس الغربي..... **42**

توطئة..... **43**

1/ نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي المعاصر..... **43**

1-1- نظرية الأفعال الكلامية.....43

أ- تعريف نظرية الافعال الكلامية..... 43

ب- خصائص الفعل الكلامي وأصنافه.....53

1-2 نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين:..... .**69**

1-2-1- جهود أوستين واسهاماته في إرساء و تأسيس نظرية الأفعال الكلامية 69

1-2-2- مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية و تصنيف الفعل الكلامي.....74

1-2-3- تصنيف أوستين لنظرية الأفعال الكلامية وشروط تحقيق الفعل الإنجازي.....89

1-3 نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل:..... .....**91**

فهرس الموضوعات:

1-3-1- جهود سيرل وإسهاماته في تطوير نظرية الأفعال الكلامية وتصنيفه للفعل الكلامي..91

أ- مرحلة الأفعال الكلامية المباشرة.....91

ب-مرحلة الأفعال الكلامية غير المباشرة واسهامات بول غرايس.....95

1-3-2- تصنيف سيرل للأفعال الكلامية وشروط تحقيق الفعل االلغوي.....100

2/- أساليب الخبر والإنشاء في التراث في التراث البلاغي العربي القديم..... 100

2-1 معايير تمييز بين الخبر والانشاء عند البلاغيين.....102

3/- أساليب الخبر والإنشاء عند الأصوليين..... 106

3-1- معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند علماء الأصول.....107

أ- القاعدة الأولى: مطابقة النسبة.....108

ب- القاعدة الثانية: الغَرَضْ.....112

ت- القاعدة الثالثة: الإرادة.....112

3-2- شروط إنجازية فعل الإنشاء عند الأصوليين.....114

- أولاً: شرط القدرة والأهلية.....114

- ثانياً: شرط الإرادة والقصد.....115

3-3- **الأفعال الكلامية عند الأصوليين**:.....116

3-1- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر.....116

3-**2-** الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء.....121

خاتمة الفصل:.....**128**

الفصل الثاني: الفعل الكلامي الأمر في القصص القرآني وأثره التداولي.....**129**

توطئة:.....130

1/- الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام وأثرها التداولي.....**131**

1-الأمر.....131
2-التهديد والتحذير.....139
3-الدعاء.....142
4-الإذن والاستسلام.....146
5-التحريض.....149
6-النصح والإرشاد.....151
7-الوعظ.....153
8-التعجيز.....161
2/ الأفعال الكلامية الأمرية الواردة في قصة نوح عليه السلام وأثرها التداولي:.....164
1-التحذير والوعيد.....164
2-المشاورة.....169
3-الترغيب.....172
4-الأمر.....175
5-الوعظ والتذكير.....177
6-الدعاء.....180
7-الإلتماس.....182
8-الدعوة إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير.....185

3/- الفعل الكلامي الأمر في قصة موسى عليه السلام وأثره التداولي:.....188
1-النصح والإرشاد.....188
2-الاحتقار.....190

4/–فحص مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام.....192

5/–فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني: 194

1– في الخطاب الموجه من إبراهيم عليه السلام إلى إبنه.....194

2– في خطاب آزر مع إبنه إبراهيم عليه السلام.....196

3– –الخطاب الذي جاء على لسان قوم إبراهيم عليه السلام.....199

4– خطاب قوم نوح مع بعضهم البعض.....200

5– الخطاب الموجه من النبيين نوح وإبراهيم عليهما السلام لقومهما.....203

6– –الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى نبيه نوح عليه السلام.....205

7– –الخطاب الموجه من نوح الى ربه عز وجل.....208

8– –الخطاب الموجه من النبي موسى عليه السلام إلى السحرة.....209

9– –الخطاب الموجه من الله عز وجل إلى محمد صلى الله ع.....211

6/–فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي.....213

خاتمة الفصل.....214

الفصل الثالث: الفعل الكلامي النهي في القصص القرآني وأثره التداولي:.....215

توطئة:.....216

1/–الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة إبراهيم عليه السلام 217

1–النهي.....217

2–الدعاء.....230

3–بعث الطمأنينة.....233

4-التخويف والتحذير.....242

2/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة نوح عليه السلام 247

1-الوعظ والتحذير والتعجيز.....247

2-التحذير.....251

3-الدعاء.....253

4-الإنذار.....256

3/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة عيسى عليه السلام.....256

1-النهي.....260

2-المواساة والحمل على الصبر.....264

4/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في صالح عليه السلام.....267

1-التهديد والتحذير.....268

5/-الأفعال الكلامية المنهي عنها الواردة في قصة موسى عليه السلام 270

1-التذكير.....270

2-التحذير.....272

3-الاعتذار.....278

4-التضرع والتوصل.....283

5-التّعطف والتماس عدم المؤاخذة.....286

6/-الأفعال الكلامية المنهي عنها في قصة محمد صلى الله عليه وسلم.....290

1- التحذير.....290

7/–فحص مدى تحقق شروط الملائمة في الأفعال الكلامية التوجيهية في قصص الأنبياء عليهم الصلاة السلام.....295

8/–فحص مدى تحقق شروط المقامية والمقالية في القصص القرآني.....296

1– –خطاب الموجه من الأنبياء إلى أقوامهم.....296

2– –خطاب الموجه من الله عز وجل إلى نبيه إبراهيم عليه السلام والمؤمنون.....299

3– –لخطاب خطاب الموجه من النبي إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل.....301

4– –خطاب الموجه من الملائكة لإبراهيم عليه السلام.....303

5– –خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر ونوح عليه السلام لابنه.....305

6– –خطاب الذي جرى بين موسى مع أخيه هارون عليهما السلام.....308

7– –أنواع الخطاب في القصص القرآني.....311

9/–فحص مدى تحقق خصائص الفعل الكلامي.....311

خاتمة الفصل 312

الخاتمة.....315

الفهارس الفنية.....318

فهرس الشواهد القرآنية.....319

قائمة المصادر والمراجع.....332

فهرس الموضوعات.....354

الملخص

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم إجراءات المقاربة التداولية وتطبيقها على النص القرآني للكشف عن دلالاته المستلزمة والضمنية، وذلك من خلال الإجابة على إشكالية محورية مفادها التساؤل حول **مدى إمكانية تطبيق المقاربة التداولية على القرآن الكريم، ورصد دورها في الكشف عن أسلوبي الأمر والنهي في الخطاب القرآني**؟ ومن خلال قراءتي للمدونات القديمة للمفسرين والتنقيب فيها استطعنا إماطة اللثام عن المقاربة التداولية وتبسيطها من الناحية الإجرائية، وهي ما كشف عن العلاقة التي تربط بين علمي البلاغة والتفسير لتكون بذلك باباً من أبواب استنباط المعنى.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، الأمر، النهي، التوجيهات، القصص القرآني.

Summary

This research seeks to shed light on the most important procedures of the pragmatic approach and its application to the Qur'anic text to uncover its implicit and entailed meanings. This is achieved by answering a central problem, namely, the question of the extent to which the pragmatic approach can be applied to the Holy Qur'an, and monitoring its role in revealing the imperative and prohibitive styles in Qur'anic discourse. Through my reading of the ancient commentators' writings and exploring them, we were able to unveil the pragmatic approach and simplify it from a procedural perspective, which revealed the relationship between the sciences of rhetoric and interpretation, thus becoming a gateway to deriving meaning**.**

Keywords: pragmatics, speech acts, commands, prohibitions, directives, Quranic stories.

Résumé :

Cette recherche cherche à mettre en lumière les procédures les plus importantes de l'approche pragmatique et son application au texte coranique pour révéler ses significations implicites et implicites. Cela se fait en répondant à un problème central, qui est la question de savoir dans quelle mesure l'approche pragmatique peut être appliquée au Saint Coran, et en surveillant son rôle dans la révélation des styles de commandement et d'interdiction dans le discours coranique ? Grâce à ma lecture et à mes recherches sur les écrits des commentateurs anciens, nous avons pu découvrir l'approche pragmatique et la simplifier procéduralement, ce qui a révélé la relation entre les sciences de la rhétorique et de l'interprétation, devenant ainsi une porte d'entrée vers la dérivation du sens.

Mots-clés : pragmatique, actes de langage, commandements, interdits, directives, récits coraniques.